

492.709
R 25tA
c.2

~~JUN 67~~

~~JAN 19 55~~

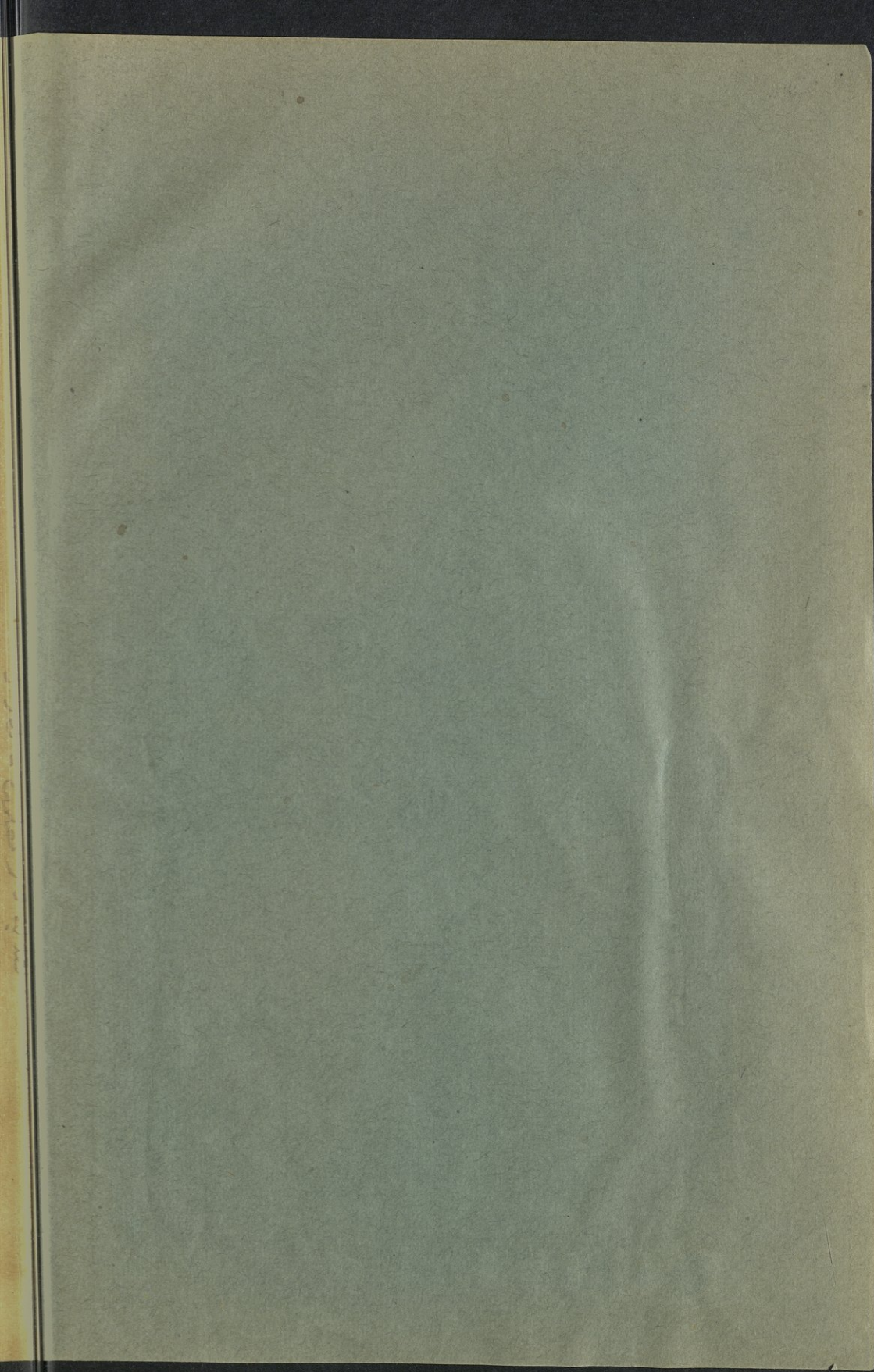
~~JN 7 '56~~

~~OCT 16 '56~~

~~JAN 19 55~~

~~FEB 18 '59~~

~~1 - OCT 1970~~



أقرت وزارة المعارف العراقية تدريس هذا الكتاب في دار المعلمين العالية

492.709
R25tA
c.2

تأليف

عِلْمُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ

تأليف
العلامة المرحوم

طه الراوي



(الطبعة الاولى)

جميع الحقوق محفوظة لوزارة المعارف العراقية
وكل نسخة ليست مختومة بختمها تعد مسروقة

78465
طبعة الرئيس - بغداد

١٣٦٩ - ١٩٤٩ م

Cat. Feb. '52

包

تقریر

FF71-1311-

فاتح الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد ، فهذا كتاب تركه ابي ، مع جملة ما ترك من كتب ، شرع
باملاء فصوله ، وعاجله القدر المحتوم قبل أن يتمه ويعيد النظر فيه .
وقد تطلعت وزارة المعارف فرأت ان يطبع قبل غيره من الكتب
التي خلفها - رحمه الله - لينتفع به طلابه في دار المعلمين العالية ببغداد ،
فبادرت بالاشراف على طبعه شاكرآ لرجال الوزارة التفاهم واهتمامهم .
وقد عرضته الوزارة - قبل طبعه - على امتاذين كريمين ، زامل
والدي وعرفاه خير المعرفة ، هما سعادة الاستاذ المصري محمد هاشم بك
عطية ، وسعادة الاستاذ الدكتور مصطفى جواد ، وقد قدم كل منهما
تقريباً عن الكتاب للوزارة ، وقد اعطيت الكتاب - بعد ان انجز
طبعه - الى الاستاذ الدكتور جميل سعيد فكتب بعض ملاحظاته عنه ،
وها انا اصدر الكتاب - شاكرآ - بما كتبوه ، وأسأل الله ان ينفع به ،
وان يعينني على نشر غيره .

المحامي

١٩٤٩

بغداد - كرامة مريم في ١٣٣٠-٤٩ هـ

هاشم طه الراوي

نقير الدكتور مصطفى جواد

حضرة رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر

لقد تصفحت كتاب تاريخ علوم الأدب للشيخ العلامة السعيد الاستاذ طه الراوي (رضي الله عنه). فوجدته من خير الكتب التي جمعت تاريخ ذلك الفن واعظمها اتقاناً لدقائقه وحقائقه بأسلوب رشيق وبيان عذب وتنسيق دقيق. بحيث اصبح لا يفتى عنه كشف الظنون ولا موضوعات العلوم ولا غيرها.

والتصفح لهذا الكتاب يرى ان مؤلفه - رحمه الله تعالى - قد اسبغ عليه جمالا من ذكائه. واضفى عليه كثيراً من الايضاح والتلخيص. حتى اصبح سهلاً فهمه قريباً علمه، واضح المعالم سوى السبيل.

ولذلك اقترح على اللجنة المحترمين الموافقة على طبعه والسعي في جعله من الكتب المقر تدريسها في المدارس الادبية العاليه. وتقبلوا مولاي فائق الاحترام.

مصطفى جواد

عضو لجنة التأليف والترجمة والنشر بوزارة المعارف

نقبر الاستاذ محمد هاشم عطية

سيدي المحترم مراقب لجنة الترجمة والتأليف والنشر

تفضلتم بكتابكم المؤرخ في ٢٧ - ١٠ - ١٩٤٦ فكلتموني بوضع
تقرير عن كتاب مخطوط من تأليف المرحوم السيد الراوي ونوهم
بما تكرم به معالي وزير المعارف - اعزه الله - من الموافقة على طبعه
مبادرةً منه الى المشاركة في تخليد ذكرى الفقيه ونشر آثاره النافعة
بين طبقات المتعلمين في البلاد، وتمشياً مع المأثور من مبادئ معاليه فيما
يبدله من المعونة المشكورة لخدمة التعليم وتشجيع النهضة الادبية في
العراق الحديث. ولا شك عندي في انكم ستقدرون ما اثاره هذا
التكليف في نفسي من الارتياح لما اتاحه لي من فرصة الاعراب ثانية
عما كان للفقيه من منزلة. وما زركه في البيئة الثقافية من فراغ، سينقضي
زمن قبل أن يترشح له من يخلفه فيه بمثل هذه الكفاية العلمية
النادرة المثال.

واني اشرف بأن اضع بين يديكم ما لاحظته خلال مطالعتي لهذا
الكتاب الذي كنت اخذت في دراسة فصوله قبل أن تبلغني رسالتكم
الكريمة بعدة ايام ولا اكاد أنكر عليكم اني كنت استمعين بالتأمل
واطيل الوقوف مع المؤلف - رحمه الله - بين سطور الكتاب، طلباً

لتحقيق الموازنة العادلة بين ما يشتمل عليه من المناقشات الفاصلة للكثير
 من قضاياها ومسائله المختلفة وبين ما استظار لمؤلفه من الذكر واستفاد
 من الشهرة التي لا ينبغي ان يجعلها العقلاء وحدها دليلا على الاستحقاق
 ولا مستوجبة لما ينسجه الناس حول المشهورين من التعاريف والالقب.
 وقد اسلمني التصريح على هذا الاساس من التعقيب والنقد الى ما يتضمنه
 هذا التقرير الذي أنشرف بعرضه على انظاركم ليتخذ طريقه بعد
 البحث والمراجعة الى ما يتبين لكم من وجهة النظر المبينة على توخي
 العدالة ووضع مصلحة الجيل المعاصر فوق كل اعتبار . أما موضوع
 الكتاب فهو تاريخ العلوم العربية او علوم الادب كما اشرتم الى ذلك في
 كتابكم الكريم . وهي العلوم التي بدأ علماء المسلمين باستنباطها ووضع
 اصولها وابوابها منذ صدر الاسلام الى العصور التالية له كعلم اللغة او
 علم متن اللغة وعلوم البلاغة وعلم النحو والصرف والعروض والقوافي
 ورسم الحروف وغيرها وقد صدره المؤلف بمقدمة مسهبة في بيان
 الادوار التي تقاب فيها كلمة الادب وما كان يطلقها عليه السلف من المعاني
 الى زمن ابن خلدون . وأتبع ذلك بفصول ممتعة في اصل العربية ونحريه
 ما تناوله الخلاف بين اللغويين من ردها الى البابلية او جعلها اصلا
 لآخوانها السامية وفيما صارت اليه بعد ما قطعه من مسافات التاريخ من
 الكمال اللغوي بسبب ما اختلف عليها من اساليب التهذيب وعوامل
 النمو التي ما يزال معظمها آخذاً باعناق اللغات الى التكاثر والتماء حتى عصرنا

هذا وفاض في الكلام على التعريب وبيان طرقه المختلفة عند العرب ونوه
 بمحذوهم في اخضاعه لتوازن اللغة وتصرفهم في سرعة الاستفادة منه من
 غير تردد ولا مشاورة ثم انتهى من ذلك الى ذكر الاوائل من
 الرواة وما كان لابن الاسود الدؤلى وتلاميذه من الاثر الملحوظ في
 وضع الاصول التي سار على نهجها فيما بعد اكثر الباحثين من علماء العربية
 في العصور المتأخرة . وبدأ بذكر علم اللغة فلم يدع رسالة صغيرة ولا
 مطولة ولا كتابا ضخما ولا مبحثا خاصا او عاما الا ذكره وعرف بوضعه
 واسهب في بيان فائده وطريقة تأليفه والتنبيه على ما عسى ان يكون قد
 وقع لصاحبه من عثرة قلم او زلة قدم .

ومضى بهذه الاستفاضة من الدراسة والبحث في ذكر مجتهدى النحاة
 من علماء المصريين : الكوفة والبصرة وغيرهما الى المائة العاشرة من
 الهجرة . وعرض للخلاف المشهور بين نحاة البصرة والكوفة والى
 منظم المذاهب الشائعة بين غيرهم من الأئمة في هذا الموضوع وذكر
 جميع الموسوعات الكبرى وتواريخ تأليفها ورجالها مما قل ان تجده
 نظيراً في كتاب آخر من الكتب التي عاجلت هذه المباحث المتقدمين
 والمتأخرين ويمتاز الكتاب بمراعاة الضبط والدقة في سياق الحقائق العلمية
 والتاريخية والعمامة بالاعلام واسماء المؤلفين الذين لا يزال يخفى على
 كثير من خواص المتعلمين وجه الصواب في النطق بها خالية من
 التحريف والخطأ كضبطه مثلاً اسم يحيى بن يعمر من اصحاب ابن

الاسود بقوله (يعمر يفتح الميم كيهذب) ومعظم علمائنا ينطقونها على
 ما اعلم بضم الميم عدا ما ظهر من فضل المؤلف في جمع شتاتها وحسن
 تبويبها وما وشح به حواشيتها من سوانح ادبية وديباجة مطبوعة
 تشوق المطالعين وتحجب الكتب الى القراء . ومن اجل ذلك ارجو وانا
 ادع اليكم الرأي الاعلى في تقدير الكتاب واعتماد صلاحيته للنشر - أن
 تنفضلو بقبول ما اكنه لىكم في نفسى من الاحترام والتجلة والسلام عليكم
 ورحمة الله .

محمد هاشم عطية

٣ تشرين الثانى ١٩٤٦

استاذ الادب العربى في دار المعلمين العالية



بسم الله الرحمن الرحيم

الادب

الادب

كان العرب قبل الاسلام يطلقون لفظ « الادب » على معان منها : الدعوة الى الشيء ، يقال أدب الرجل يأدب أدباً : اذا صنع صنيعاً ودعا الناس اليه . ومنها العجب ، وكذلك يطلقونه على الفضائل الشخصية ، والمكارم الخلقية ، وعليه الحديث « ادبني ربي فاحسن تأديبي » . ثم تطور معنى هذه الكلمة بعد الاسلام فاطلقت على مجموعة من علوم العرب منها : الشعر ، والأخبار ، والأنساب والنحو . ويطلق على العالم بهذه العلوم اسم « الأديب » ، واذا اشتغل بتعليمها فهو « المؤدب » . قال ابو منصور الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ : « وذلك كلام مولد ، لان هذه العلوم حدثت في الاسلام . واشتقاقه من شيئين يجوز ان يكون ، من الادب وهو العجب ، ومن الادب مصدر قولك ادب فلان القوم يأدبهم ادباً اذا دعاهم قال طرفه :

نحن في المشتاة ندعو الجفلي (١)

لا ترى الآدب فينا ينتقر

فاذا كان من الادب الذي هو المعجب فكأنه الشيء الذي يجب
منه لحسنه ، ولان صاحبه الرجل الذي يجب منه لفضله . واذا كان
من الادب الذي هو الدعاء فكأنه الشيء الذي يدعو الناس الى الماحم
والفضل ، وينهاهم عن المنابح والجهل . هـ ا هـ .

وهذا التطور في معنى كلمة الأدب بدأ في اواسط القرن الاول
الهجري ، وبذلك التقى في معنى هذه الكلمة ادب النفس وادب الدرس
الذي يستأنس احدهما بالآخر ويستمد قوته منه ، فان ادب الدرس من
اهم روافد ادب النفس ، كما ان ادب النفس اكبر حافز الى التوسع في
ادب الدرس .

وبهذا التطور في معنى الادب اصبح ذا كيان خاص ، وصار محتاجاً
الى تعريف يجمع بين معناه النفسي ومعناه الدراسي ، وعلى هذا قال ابو
زيد الانصاري المتوفى سنة ٥٢١٥ هـ : « الادب يقع على كل رياضة محمودة
يتخرج بها الانسان في فضيلة من الفضائل . » وهذا كما تراه - شامل
لادبي النفس والدرس ، لأن الرياضة المحمودة كما تتصل بالنفس تتصل
بالدرس . ثم لما تبدت الامة في الحضارة ، وتوسعت في المعارف ، ولا سيما

(١) الجفلي : الدعوة العامة . والنقري الدعوة الخاصة يقال منه انتقر

ينتقر اذا دعا دعوة خاصة

اللسانية منها ، اضيفت الى معنى هذه الكلمة امور لم تكن من معناها سابق العهد . من ذلك اطلاقها على اصول المنادمة وفنونها ، وعلى فنون النغم واصول الاغاني وما يتصل بها من الآلات . ولما وضع عبدالله بن طاهر المتوفي سنة ٢٨٩ هـ . كتابه في اصول المنادمة وفنونها اسماه « الآداب الرفيعة » ذاهبا الى ان هذا الضرب من الادب يعتبر في القمة من سائر ضروبه ، وكذلك فعل الشاعر المشهور « كشاجم » في تسمية كتابه « ادب النديم » وقد جمع فيه ضروبا شتى من هذه الفنون .

ثم كلما ابتدع فن من الفنون اللسانية انضوى الى لواء هذه الكلمة ، وبذلك توسع معناها بتعاقب الزمن توسعا ظاهرا وبعد كل هذا التوسع اصبح حد الادب كما قال ابن خلدون : « هو حفظ اشعار العرب واخبارهم ، والاخذ من كل علم بطرف » . ولهذا لا يجوز ان يتحلى بلقب « الاديب » الا من اتقن الفنون اللسانية والم من العلوم الشرعية والكونية بما لا يجل بالنثر والناظم جهله .

علوم الأدب :

تبين مما تقدم ان معنى لفظ الأدب تطور من حال الى حال حتى اصبح جامعا بين المعنى الخلقى والمعنى الفنى ، بمعنى أنه صار شاملا المزايا الخلقية والمكارم النفسية ، وزمرة العلوم التى من شأنها تقويم اللسان والقلم ، وكل ما يمين على الاجادة فى منشور القول ومنظومه ، وكل ما يتوسل به الى

فهم كلام العرب في القديم والحديث . وهي فنون كثيرة فلا يسوغ
 لاحد ان يتسم بسمة الاديب بحق الا اذا ضرب في هذه الفنون بسهم .
 وقد اختلفوا في تعداد هذه الفنون اختلافاً كبيراً ، لكنهم اتفقوا على
 اصل واحد وهو انها فنون اللسان العربي ، ومن اشهر الباحثين في ذلك :
 ابو القاسم الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ . فقد ذكر انها اثنا عشر فناً
 وهي : « اللغة ، والصرف ، والاشتقاق ، والنحو ، والمماضي ، والبيان
 والبديع ، والعروض ، والقوافي » . وهذه تعتبر اصولاً . « والخط ، وقرض
 الشعر والانشاء ، والمحاضرات ، » وهذه الاربعة تعتبر فروعاً . اما ابن
 الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ فقد عد منها في كتابه « طبقات الادباء »
 « النحو ، واللغة ، والتصريف ، والعروض ، والقوافي ، وصفة الشعر واخبار
 العرب وانسابهم ، والجدل في النحو ، واصول النحو » . وبهذا اسقط
 بعض العلوم التي ذكرها ابو القاسم الزمخشري ، وزاد علمين وهما « علم
 الجدل في النحو واصول النحو » . وكان الاندلسيون يطلقون علم الادب
 على ما يحفظ من التاريخ والنظم والنثر ومستطرفات الحكايات .
 والجمهور على انه لا بد للاديب من الاطلاع على فنون شتى غير
 الفنون اللسانية ليتحذر من التورط في الاغاليط عندما يتطرق في شعر
 او نثر الى ماله مساس في تلك الفنون ، ولكي يستعين بذلك على فهم
 كلام المحدثين الذين اولعوا بتضمين منشورهم ومنظومهم الكثير من
 مسائل تلك العلوم ، فمن ذلك مثلاً قول الطبراني :

فان علاني من دوني فلا عجب
 لي اسوة بالمحطات الشمس عن زحل
 وقوله ايضاً :

لو كان في شرف المأوى بلوغ مني
 لم تبرح الشمس يوماً دائرة الحمل
 وقول ابي الطيب :

وكم لظلام الليل عندك من يد
 تخبر أن المساوية تكذب

فان البيتين الاول والثاني لا يفهمهما الا من شدا طرفاً من علم الهيئة
 والثالث لا يفهمه الا من الم بشيء من علم الكلام ، وامثلة هذا كثيرة ،
 ولا سيما في كلام المتأخرين من الأدباء . والى هذا اشار ابن خلدون في
 تعريفه علم الادب بقوله : « والاخذ من كل علم بطرف . »

على انه اذا اطلقت علوم الأدب فانما يراد بها العلوم اللسانية التي لا
 بد من معرفتها اكل من يتصف بصفة الأديب . ونحن نلخص ذلك في
 الفصل التالي مع شيء من الايضاح .

اصحال وايضاح :

حدثنا التاريخ انه عندما احس اولونا بوقوع بوادر الاضطراب
 على السنة احداثهم ، وشعروا بديب اللكنة في خواصرهم وتسرب

اللحن الى احداثهم ، عز عليهم ذلك ، وخافوا انهم اذا تركوا الجبل على الغارب يستفحل امر اللحن والاضطراب في لغتهم ، ويتدفق عليها تيار العجمة فيطمس آثارها . فانصرفوا بكل ما لديهم من تفكير الى وقايتها وصيانتها وصدد ما يمتورها من طواريء الخلل والاضطراب ، كيف لا وهي لغتهم ، ولغة دينهم الذي هو سرهم وكنههم ، وعنوان سيادتهم . ومن ثم بادروا علماءهم الى تدوينها وضبط قواعدها وتقييد مسائلها وما برحوا ينتقلون في خدمتها من حال الى حال حتى استوت لديهم على توالي الاجيال جملة علوم اطلقوا على مجموعها « علوم العربية » او « علوم الادب » فمن هذه العلوم ما يخدم العربية المعربة من حيث ضبط مفرداتها وبيان مدلول كل لفظ من الفاظها . وهذا ما سموه « علم اللغة » او « متن اللغة » .

ومنها ما يخدمها من جهة معرفة ما يمرض لانبية كلماتها من الهيئات المختلفة ، ومعرفة القواعد التي يستعان بها على معرفة تحويل الاصل الواحد الى صيغ مختلفة في الهيئات ، متحدة في المادة ، للحصول على معان لا يمكن الحصول عليها الا بتلك الصيغ ، وهذا ما يسمى « علم الصرف » او « التصريف » ونريد به ما يشمل علم الاشتقاق .

ومنها ما يعرف به اصول تركيب كلماتها وانطباق هذه التراكيب على المعاني المرادة منها وما يمرض لواخر الكلمات بعد التركيب من التغير وعدمه ، وهذا « علم النحو » .

ومنها قواعد يعرف بها خواص تركيب الكلام ، واسرار بلاغته ،
وايراده منطبقا على مقتضى المقام والحال . وهذا هو « علم المعاني » وبعضهم
يسميه « علم البلاغة » . ومنها قواعد تعين على معرفة ايراد المعنى الواحد
بطرق متعددة وتعايير مختلفة في الايضاح والتبيين ، وهذا هو « علم البيان » .
ومنها ما يعرف به وجوه تحسين الكلام لفظا او معنى ، وهو « علم
البديع » . وبعضهم يسمى هذه العلوم الثلاثة ، او الاخيرين منها فقط
« علم البيان » وبعضهم يطلق على الثلاثة « علم البديع » .
ومنها ما يبحث فيه عن طرق بيان المقصود بالكلام المنشور كتابة
وعن اختلاف اساليب الكلام باختلاف الموضوعات ، وعن الاداب
التي ينبغي للكاتب ان يتأدب بها ، والمعارف التي يجب ان يتحلى بها وما
الى ذلك فاطلقوا على هذا « صناعة الانشاء » . وبحثوا عن كيفية تصوير
الانفاظ بحروف هجائها ، وسموا ذلك « علم الرسم » او « الخط » او « الكتابة »
كل هذه العلوم تخدم المنشور من الكلام ، ثم انتقلوا الى المنظوم
فبحثوا فيه من وجوه عديدة ، بحثوا عن كيفية نظم الشعر وعن اداب
الشاعر ، وعن نقد الفاظ الشعر ومعانيه . واطلقوا على هذه المباحث
« صناعة قرص الشعر »

ثم بحثوا عن ضبط الاوزان التي نظم عليها العرب المربون واسموا
مجموع ذلك « علم العروض » .

وبحثوا عن احوال اواخر الايات من حيث حروفها وحركاتها
وسكناتها ومحاسنها وعيوبها واسمونه « علم القوافي » .
ثم انتقلوا الى البحث عن كيفية ايراد المتكلم كلام غيره ، من منشور
ومنظوم ، حسب مقتضيات والمسابات في المحادثات والمساجلات واطلقوا
عليه « علم المحاضرات » ، وينطوي تحت ذلك علم اخبار العرب وايامها
وانسابها والتاريخ على سبيل الاجمال .

هذه اهم العلوم التي حاط بها اسلافنا لغتهم العربية . وهناك علوم
اخرى تتصل بهذه او تفرع عنها . وليس هذا محل استقراءها وانما
اوردنا في هذا التمهيد المهم مما لا بد من ايراده لربط حلقات الموضوع
بعضها ببعض . ولسنا بحاجة الى بيان ما لهذه العلوم من المكانة في خدمة
اللغة العربية وتعزيز جانبها ، وتحويطها من ان يطفئ عليها سيل الغامية
فيطمس انوارها ويعني معالمها . ولهذا رأينا ان نلم بتأريخ كل علم منها
على سبيل الاجمال ، وبقدر ما يتسع له المقام . فنبعث عن : نشأة العلم ،
واولية تدوينه ، واطوار تدرجه في النماء والانتساع . وما تفرع عنه من
الفروع ، وما اصيب به من توقف او تقلص او جود . مع التنويه بذكر
البارزين^(١) من القائمين على خدمته ، والتعريف بالمهم من انارهم فيه الى غير
هذه من المباحث التي نرى ان في امكان الطالب ان يجتني منها ثمرة
علمية او عملية ..

(١) انظر الفهرست في آخر الكتاب .

اللغة العربية

اصلها :

يرد العلماء اليوم اللغات البشرية الى ثلاثة اصول : السامي والآري والطوراني . ويمدون العربية من الاصل السامي واذا اعتبرنا اللغة البابلية ✓ الاولى التي عثر على بقيتها في اثار الدولة الحورية - هي الاصل السامي الذي انشقت منه اللغات المدسوبة اليه - يترجح عندئذ ان العربية اقرب اخواتها الى ذلك الاصل او انها هي الاصل نفسه تقلبت في اطوار ، وتنقلت في احوال وحدتها القرون الحالية بالصقال ، حتى وصلت الى ما وصلت اليه الآن ، ذلك لان العلماء رأوا مشابهة واضحة بين العربية الحاضرة والبابلية الاولى ، ووجدوا في هذه كلمات وعلامات واصول وقواعد هي نفسها موجودة في العربية مع خلو سائر اخواتها السامية منها ، او هي موجودة فيها مع تحريف وتحويل ليسا بالبعيدتين .

✓ فمن وجوه المشابهة بين العربية المضرية والبابلية حركات الاعراب ، فانها في البابلية كما هي في العربية . ولا اثر لها في سائر اللغات السامية ومن هنا يظهر ان الاعراب عريق في العربية ، عرفها وعرفته قبل ان يعرفها التاريخ . ومن وجوه المشابهة جمع المذكر السالم فانها في اللغتين « ون » . وصيغ الافعال في اللغتين متقاربة جداً . والنون في البابلية ميم ساكنة . والميم

اخت النون في العربية ، وكثيراً ما تتبدلان ، مثل عنبر تنطق عمبر . ومن
 امثلة الكلمات التي جاءت في اللغتين معاً من غير ما تحريف : انف ، عنب ،
 بلال ، صمصة ، نسر ، شمس . الى غيرها من الكلمات التي لا تختلف
 شيئاً في اللغتين .

اذا اضفنا هذا الى ما يراه المحققون من ان مهد العنصر السامي
 جزيرة العرب ، تبين لنا جلياً صدق ما ذهبنا اليه من ان هذه اللغة هي
 العمود الذي انشعبت منه سائر اللغات السامية . او لا اقل من ان العربية
 اقرب اخواتها كلها الى الاصل الاول المندثر على تقدير وجوده . والعلماء
 يعلمون ذلك بكون العربية عاشت في معظم غصورها متبدية ، والبدواة
 حرز حريز لما تحوطه بعنايتها وتربيته في حجرها من اللغات اذ اللغة
 تتلون بتلون العمران ، وتصبغ بصبغة الحضارة التي تمش في اكنافها ،
 وان العمران والحضارة من المهامه الفيج والصحارى التي تحار فيها الريح ؟
نطورها :

ليس معنى كون العربية اصلاً او قريبة من الاصل ان هذه اللغة
 المضربة اليعرية التي تحوكمها اقلامنا وتلوكمها افواهنا هي لغة تلك الام
 القديمة على ما كانت عليه في مجد حياتها . حفظنا لنا القرون الخالية فادتها
 الينا مصونة من التحوير والتغيير ، لا وانما المصود ان الشعب العربي
 الذي ما زال ولم يزل يحتفظ بجزيرته ، مهد العنصر السامي ، احتفظ بأم
 لغات هذا العنصر . وان الام تطورت من حال الى حال ، وتعهدتها

الاجيال بالصقال ، ولم تزل تتنازعها عوامل البسط والقبض ، والرفع
 والخفض ، الى ان تناولتها يد النهضة الاسلامية فجعلت شملها ، وملت
 شعنها ، وزادت في ثرائها ، وبلغت في نمائها ، ثم وطدت قواعدها ،
 وضبطت اصولها وفروعها ، واحاطتها بعظيم رعايتها وشملها بجميل حمايتها
 الى ان بلغت ما بلغت من البسطة في السلطان والكثرة في الاعوان ،
 واتسع صدرها للعلوم المختلفة من بين شرعية ولسانية وفلسفية وغيرها ،
 وبلغت يومذاك شأواً قصياً لم تصل اليه لغة من لغات العالم التي
 كانت تعاصرها .

فاذا انت القيت نظرة اليها ، وهي زاخرة بالعلوم والفنون في العصر
 العباسي ، تجدها اوسع رقعة منها في العصر الاموي . وهي في العصر
 الاموي وصدر الاسلام افسح مجالاً منها في الجاهلية يوم كانت منزلة
 في زوايا الجزيرة . وقس على ذلك حالها في الجاهلية الآخرة بالنسبة الى
 حالها في الجاهلية الاولى .

وبالجملة فان اللغة تنسبط بانديساط اهلها في الحضارة والعمران
 وتنقبض بانقباضهم وترتقي بارتقاءهم وتنخفض بانخفاضهم ، وهي بعد
 كائن حتى معروض لموامل التركيب والتحليل والتجدد والانذار وسائر
 العوامل التي تخضع لها الاحياء من هذا القبيل .

واهم علائم الحياة في اللغة تحكم عالمي التجدد والدثور في بنيتها
 كالانسان في عنفوان شبابه ، فتستغني عن الفاظ وتراكيب وتضم الى

نفسها الفاظا وتراكيب حسبما تقضي به عوامل الذشوء والارتقاء ، او كما يقولون حسبما يتطلبه قانون الانتخاب الطبيعي ومن هذا ندلم ان العربية اليوم غيرها بالامس .

عوامل تهذيبها

وليس في مقدور الباحث اليوم أن يحيط بكنه ما تقلبت عليه هذه اللغة من اطوار التهذيب وما مرت به من عوامل النماء والتوسيع ، ولكن يمكن ان يقال على سبيل الاجمال . فان اطوار تهذيبها وعوامل نمائها وتوسيعها تابعة لتطور احوال المتكلمين بها . فاذا علمنا مثلا ان دولة حمورابي التي وصلت الى ما وصلت اليه من رفعة الشأن ، والتبسط في العمران - عربية النجار ، ندلم عند ذاك ان هذه اللغة نالت على عهد هذه الدولة قسطها من التهذيب والنماء يقدران بمقدار ما احرزته تلك الدولة من سعة العمران ، وقوة السلطان .

ويقال مثل ذلك في الدول العربية الاخرى التي ظهرت لمع من اخبارها من خلال غبار العصور الخالية ، مثل دولة العماليق في مصر المعروفة عند اليونان باسم « الهيكسوس » ، وعند قدماء المصريين باسم « الشاسو » اي الرعاة او البدو ، ومثل دولة معين في اليمن واثار الدول اليمنية التي تبسطت في القنوح وتوسعت في الحضارة ..

ومن هذا يتبين ان معرفة اطوار التهذيب لهذه اللغة تستمد من

تاريخ الامة العربية فلنترك هذا الجانب للباحث في تاريخ العرب . على انه لا يفوتنا ان اطوار التهذيب ليست قاصرة على ما تنقلب عليه الامة العربية من الاحوال السياسية . بل هناك تطورات لها شأنها خارجة عن هذه التقلبات ، منها : اتصال العرب بغيرهم بالمجاورة والمتاجرة وما الى ذلك . ومنها انتشار القبائل في انحاء الجزيرة وانفراد كل قبيلة بمحاسن من القول يغبطه عليها القليل الآخر . ومنها الاسواق المشهورة ، والمجامع المذكورة مثل عكاظ ومجنة وذى المجاز . ومنها الحج وغير ذلك هذا امر تطورها في الجاهلية ، واما في الاسلام فلا تطوار التهذيب تاريخ واضح المنهج ، سنلم به في غير هذا الموطن ان شاء الله تعالى .

عوامل نمائها ونوسها

اما عوامل النماء في اللغة فكثيرة اهمها : الاشتقاق ، والنحت ، والقلب ، والابدال ، والاشتراك ، والتضاد ، والترادف ، والمجاز ، والكناية ، والاصلاح ، والتوليد ، والتعريب .

واذا انمت النظر في هذه العوامل تجدها على قسمين ، قسم منها يرجع الى بنية اللغة ، مثل الاشتقاق ، وقسم تستمده اللغة من الخارج مثل التعريب . وهذا اشبه شيء بكيفية نماء الاجسام الحية ، فان وسائل نمائها على درجتين الاولى تمثيل الاغذية التي تستمدها من الخارج ، والثانية تحصل بتكاثر الخلايا بانقسام الواحدة منها الى اثنتين ، ثم انقسام كل من الاثنتين وهكذا ..

اولا - الاشتقاق

يقول الصرفيون : ان الاشتقاق أخذ صيغة من اخرى مع انقائها في اصل المادة والمعنى ، ليبدل بالثانية على المعنى الاصلي مع زيادة مفيدة لاجلها اختلفت حروفها او حركاتها او هما معا . مثل كتب من الكتابة وقرأ من القراءة ، وبعبارة اخرى ، هو رد لفظ الى آخر لمناسبة بينهما في المعنى والحروف الاصالية .

وقد ذكرناه نوعين : الاول الاشتقاق الاصغر وهو المشهور بين علماء العربية واذا اطلق الاشتقاق ينصرف اليه . والثاني الاشتقاق الاكبر ، واهم مميزاته عن سابقه انه لا يشترط فيه الترتيب في الحروف بين المشتق والمشتق منه ..

والمذهب الممول عليه بين علماء العربية ان الكلم بعضها مشتق وبعضه غير مشتق . وذهبت طائفة من المتأخرين الى ان الكلم كله مشتق . وهذا مذهب غير مفهوم لانه لو كانت كل لفظة نوعاً من غيرها للزم الا يكون هناك اصل وهذا محال ، اللهم الا اذا قالوا : ان المراد بذلك ان الكلمة لا تخلو من احد امرين اما ان تكون مشتقة او مشتقا منها . فينشد يمكن ان يذكر قولهم هذا مع الاقوال . ويحتمل المناقشة والجدال ، وتذهب طائفة ثالثة الى انه ليس هناك اشتقاق ما وان الالفاظ كلها اصل . وهو قول بعيد عن التحقيق .

ثم ان التغييرات بين المشتق والمشتق منه في الاشتقاق الاصغر

في وجوه :

- الاول — زيادة حركة في المشتق ، مثل علم من العلم .
- الثاني — زيادة حرف فيه ، مثل طالب من الطالب .
- الثالث — زيادة حرف وحركة معاً ، مثل ضارب من الضرب .
- الرابع — نقص حركة منه ، كالفرس من الفرس .
- الخامس — نقص حرف منه مثل ثبت من الثبات .
- السادس — نقص حرف وحركة معاً مثلاً نزا من النزوان
- السابع — نقص حركة وزيادة حرف ، مثل غضبي من الغضب .
- الثامن — زيادة حركة ونقص حرف ، مثل حرم من الحرمان .
- التاسع — زيادة حركة وحرف ونقصهما ، مثل امتنوق من الناقة .
- العاشر — تغاير الحركتين ، مثل بطر من البطر .
- الحادي عشر — نقص حركة وزيادة اخرى وحرف ، مثل أضرب من الضرب .
- الثاني عشر — نقص حرف وزيادة آخر مثل راضع من الرضاعة .
- الثالث عشر — نقص حرف وزيادة آخر وحركة ، مثل خاف من الخوف .
- الرابع عشر — نقص حركة وحرف وزيادة حركة فقط ، مثل عدة من الوعد فان فيه نقص الواو وحركتها ، وكسر العين بمد ان كانت ساكنة

الخامس عشر — نقص حركة وحرف وزيادة حرف مثل فاخر
من الفخار.

وانما اشرنا الى هذه التغيرات المتنوعة لنبدل على ما في هذا الباب
من السعة. وانه من اكبر الابواب التي تنهض باللغة وتمدها بمعين
لا ينضب.

اما الاشتقاق الاكبر فيشترط فيه حفظ اصل المادة دون تقلبات
الهيئة. مثل تقلب مادة (ق ول) على وجوها الستة المختلفة: ولق،
لقو، .. الخ. ومي في كل هذه التصاريح تدل على الخفة والسرعة.
قال ابو حيان النحوي: وهذا مما ابتدعه الامام ابو الفتح ابن جني، وكان
شيخه ابو علي الفارسي يأنس به في بعض المواضع.

والذي يتقرى كالم اللغة بالنام نظر يجد ان لمعظم موادها اصلا
ترجع اليه اكثر كلمات ذلك الاصل ان لم نقل كلها. خذ على ذلك مادة
(ف ل) وما بينهما تجد الجميع تدور حول معنى الشق والفتح، مثل:
فلح، فالج، فلم، فلق، فلذ، فلي. ومثل ذلك مادة (ق ط) وما بينهما
تقول: قط، قد، قطع، قطف، قطر، قطن ... الخ وكلها بمعنى
الانفصال.

واول من فتح باب هذا النوع من الاشتقاق ابو الفتح ايضا
والعلامة الزمخشري ولوع فيه، تجد ذلك كثيرا في كشافه، ويذهب

بعض اللغويين الى ان هذا الاصل جار في كل تراكيب المواد اللغوية
ولو بضرب من التأويل ولو قليلا، وهذا مذهب لا يخلو من المبالغة،
إذ ان كثيراً من مفردات اللغة دخل عليها من لغات أخرى ثم صار مع
الزمان كأنه منها في الصميم. ولا يمكن في حال من الاحوال ان يرد
الى اصل من اصولها. ولانفلة عن هذه الناحية نجد الكثير من اللغويين
يتمحلون لبعض الكلمات اشتقاقاً، اقل ما يقال فيها انها من المضحكات.
حكى عن بعضهم انه سئل عن اشتقاق الجرجير - نوع من النباتات - فقال
سمى بذلك لان الربح تجرجه اي تجره، وسئل عن اشتقاق الجرة
فقال لانها تجر على الارض. ويقول انما سمي الثور ثوراً لانه
يثير الارض للحرث. الى امثال هذا الهذيان والاعجاب ان بعضهم
يتكاف للاعلام العجيبة ضرورياً من الاشتقاق تنقاط السخافة من
اطرافها. ولا تعدم في هذا العصر اناساً من هذا القليل. فقد بلغنا ان
بعضهم سئل عن البنجرة - وهي يستعملها الاتراك للنافذة - فقال انها
من بنجر الرجل اذا فتح عيذه لان النافذة تكون مفتوحة، فافراً
واعجب.

ولما كانت هذه الباب في علم العربية افردوه بالتأليف وحاطوه بالعناية
الواسعة. ومن الف فيه الأصمعي، ومحمد بن المستنير المعروف بقطرب،
وابو الحسن الاخفش، وابو نصر الباهلي، والمفضل بن سلمة، وابن دريد،
والزجاج، وابن السراج، والروماني، وابن النحاس، وابن خالويه وغيرهم.

هذا زيادة على ما جاء به الصرفيون في كتبهم من التحقيق والنمحيص .
 واكبرهم عناية في ذلك امام الصرفيين وسندهم ابو الفتح بن جنى الموصلي .
 وقد اف فيه بعض المعاصرين من علماء الشام كتاباً نفيساً . والعصر الذي
 نحن فيه يتطلب من هذا الباب فضل توسع ، وبذل عناية ، لان المعاني
 الجديدة المتدفقة ، والمبدعات العصرية المتكاثرة ، تتطلب من الالفاظ ما تعيا
 به مفردات اللغة اذا لم تفزع الى هذا الباب فتوسع منه ما ضيقه بعض
 المتشددين ثم تستمد منه العون فتجد منه خير معين ، واقوى نصير .

ثم ان هذا الباب اوسع من ان يحاط به في مثل هذه العجالة ولكننا
 نظرنا اليه من بعض نواحيه التي تتعلق بموضوعنا ، وتركنا التفاصيل
 للكتب الموضوعية فيه .

النحت

قد يعتمد العربي الى كلمتين فأكثر ، فيقتطع منهما حرفاً ويؤلف منها
 كلمة جديدة يدل بها على مجموع المركب الذي اقتطعت منه ، او على معنى
 آخر قريب من معنى ما اقتطعت منه . فيقول في النسبة الى «عبد شمس» :
 عبدشمي مثلاً . كما يقول : بسمَل فلان يريد انه قال : بسم الله الرحمن
 الرحيم . ويسمون المعجوز الصخابة الكثرة الهذر : صهصلق ، اخذاً
 من : صهل ، وصلق . بمعنى صهات صوتاً شديداً .

وقد اطلق علماء العربية على هذا النوع من العمل اللغوي النحت

✓ لان العربي ينحت من الكلمتين فاكثر كلمة ، وفي هذا العمل ما فيه من الفوائد مما يري الى امداد اللغة بالثراء . زيادة على ما فيه من الاختصار يكون الكلمة الجديدة تدل على جملة من القول . فقولنا : بسمل مثلاً اخصر من قولنا : قال بسم الله الرحمن الرحيم .

ولم يضع له الأوائل قواعد واضحة ، ولذلك اعتبره بعض النحاة سماعياً ، وقل الاعتماد عليه عند المتأخرين من العلماء على ما يظهر من كلام ابن مالك في تسهيله انه يعتبر هذا الباب قياسياً في باب النسبة ، ولكن ابا حيان انكر عليه ذلك ، وقال ان هذا الحكم لا يطرد ، وانما يقال منه ما قالته العرب فقط ، والمحفوظ منه عند ابي حيان : عبشمي في النسبة الى عبد شمس ، وعبد رى في عبد الدار ، ومرقس في امرئ القيس وعبقسي في عبد القيس ، وتيملى في تيم اللات . هذا ما اورده ابو حيان من المسموع في باب النسبة من المنحوت . ومعلوم ان النحت في غير باب النسبة اكثر منه في بابها فقد قالوا : هلل واكثر من الهيئلة ، اذا قال لا اله الا الله . وحوقل واكثر من الحوالة وحوقل بعضهم ان يقال حوقل ، وعده من الغلط وليس بشيء ، لانه جرى على السنة كبار اللغويين . ومن حفظ حجة على من لا يحفظ . واكثر من الحوالة اذا قال لا حول ولا قوة الا بالله . ومنه : حمدل حمدلة . وحسبل حسبله . قال : حبي الله . وحيميل حيملة قال : حي على الصلاة ، حي على الفلاح . وحيميل بمعنى قال حي على كذا .

قل الشاعر :

✓ اقول لها ودمع العين جار الم يحزنك حيلة المنادي

وجنفة جفدة . قال : جعلت فداك . ودمعز دمنزة ، قال : دام
عزك . وطابق طلبة ، قال : اطل الله بك ومشكن مشكنة ، قال :
ما شاء الله كان . وسمل سملة ، قال سمع الله لمن حمده ، وكبتع كبتعة ،
قال : كبت الله عدوك ، وسماع سملة ، قال : السلام عليكم . وقالوا :
حبرم القدر اذا وضع فيها حب الرمان ، وامثلة ذلك كثيرة ، حتى
ذهب ابن فارس وجاعة من المحققين الى ان الاسماء الزائدة على ثلاثة
احرف اكثرها منحوت ، مثل قول العرب : رجل ضبطر اي شديد ،
او ضنخم مكتمز اللحم ، منحوت من : ضبط وضبر ، بمعنى اشتد خلفه
وتوثق ، قال : ومنه اسد صلدم ، ورجل صلدم اي صلب ، منحوت
من صلدم وصددم ، وبشر منحوت من : بعث واثير ، وبخثر من بحث واثار
ويرى الخليل ان النحت يجي في الحروف ، قال : اصل دان ، لا
ان خففت فصارت لن ، وقد حدث لها بالتركيب معنى جديد في الجملة .
والنحت يدسموح في امداد اللغة باثروة ولا سيما لغة العلم ، ولكن
بعض المتأخرين من النحويين حاولوا بين اهل العلم وبينه بقولهم انه باب
سماعي ، وبذلك اوصدوه في وجوه القوم على حين الحاجة ماسة الى فتحه
وتوسيعه بقدر المستطاع لمعالجة الفاقة اللغوية تجار الماني العلمية التي فاض
فيضا ، وعَبَّ تيارها في هذا العصر .

ثم ما لنا وللمتشددین من متأخري النحاة الذين كلما انفتح امام
 اللغة باب تنفس منه هرعوا اليه وسدوه على زعم انهم يخدمونها بالمحافظة
 عليها وسد مسالك العجمة عنها، وما اشبه عملهم هذا بعمل تلك الصيدية
 التي تضع قدميها في زوجي خف من الحديد للمحافظة على غضارتها
 وجمالها، ولم تدر انه سوف يأتي عليها زمن تقعد فيه هاتان القدمان
 قوتها وتمجزان عن القيام بوظائفهما، وكذلك شأن اللغة عند هذا الفريق
 من القوم يوصدون عليها ابواب القياس، يأخذون عليها مجامع الطرق
 على زعم انهم يحرسونها ويحافظون على نظارتها، ويبقون على غضارتها،
 وفاتهم انهم بهذا الصنيع يملون على اماتها بانامة عناصر الحياة فيها،
 وابعاد عوامل النماء عنها، وانهم لا يزالون يضيقون عليها السبل حتى
 يقول المارجفون والذين في قلوبهم مرض: انها اصبحت لغة مصابة بفقر
 الدم، وذبول الخليات، ومنيت بسائر اعراض الهرم فصارت عاجزة
 عن ان يتسع صدرها للمعاني الجديدة المتكاثرة والمعلوم المصرية المتدفقة
 بالمصطلحات، وبذلك يسجلون عليها عجزها وهي غير عاجزة وفقرها وهي
 غير فقيرة، وانما العجز في نفوس الذين يزعمون انهم قائمون على خدمتها
 وهم في وادها مشتملون، والفقر في تفكيرهم وهم لا يعلمون.

القلب

هو تنديم بعض حروف الكلمة على بعض. وبذلك تولد كلمة

جديدة تتفق مع اصلها في مادة الحروف ، وتختلف عنها في الترتيب
 مثل : صاعقة وصاعقة ، وخطيب مصبق ومصقم ، ويئس وايس ،
 وعاث في الارض وعثا فيها ، واثول والوث ، ونزغ الشيطان بينهم
 ونغز ، وهو يتسكع ويتكسع اذا تحير ، ومرزاب السطح ومرزابه ،
 وكلام وحشى وحوشى ، وهم الاوباش والاوشاب ، اي الاخلاط
 من الناس .

وامثلة هذا كثيرة ذكر منها الجلال السيوطي في المزهرة جملة
 صالحة ، وقد الف فيه ابن السكيت كتاباً خاصاً . وعقده ابن دريد في
 جهرته باباً على حديثه ، وكذلك فعل ابو عبيدة في كتاب الغريب
 المصنف . وليس في هذا الباب كبير فائدة من حيث الثروة اللغوية
 الا من ناحية الالفاظ . اما المعاني فانها لا تتكرر به اذ المقلوب والمقلوب
 عنه يدلان على معنى واحد . فان جذب وجذب يدلان على معنى واحد
 وان تعددا لفظاً .

ويذهب البصريون من النحويين الى ان معظم ما يسميه اللغويون
 قلباً ليس به ، وانما هو من باب تعدد اللغات فجذب عندهم مثلاً لغة قبيلة
 وجذب لغة قبيلة اخرى ، وعلى هذا يكون الكثير مما يظنون ان
 القلب قد دخله ليس بذلك ولا يتحقق القلب عند هؤلاء الا اذا تم
 لاحدي اللفظتين من التماثيل ما لم يتم للاخرى . فمئذئذ يعتبرون
 اللفظة ذات التصريف اصلاً ، وذات التصريف الناقص فرعاً مثل :

يئس وايس فافهم لما وجدوا للاولى منها مصدراً وهو اليأس ولم يجدوه
 للثانية ، قالوا ان الاولى اصل والثانية فرع . وليس هناك فائدة مهمة
 من وراء هذا الخلاف الا من وجهة واحدة وهي انه : هل كانت
 القبيلة الواحدة من العرب تستعمل اللفظتين معا ، او كانت تستعمل
 لفظاً واحداً منهما ، ولللفظ الثاني تستعمله قبيلة اخرى سيأتي في باب
 المترادف ما ياتي شيئاً من النور على هذه المسألة ، لان اللفظين في هذا
 الباب لا يخرجان عن كونهما مترادفين سواء قلنا بالقلب او بتعدد
 اللغات .

الابدال

عرفنا ان القلب نقل حرف من موضعه الى موضع آخر من الكلمة
 نفسها فتولد من ذلك كلمة اخرى جديدة . وبعبارة اخرى تصير الكلمة
 الواحدة كلمتين .

اما الابدال فهو ان ترفع حرفاً وتضع غيره موضعه . فتولد من
 ذلك كلمة اخرى تدل على عين ما تدل عليه الاولى من المعنى فهو اخو
 القلب من ناحية اثره في الثروة اللفظية للغة دون المعنوية منها .

وقد اختلفوا فيه كما اختلفوا في القلب فقال فريق المبدل والمبدل
 منه يتعمان في لغة القبيلة الواحدة . فالقبيلة التي تقول : « صراط » هي
 نفسها تقول « سراط » . ويذهب المحققون الى ان العرب لا تعتمد

تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لفظاً، لقبائل مختلفة تدل على معاني متفقة، بأن تتقارب اللفظان في لغتين بمعنى واحد حتى انهما لا يختلفان الا في حرف واحد. وعلى هذا لا تنكلم القبيلة الواحدة بكلمة طوراً بالصاد وطوراً بالسين انما يقول هذا قوم وذلك قوم آخرون.

ومن امثلة هذا الباب قولهم: ضربة لازب ولازم، وتعلم وتعلمم، والقطر والقطر للناحية، ووجهها: اقطار واقتار. والحثالة والحثالة للرديء من كل شيء، والثوم والفوم وهو الحنطة. والثام والانسام. وبثر وبثر ومد الحرف ومطه، والثرى والبرى... الخ والامثلة كثيرة تكاد تقوت الحصر، حتى قال بعض المحققين قلما تجد حرفاً الا وقد جاء فيه البدل ولو نادراً. يريد به البدل السماعي. اما ما يذكره الصرفيون من ان حروف الابدال تسمة (ا، ت، د، ط، م، هـ، و، ي)، فانهم يريدون به الابدال القياسي وهو مفصل في كتبهم وليس من موضوعنا الاضافة فيه. وللابدال السماعي دواعي كثيرة منها سهولة اللفظ باحد الحرفين المبدل او المبدل منه ومنها - وهو اهمها - البيئة فان لها الاثر البين في تنشئة الاسن، ولهذا تجد القبائل اليمنية مثلاً تختلف في كثير من الألفاظ عن القبائل الحجازية، فان هؤلاء ينطقون السين سيناً فيقولون الناس مثلاً وأولئك يلقبونها ناء فيقولون الناء، وهؤلاء يقولون: لبيك وسعديك مثلاً، وأولئك ليس وسعديش بقلب الكاف شيناً وهي شذوذهم:

وسنعرض لهذا البحث في باب اختلاف لغات القبائل ونمنحه
فضل ايضاح ان شاء الله تعالى .

الترادف

من الالفاظ ما يؤدي معنى واحداً كرجل، وفرس، وبغداد، ومكة
مثلاً . ومنها ما يؤدي اكثر من معنى واحد على وجه الحقيقة مثل خال
فانه موضوع لآخي الام وللشامة المعروفة وللحجاب وللمتكبر .. الخ .
ومنها ما هو بالعكس ، معنى واحد يوضع للدلالة عليه اكثر من لفظ
واحد . فاهم مثلاً وضوا الحنطة ، والقمح ، والبر ، والفوم ، والثوم ،
للحب المعروف . ووضعوا للسيف خمسين اسماً وللأسد ثمان ، واكثر
منها للجمل . وامثلة هذا الباب كثيرة ، وقد افردته بالتأليف جماعة منهم
مجد الدين الفيروزبادي صاحب القاموس ، وضع فيه كتاباً اسماه
« الروض المسلوف في ماله اسمان من المؤلف » وبعضهم افرد بالتأليف
اسماء بعض المعاني . فالف ابن خالويه كتاباً في اسماء الحية ، والف
الفيروزبادي كتاباً في اسماء العسل . وافرد السيوطي كتاباً في اسماء
الاسد . ومن الناس من ينكر المترادف في اللغة العربية ، ويزعم ان كل
ما يظن انه من المترادف انما هو من قبيل المتغيرات التي تختلف باختلاف
الصفات ومن ذهب الى هذا ابو الحسين احمد بن فارس ، قال في كتابه :
فقه اللغة المعروف بالمصاحبي « يسمى الشيء الواحد بالاسماء المختلفة نحو

السيف ، والمهند ، والحسام ، والذي نقوله في هذا: ان الاسم واحد وهو
السيف وما بعده من الالقاب صفات ، ومذهبنا ان كل صفة معناها غير
معنى الاخرى ،

وهو مذهب ثملب وجماعة من محققي اللغويين . وقد حكى بعضهم ان
جماعة من اهل الفضل فيهم ابن خالويه وابو علي الفارسي حضروا
في مجلس سيف الدولة في حلب فقال ابن خالويه : اني احفظ للسيف
خمسين اسماً ، فتبسم ابو علي الفارسي وقال : ما احفظ له الا اسماً واحداً
وهو السيف قال ابن خالويه : فان المهند والصارم وكذا وكذا .. فقال
ابو علي : هذه صفات وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة .

ومن الواضح ان الترادف خلاف الاصل لانه طريق الى الاسراف
في الالفاظ وهو خلاف المعقول ، لأن الالفاظ محصورة والمعاني غير
محصورة . إذ الالفاظ مركبة من الحروف الهجائية على اوضاع معينة
فلا بد ان تقف عند رقم معين . اما المعاني فهي بنات المحسوس ونتاج
العقول فلا يمكن ان تقف عند حد ..

ومن ثم ينبغي ان يكون الاصل الاقتصاد في الالفاظ بقدر الطاقة
وعلى هذا ينبغي الا نقول بالترادف الا عندما يتعذر الحمل على غيره .
والحق ان معظم الالفاظ التي يقال في بادي الرأي انها متوطئة على معنى
واحد - هي في الواقع ليست كذلك . فاذا انت اذمنت النظر فيها تبين
لك ان كل لفظ منها يدل على معنى يختلف ولو قليلاً عما يدل عليه اللفظ

الآخر . فاذا اخذنا لفظي الشك والريب مثلاً نجد الجمهور يفسرون
 احدهما بالآخر ، فيقولون في تفسير « لا ريب فيه » لا شك . مع ان بين
 معنييهما اختلافاً بينا . فالشك يدل على مجرد التردد بين امرين لا يرجح
 احدهما على الآخر ، مع ان الريب يدل على القلق والاضطراب في
 النفس متولدين من التردد الذي يدل عليه الشك ، فالريب شك مصحوب
 بقلق واضطراب ، ومن ثم يقال : هو في شك مريب اي مقلق مزعج ،
 ولا يقال هو في ريب مشكك ، وعلى هذا لا بد ان يسبق الريب بالشك ،
 ولا عكس . ومثل ذلك : النّظن والوهم ، فان الفكر اذا تردد بين امرين
 وكان احدهما ارجح من الآخر فالجانب الراجح ظن والمرجوح وهم
 (يشكون الهاء ، اما المفتوح الهاء فهو الخطأ) وكذلك اذا اخذنا الشرق ،
 والغصص ، والشجى مثلاً : نجد الاول يدل على انسداد مجرى التنفس
 بالماء وكل مائع ، والثاني يدل على انسداده بالطعام ، والثالث بالعظم وكل
 صلب ، وبض اللغويين يفسر بض هذه الالفاظ ببعض .

ومثل هذا : جلس وقعد ، يظن أنهما مترادفان ، مع ان اللفظة
 الاولى لا تطلق على الهيئة المخصوصة الا اذا كانت عقب الاضطجاع
 او الاستلقاء ونحوهما ، والثانية انما تطلق على تلك الهيئة اذا كانت عقب
 الوقوف ونحوه . فيقال : كان مضطجماً جلس ، وكان واقفاً قعد .
 فالجلوس يكون بعد حالة هي دونه ، والقعود بعد حالة هي فوقه . واصل
 مادة (ج ل س) تدل على الارتفاع ، ومنه قيل للذي ينزل نجداً جالس ،

ومادة (ق ع د) تدل على الانخفاض ، ومنه قاعدة البناء لأساسه .

الاشتراك

من الالفاظ ما هو موضوع بازاء معنى واحد مثل : بغداد لهذه المدينة ، ومنها ما يدل على اكثر من معنى . وهذا اما ان يكون في الاصل موضوعا لمعنى واحد ثم استعمل في غيره لعلاقة بين المعنيين مع قرينة تمنع من ارادة المعنى الاصلي ، كلفظ الوطيس فانه موضوع في الاصل للتنور ، ويطلق على شدة بأس الحرب لما بينهما من المناسبة الظاهرة ، فيقال : حمى الوطيس ، او حمى وطيس الحرب ، وهو في المعنى الاول حقيقة ، وفي الثاني مجاز . وقد يشتهر اللفظ في معناه المجازي بحيث يتبادر الى الذهن بمجرد اطلاقه مجرداً عن القرائن . فان كان الاشتهار عند اهل الشرع سمي حقيقة شرعية او منقولاً شرعياً ، مثل الصلاة ، والزكاة ، والوضوء ، والتميم . وان كان الاشتهار عند اهل العلوم سمي حقيقة اصطلاحية او منقولاً اصطلاحياً كالضرب والطرح ، والقائمة والحادة عند الرياضيين ، والتمييز والمبتدأ والخبر والضمة والفتحة والكسرة والسكون عند علماء العربية ، وان كان الاشتهار في العرف العامة سمي حقيقة عرفية او منقولاً عرفياً ، كالحيو ان للبهيمة خاصة مع انه في الاصل اعم من البهائم وغيرها . واما ان يكون اللفظ في الاصل موضوعاً لكل واحد من تلك المعاني بوضع مستقل فهو المشترك .

فالمشترك اذاً هو اللفظ الموضوع لمعنيين فاكثر باوضاع متعددة ، كلفظ الخال فانه موضوع لأخ الام وللشامة وللشباب . وامثلة المشترك كثيرة جداً ، فقد ذكروا لبعض الالفاظ معنيين مثل : العم لأخ الاب وللجمع الكثير ، وذكروا لبعضها ثلاثة معان مثل : النوى لمعناه المعروف وللنية وللبعد . ولبعضها اربع معان مثل : الروبة « الروبة » من غير همز « لحمرة اللبن ، وجمام ماء الفحل ، وما يلزم به المرء من الاعمال ، وقطعة من الليل . وذكروا لبعض الالفاظ خمسة معان الى العشرة بل الى العشرات مثل : الخال والعين حتى ان كثيراً من الشعراء نظموا القصائد الخاليات والعينيّات ، بان جملوا قوافيها لفظ الخال او العين من اول القصيدة الى آخرها .

وانكر بعضهم ورود المشترك في اللغة قائلاً ان اللغة انما وضعت الابانة عن المعاني ، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين فاكثر لما كان ذلك ابانة بل تعمية وتغطية .

ولا شك في ورود المشترك ، واما ما ذكره المعارض فلا يخرج عن كونه عيباً من عيوب الاشتراك وهنة من هنواته . ولا يمكن لا يلزم من كون الشيء معيياً ان يكون مفقوداً فلو هب لعصار فاملك الزرع والضرع فهل يجهل بنا ان ننكر وجود لعصار لانه مضر في ذاته ؟ هذا ما لا يقوله عاقل .. على ان وقوع المشترك يكاد يكون طبيعياً في اللغة ، وذلك لأن الالفاظ مركبة من الحروف وهي محدودة والمعاني

كثيرة ولا تزال تتجدد ولا تنتهي ، فلاقتصاد في استعمال الالفاظ
يقضى بجمل اللفظ موضوعا بازاء اكثر من معنى والتمييز يكون بالقرائن
الحالية او المقالية . فمن قال مثلا : في خد فلان خال لا يشبهه بانه الشامة ،
واذا اشار الى رجل قائلا : هذا خالي ، فلا شك بانه اخو امه .

واسباب الاشتراك كثيرة ، منها : اختلاف الوضع باختلاف
الواضعين كأن يضع بعض الناس لفظا بازاء معنى ، ثم يضعه الآخرون
بازاء معنى آخر ويشتهر ذلك اللفظ بذينك المعنيين عند كلا القبيلين . ثم
بتطاول الازمان ينسى اختلاف الواضعين . ومنها كثرة استعمال المجاز
حتى يشتهر ويصبح كأنه حقيقة في احدهما ومجازاً في الآخر ، مثل
العين لريثة القوم ، فانه في الاصل مجاز من اطلاق الجزء وارادة الكل ،
ولكنه اشتهر في الاستعمال حتى اصبح اللغويون يعدونه في جملة معاني
العين المشتركة . وعلى ذلك كثير من الالفاظ التي تعد اليوم في زمرة
المشترك . وهي في الاصل حقيقة ومجاز . وهذا هو السر في توهم بعض
الناس لهذا المهد بان عرب الجاهلية تقلل من استعمال المجاز في شعرها
ونثرها . والواقع ان اولئك العرب كغيرهم كانوا يكثر من استعمال
المجاز ولكن لما اشتهرت تلك المهاني المجازية وتطاول عليها العمر اصبحت
تترامى لنا اليوم كأنها حقائق . فازعوزتلك الامثلة الكثيرة في هذا
الشأن فارجع الى معاجم اللغة ودواوين الادب تجد الشيء الكثير من

طلبتك . وعليك أساس البلاغة للزمخشري فإنه اعذب مورد في
هذا الباب .

الاضداد

قد يدل اللفظ المشترك على معنيين فاكثر يمكن اجتماعهما او
اجتماعهما في شيء واحد ، وقد لا يمكن هذا الاجتماع فيدل اللفظ الواحد
على الشيء وعلى ضده كالجون للأسود والابيض . ويطلق عليه اهل
اللغة اسم الضد . ويقال فيه ما يقال في المشترك من الورد وعدمه .
واسباب ذلك لانه فرع من فروع لا يختلف عنه الا من جهة انه يدل
على الشيء وضده فقط . وامثله كثيرة . وقد افرد جماعة بالتأليف
منهم : المبرد في كتاب « ما اتفق لفظه واختلف معناه » ومنهم التوزي
ومنهم ابو البركات ابن الانباري وابن الدهان والصغاني ، ومنهم ابو بكر
ابن الانباري وكتابه مطبوع متداول ، وقد ذكر في صدره السر في
ورود اسماء الاضداد في اللغة ، فارجع اليه ان شئت .

المجاز

لا يختلف اثنان بان المجاز من اهم عوامل التوسع في مناحي
الاستعمال اللغوي . فاذا اشترت فرسا وقات اشترت بحراً مثلاً اي
انه ينصب في الجرى انصباب ماء البحر كأنك تكون قد زدت في
اسمائه لفظاً كما انك زدت في مدلول لفظه « بحر » معنى جديداً وهو

الفرس القوي ، السريع الجرى . ومثل هذا اطلاق الرحمة على الجنة في قوله تعالى : « ففي رحمة الله هم خالدون . » فانك قد زدت في اسماء المكان لفظا كما انك زدت في مدلول الرحمة معنى جديداً
وقد علمنا في باب الترادف ان كثيراً من الجازات تصبح بسبب كثرة الاستعمال حقائق . واذا انت تأملت المستعمل من الكلام تجد للمجاز فيه حظا ليس بالقليل حتى ذهب ابو الفتح ابن جني ومن تبعه الى ان اكثر اللغة من هذا القبيل . وقد عمد لذلك بابا في كتاب الخصائص اورد فيه الكثير من الامثلة ، ودعم مدعاه بالمقول من الادلة ..

ويعتقد ابو الفتح ان المجاز انما يقع ويعمل اليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي : الاتساع والتوكيد والتشبيه . فاستعمال البحر في الفرس مثلاً فيه اتساع كما ذكرنا وفيه تشبيه لان جريه يجري في الكثرة مجرى ماء البحر ، وفيه توكيد لانه شبه العرض وهو الجرى بالجواهر وهو البحر ، والجواهر أثبت في النفوس من العرض . والمجاز زيادة على كونه عاملاً من عوامل اتساع اللغة وهو حلية من اخر حلالها ترينت به بمد ان ضرب العرب في النهضة الاجتماعية بهم .

والحق ان المجاز ثالث ثلاثة في توسيع رقعة اللغة ، فكان عمدة القوم في بادي الامر على الارتجال ثم لما توفر لديهم طائفة من الالفاظ المرتجلة ركبوا الى الاخذ بالاشتقاق والتوسل بالاساليب المختلفة . وعندما يعوزهم

الاشتقاق يعتمدون الى المجاز .

ويقارب هذه العوامل الثلاثة في خدمة التوسيع التعريب والكنياة
اخت المجاز . يقال فيها ما يقال فيه فلا حاجة الى التكرار .

الفاظ الاسلامية

جاء الاسلام والامية فاشية في العرب ، والجهل ضارب بجرانه فيما
بينهم فامدهم بما لا عهد لهم به من العلم الكثير ، والانقلاب العظيم
فتكاثرت المصطلحات الجديدة وعبَّ عبابها فتمطت اللغة عند ذاك
وفتحت صدرها الرحب لضم تلك المصطلحات بمعانيها الجديدة ولم
تضق ذرعاً بتحمل ما حملته في هذا السبيل بل نهضت بكل ذلك نهوض
القادر الامين بعد ان كان العربي لا يفقه من شؤون دينه وديناه الا النزر
الذي يسطر عليه القرآن والسنة بالفيض الفائض منهما . ثم جاءت الفتوح
واتسع سلطان القوم فازدحت اللغة بالمصطلحات الكثيرة التي اقنضتها
الامور السياسية والادارية والتطورات الاقتصادية والاجتماعية ثم لم
تزل الاحداث تتوالى والاحكام تتجدد وتتكاثر بتجدد الاحداث
وتكاثرها الى ان استوى لدى القوم من المصطلحات الشيء الكثير حتى
انهم افردوها بالتأليف ، وكثرت فيها التصانيف ..

وليس معنى هذا ان تلك المصطلحات كلها ارتجت ارتجالاً
وابتدعت ابتداءً وانما جلها معاني جديدة نقلت اليها الفاظ من اللغة

كانت مستعملة في معاني اخرى تتناسب مع المعاني الشرعية ، وربما
عربت الشريعة بعض الالفاظ بمعانيها ومن امثلة المصطلحات
الاسلامية : الصلاة واصلاها في لغتهم الدعاء والترحم ثم نقلها الشرع الى
المعنى المعروف للمناسبة الظاهرة . ومن ذلك الركوع ، واصله الخضوع
فنقله الشرع الى الهيئة المخصوصة ، ومثله السجود فان اصله التظامن
والذلة وهو في الشرع عبارة عن الهيئة المخصوصة ، ومن ذلك الزكاة لم
تكن العرب تعرفها الا من ناحية النماء . ومن ذلك المحرم للشهر المعروف
فانه لم يكن معروفا في الجاهلية وانما كان يقال له ولصفر الصفران .
وكان اول الصفرين من الاشهر الحرم . وكانت العرب تارة تحرمه وتارة
تقاتل فيه . فلما جاء الاسلام وابطل النبي ﷺ سماه انبي (ﷺ) شهر الله
الحرام . ومن ذلك الجاهلية فانه اسم حدث في الاسلام للزمن الذي كان
قبل البعثة . ومن ذلك العاسق واصله خروج "شيء من الشيء" على وجه
الفساد . يقال : فسقت الرطبة اذا خرجت من قشرها وكذلك كل شيء
خرج عن قشره فقد فسق . ثم نقله الاسلام الى الخروج عن الطاعة .
والامثلة في هذا اكثر من ان يحاط بها . ومن اراد التوسع في هذا
الباب فليراجع الكتب الشرعية من التفسير وغريب الحديث واصول
الدين والفقه واصوله فانه يقف على فيض من تلك المصطلحات المنبثقة هنا
وهناك . وتجدهم هناك يقولون لهذه اللفظة معنيان معنى في اللغة ومعنى
في الشريعة . وانما انفردت الالفاظ الاسلامية عن سائر مصطلحات

العلوم كالعربية وغيرها لما للشرع من معنى الشمول . فان الالفاظ الشرعية تتمتع من الانتشار والشمول بما لا تتمتع به مصطلحات العلوم الاخرى . فان الذين يعرفون الصلاة - مثلاً - بمعناها الشرعي اكثر بكثير من الذين يعرفونها بمعناها اللغوي . اما مصطلحات العلوم المختلفة فان معرفتها بمعانيها الاصطلاحية متصورة على اهل تلك العلوم ، فمصطلحات النحو - مثلاً - لا يفهمها سوى النحوي . ومصطلحات العروض لا يعرفها غير العروضي ، خلاف المصطلحات الشرعية فانها مشاعة بين جميع افراد الامة عامتهم وخاصتهم .

واستعمال الالفاظ الشرعية بمعانيها الشرعية من قبيل الحقائق عند اهل الشرع واستعمالها بمعانيها اللغوية من قبيل المجازات عندهم ، والامر عند اللغويين بالعكس . فالصلاة بمعناها الشرعي حقيقة عند الشرعيين مجاز عند اللغويين وهي بمعناها اللغوي مجاز عند الشرعيين حقيقة عند اللغويين . ولهذا يقول علماء البلاغة ان الحقيقة اقسام منها اللغوية ومنها الشرعية . وكذلك المجاز منه الشرعي ومنه اللغوي .

الاصطلاح

قلنا ان الالفاظ الشرعية لا تخرج عن كونها مصطلحات ولاكنها اوسع شمولاً من مصطلحات سائر العلوم لان اتباع الشرع اكثر عديداً من اتباع كل علم من العلوم الاخرى على حدته ، ولما اتسع نطاق المعارف

وبسقت دوحها وتبارت العقول في خدمتها وتنميتها وانماز كل علم منها
بمسائله وقواعده . من علوم شرعية الى لسانية الى كونية وتكاثفت
اغصانها وفروعها - احتاجوا الى كل فرع منها الى وضع مصطلحات
كثيرة للعاني الكثير التي زخرت بها تلك العلوم . فمصطلحات العلوم
اللسانية تختلف عن مصطلحات العلوم الشرعية . وهذه تختلف عن
مصطلحات علوم الفلاسفة مثلاً . فالعالم عند النحوي مثلاً غيره عند
الفقيه والفيلسوف . وكذلك الكلام والتميز والحال والاعراب والبناء
الى غير ذلك من الكلم التي اصطلح عليها اهل كل علم في علمهم .
وكان ارباب العلوم اذا جد لهم معنى وضموه له لفظاً يناسبه فان اعوزهم
فزعوا الى الاشتقاق او النحت او غيرها وقد يتصرفون في اللغة تصرفاً
يغضب اللغويين او المصرفين ولا يكنهم لا يبالون بذلك اذا ارضوا
المعنى الذي يريدونه ، فقالوا : الادرية او العندية والمتى والايين .. الخ .
واذا ضنت عليهم العربية او بالاصح لم يتوقفوا للوصول الى بغيثهم منها
فزعوا الى التعريب فقالوا : سفسطائية واسسطس وايساغوجي ،
واقرباذين .. الخ

وقد تمايزت مصطلحات كل علم عن غيرها ، واذا ضنت
مصطلحات العلوم المختلفة الى بعضها يتوفر لديك مجمع ضخم له شأنه .
وقد فعل ذلك بعض المتأخرين فتم لديهم الشيء الكثير . ومجموع
ذلك يؤلف لغة قائمة بنفسها هي لغة العلم ، وعليها المعول في كل لسان .

وانا ارى ان معجم المصطلحات يجب ان يسبق المعجم اللغوي
لانه الزم ، والانتفاع به اكثر ..

الفاظ المولدة

قلنا ان المنابع الكبرى التي استقيت منها اللغة العربية انما هي
القرآن الكريم والحديث النبوي وكلام العرب الموثوق بعريتهم من
المعلوم ان القرآن تم قبل انتقال الرسول الى الملا الأعلى بزمن يسير
وان الحديث النبوي ختم بانتقاله ، فبقى كلام العرب الموثوق بعريتهم
واستمرت الثقة به الى ان اختلت سلائق القوم واضطربت المنتم
على اثر اختلاطهم بحمراء الامم وصفراءها فما كاد ينطوي بساط القرن
الاول الهجري حتى انقضى عمر الاعتماد على كلام المنحصرة من العرب
اما العرب ؟ فامتد اجل الثقة بكلامهم الى ما بعد القرن الاول ، ولكنه لم
يطل الى ما بعد القرن الثالث الا في قبائل قليلة كانت معتمدة في شعاف
بعض الجبال المنقطعة عن العمران ، او الضاربة في بعض البوادي النائية
التي لا تتصل بالحضر الا في القليل ، وهم شرادم لا يعتمد بهم ، فالاخذ
عن حاضرة العرب ومن يتصل بها او يكثر التردد اليها من اهل البادية
ينتهي بجرير والفرزدق ومن في طبقتهم ، ومن هناك تبدأ طبقة المولدين
من مخضرمي الدولتين وعلى رأسها بشار وحماة عجرد ووالبة بن الحباب
ومن في طبقتهم فما حدث في عهد هذه الطبقة وما بعدها من الفاظ

يسمى مولداً ، وبعبارة أخرى ما أحدثه المولدون من الالفاظ يسمى المولد ، ويقال له العربي . فيقال هذه لفظة مولدة وهذه عربية ، كما يقابل المعرب والدخيل بالعربي الصميم . فيقال هذا لفظ معرب وهذا من الصميم ..

وامثلة الالفاظ المولدة كثيرة تكاد تقوت الحصر من ذلك :
 التحرير كان الاصمعي يقول : انه ليس من كلام العرب وإنما هو مولد .
 وأخ كلمة تقال عند التألم والتأوه والعربي اح بالحاء المهملة . ومن المولد السكابوس وهو ما يشعر به النائم من الثقل ، ومنه الفطرة والعربي صدقة الفطر او زكاة الفطر ، وهي من الالفاظ الاسلامية ومنه التفرج قال النووي : ولعله مأخوذ من انفراج الغم ، ومنه الجبرية والقدرية من مذاهب المتكلمين . الاول يطلق على من يقول الانسان مضطر في افعاله غير مختار ، والثاني يطلق على من يقول بان الانسان فاعل باختياره وخالق لافعاله ، ويقال للاولين اهل الجبر وللآخرين اهل القدر .
 ومنه الطفيلي وهو من يأتي الولائم من غير ان يدعى اليها ، وطفيل رجل كوفي كان يغشى الولائم من غير دعوة ويبالغ في ذلك فنسب اليه كل من يفعل مثل فعله ، وعربيه الضيفن لمن يجيء مع الضيف من غير دعوة ، والوارش لمن يدخل على القوم في طعامهم فيأكل من غير دعوة . والواغل لمن يدخل على القوم في شرايبهم فيشرب معهم من غير ان يدعى الى الشرب . ومن المولد المخزقة وهي الافتعال والاحتيال ،

ومنه البحران وهو اعلی ما يصل اليه المرضى من الشدة وليس بده الا
الموت او البدء بكسر سورة المرض شيئاً فشيئاً ، وهي اصطلاح طبي ،
ومنه تبعد اذا تشبه بالبعدين وليس منهم ، ومنه : بس بمعنى حسب ،
وقيل هو عربي مأخوذ من البس وهو القطع وانشدوا :

يحدثنا عبيد مالفينا فبسك يا عبيد من الكلام

وانت ترى ان البس بمعنى القطع ثلاثي ، ولفظ بس المستعمل
بمعنى حسب ثنائي وشتان بينهما . نعم لو قال قائل لآخر بساً اي بس
كلامك بساً بمعنى اقطعه قطعا لكان صواباً . ومنه التخمين وهو القول
بالحدس ، ومنه الفشار للذيان والاقذاع في القوال .

تغيير

يعد من المولد كل لفظ كان عربي الاصل ثم غيرته الامة تغييراً
ما ، بأن كان ساكناً اخر كنه او متحر كاً فسكنته ، او مهموزاً فتركت همزه
او بالعكس ، او قدمت بعض حروفه على بعض او حذفت وما الى
ذلك .. مثال ذلك ان العرب تقول : في رجل سمح وفي اسنانه حفر
وفي بطنه معنس او منص وحدث في الناس شغب ، وجبل وعر ،
وبلد وحش ، وحلبس في حلقة القوم كل ذلك بسكون المين والامة
تحر كها ..

وتقول العرب : اصيب فلان بالتخمة وهو من التخمة اي الخيار

وهذه لقطة وهي تحفه ، وتناول الصبر للدواء المر المعروف ، وطلمت الزهرة للنجم المعروف وسعف النخل ، والسحنة للهيئة كل ذلك بالتحريك والعامية تسمكته . والعرب تقول : هنأني الطعام ومرأني وطرأت على القوم وترأست عليهم كل ذلك بالهمز والعامية تتركه . والعرب تقول : رجل عزب ، وهذه كرة ، وتمسه الله وكبه لوجهه والعامية تزيد فيه الهمزة فتقول : رجل اعزب ، وهذه اكره ، واتمسه الله ، واكبه لوجهه . وامثلة ذلك كثيرة تجدوها مبثوثة في ثنايا معاجم اللغة ودواوين الادب . وقد افردته بالتأليف جماعة منهم : الموفق البغدادي في ذيل الفصيح ، والحريري في درة النواص في اوهام الخواص . وقد عقد له ابن قتيبة في ادب الكاتب اكثر من باب ، وعقد له الجلال السيوطي باباً خاصاً في الجزء الاول من كتابه المزهر في علوم اللغة وانواعها .

المعرب والتعريب

المعرب ما استعملته العرب في كلامها من الالفاظ لمان في غير لغتها ، وقد اشترط بعضهم ان يكون اللفظ الذي تتلقاه العرب من العجم نكرةً مثل ابريم وجوقه وسرداب . فاذا كان علماً مثل ابراهيم واسماعيل واسحق فلا يسمى معرباً وانما يسمى اعجمياً .

ومن هذا تعلم ان التعريب هو نقل الكلمة من لغة اجنبية الى اللغة

العربية بتغيير او ، بدونه ويسمى الاعراب ايضا . مثال ما تغير عند التعريب « سكر » فانه معرب « شكر » واقليد وهو المفتاح فانه معرب « كليلد » وبنفسج ، فانه معرب « بنفسه » ، وهزمن فانه معرب « انجمن » لمجمع الناس . ومثال ما عرب من غير تغيير النوروز ، والكاغذ ، والبنخت بمعنى الحظ . هذا ولا جرم ان استمداد لغة من اخرى يعد ، من اساليب نمائها ، فالتعريب بالنسبة للغة العربية احد عوامل توسعها ، فقد تناولت هذه اللغة طائفة من الكلام حتى اصبحت من لحمها ودمها وما من ذلك عليها من عاب ، لان اللغة الحية تشبه المخلوقات تفتقر في بقائها ونمائها الى مختلف الاغذية وفي عداد هذه الاغذية ما تفتزعه لغة من اخرى من مختلف الكلام هذا اذا كانت اللغة قوية البنية ، والا فقد تكون بعض اللغات مرعى خصيبا لبعض آخر تأكل ما تشاء وتذر ما تشاء كما وقع في اللغة التركية فانها عاثت بجاراتها العربية والفارسية وأكلت منها اكل النهم الشره ولكنها بشمت وعسر عليها هضم ما ازدرته فخارت في امرها ولم تنزل حائرة ...

واما لغتنا العزيزة فهي - والله الحمد - من اقوى اللغات على الهضم والتمثيل تنزع اللفظة من اية لغة شاءت ثم ترددها فلا تبرح ان تهضمها وتمثلها ايما تمثيل وتجري عليها تصاريدها وتصبح كأنها في الصميم منها . حتى ان علماء اللغة وأئمتها ليحارون في هذا الباب كل الحيرة ويتعسر بل

يتعذر عليهم في كثير من الأحيان تمييز الاصيل من الدخيل حتى ادى الامر ببعضهم الى انكار ان يكون فيها شيء من غيرها البتة وانقلب الامر على آخرين فاخذوا يفككون عراها وينكشونها نكشا ، ويخرجون ما هو منها في الذؤابة فينسبون به الى غير اصله ويردونه الى غير اهله ، وما ظنك بقوم بلغ بهم الهوس في هذه الناحية حتى اخرجوا لفظ « الادب » من صميم لغة العرب ، وهذا - لعمرك - شذوذ في الشذوذ ، وتطرف في التطرف . ولسنا في مقام المناقشة لهؤلاء الناس في هذا الشأن لان لنا معهم مقالا في غير هذا المقام ، ولكننا نريد ان نقول : ان اهم ما يجتنيه الباحث من الثمر في باب التعريب هو الالمام بطرقه التي سار عليها اسلافنا لان معرفة تلك الطرق وسير منرجاتها من اهم ما نستعين به في تدليل ما نحن بسبيله من العقبات في وضع المصطلحات العلمية التي فاض فيضها وتدفتت اثمارها .

نحن لا نشك في ان اولينا كانوا يسيرون في هذه السبيل على سجية لغتهم ويكفونهم فوق طاقتها ولا يتصرفون في امدادها بكل ما يسد حاجتها ، ويشبع نهمها ، حتى اوصلوها الى ما اوصلوها اليه من البسطة في المادة والنصاعة في البيان فوعت عنهم ما شاؤوا ان يوعوها من علم وادب ولم تضق ذرعاً بحمل ما حملوها من معقول ومنقول ومحسوس وغير محسوس كالم يبخلوا عليها بكل ما تطلبته منهم من خدمة صادقة وتغذية صالحة .

فهل يشك متأدب اليوم بأن اللغة بمدحجي القرآن الكريم والنهضة
 الإسلامية غيرها قباها، بل هي في العصر العباسي غيرها في صدر
 الإسلام فإذا قارنت بين لغة العلوم اللسانية والشرعية والكونية ولغة
 عرب الجاهلية تجد البون بعيداً والمسافة قصية وهل يرتاب مرتاب في
 أن لغة الغزالي والرازي وابن رشد في تأليفهم تختلف عن لغة امرئ
 القيس والزبارة وزهير وأن لغة هؤلاء لم يتعمدها أهل المعرفة بالخدمة
 والتوسع والصقل والتهذيب لضافت ذرعاً بتلك العلوم الكثيرة
 والمعارف الغزيرة ..

أما نحن فيجب علينا ونحن في عصر يتدفق بالمعارف ألا نتف
 موقف الجبان المتهيب وما علينا إلا أن نشق لنا طريقاً لا حبا من بين هذه
 العقاب المنيعه ونتخذ من أعمال أولينا مناراً نأتم به في عمالنا ونستشير به في
 هذه السبيل ولهذا كان من واجب أبناء العربية لهذا العهد أن يتعلموا هذه
 الناحية بحما ليعرفوا ما يأتون وما يذرون في تمهيد طريق الحياة للفتهم
 هذه في هذا العصر الذي تطورت فيه الأفكار تطوراً هائلاً وصار من
 البعيد أن تقوم قائمة للغة إلا إذا مشت مع أفكار بنينا كنفنا لكشف ،
 وسننشر في آخر هذه المحاضرة نماذج من طرق التعريب التي سلكها
 الأولون وعلى الباحث أن يرجع إلى ما افردته العلماء من التأليف المهمة في
 هذا الباب الواسع ...

وذهب أناس إلى أن ضبط الكلمات ومعرفة معانيها ، وضروب اشتقاقها و كيفية استعمالها يغني عن معرفة أن هذه الكلمة أصل في اللغة أو مستعارة ، ولا سيما بعد أن نحكم بأن اللفظ المستعار لا يلبث أن يأخذ مكانه من اللغة المستعمرة ويكون له ما للاصيل وعليه ما عليه فاي فائدة تعود علينا من البحث عن أصله والرجوع إلى سنخه وهل هذا إلا ضرب من ضروب العبث ولون من الوان الالهو بالباطل ، وذهب آخرون إلى أن هذه المباحث حجة الفوائد كثيرة الثمر وهي أكبر معين في دراسة تاريخ اللغة وفلسفتها وأقوى نصير في معرفة أسرار نمائها وعوامل بقائها إلى غير ذلك من الفوائد التاريخية واللغوية .

بماذا يعرف المعرب :

الأصل في كل كلمة تستعملها العرب أن تكون عربية النجار إلى أن يقوم الدليل القاطع على أنها معربة . ولا ينبغي الحكم عليها بالتعريب بمجرد موافقتها أو مقارنتها كلمة تستعمل بمعناها في اللغة العجمية . إذ قد تكون الكلمة في العربية أصلاً وقد نقلها العجم إلى لغتهم مثل لفظة « الجمل » فإنها أصل في العربية وقد نقلها كثير من الشعوب إلى لغاتهم ، كما قد تكون الكلمة أصلاً في أكثر من لغة لأنها موروثه من لغة قديمة اندثرت بعد أن ولدت عدة لغات مثال ذلك كلمة « ارض » المستعملة في العربية والانجليزية وغيرهما . فإن الأرض معمورة بالاعم منذ

وجدت الاعم فلا يعقل ان امة من الاعم بقيت لا تعرف للارض اسماً الى ان سمعته من امة اخرى فاستعارنه منها هذا امر تحيله العادة .

وهذا الباب من اضيق الابواب واغمضها ولا يمكن التوصل اليه الا بعد اجتياز اوعر المسالك واصعبها ومن ثم نجد اقواماً خاضوا في هذه المباحث على غير هدى فضلوا سواء السبيل فتراهم حيرى كأنهم يدورون في حلقة مفرغة فيما تراهم ينسبون كلمات هي من العربية في الصميم الى نجار عجمي اذ تراهم يلصقون بالعربية كلمات هي من صميم العجمية واذا طالبتهم بالدليل سلوكوا بك بنيات الطريق . وبعد الشدة والعناء رجعت صفر اليدين ورضيت من الغنيمة بالاياب ، وقد وضع الاقدمون في هذه السبيل بعض الصوى ليهتدي بها السالك ، وهي على ضآلتها لا تخلو من فائدة ، قالوا تعرف عجمية الاسم بوجوه :

احدها - النقل بان ينقل ذلك احد الاعلام .

الثاني - خروج الكلمة عن اوزان الاسماء العربية مثل الابريس فان هذا الوزن مفقود في ابنية الاسماء العربية فلذلك اختلفوا في ضبطه - لانهم قد يخطون فيما ليس من كلامهم ولو كان من الاوزان العربية لما اخطأهم ضبطه ولما اختلفوا فيه كل ذلك الاختلاف

الثالث - ان يكون اول الاسم نوناً بعدها راء مثل « نرجس » فانه معرب « نركسي »

الرابع — ان يكون آخر الكلمة زائياً ^{قبل} بعدها دال مثل « مهندز »
ولذلك قالوا فيه « مهندس » ليبعدوا عما لا الف لهم به .

الخامس — ان يجتمع في الكلمة الجيم والصاد مثل « الصوجلان »
و « الحبص » فانهما معربان « كوجان » و « كيج »

السادس — ان يجتمع فيه الجيم والقاف مثل « منجنيق » للآلة
الحربية المعروفة « والجردقة » للرغيف ، و « الجر موق » للذي يلبس
فوق الخف ، و « الجوسق » للقصر و « الجولق » للوعاء المعروف
« جواله » والجلالق للبندق والجوقه للجماعة من الناس ..

السابع — ان يكون الاسم رباعياً او خماسياً وهو خال من احد
حروف الدلالة وهي « ب ، ر ، ف ، ل ، م ، ن » يجمعها قولك « فر
من لب » وهي اخف الحروف ولذا لا تخلو منها الاسماء الرباعية
والخماسية لما في هذه الاوزان من الثقل لكثرة حروفها فيلحق بها بعض
هذه الحروف لتنعو بها نحو الخفمة ، مثل « الزاووق » فانه لغة في
« الزئبق » وشذ عن هذا الاصل كلمة « عسجد » فانهم قالوا بعريتها
مع انها خالية من حروف الدلالة . وقال الازهرى في التهذيب ،
متعباً على الوجه الخامس ، قد تجتمع الجيم والصاد في بعض الكلمات
العربية من ذلك قولهم حصص الجرو اذا فتح عينيه ، وحصص فلان
اناءه اذا ملأه . والضج ضرب الحديد بالحديد .

الثامن - ان يجتمع الجيم والطاء في الاسم مثل « الطازج » فانه
معرب (تازة) وهو الطرى

التاسع - ان يجتمع في الاسم الصاد والطاء مثل « الاصطفلية »
وهي الجزرة فلها معربة . واما الصراط والصاد فيه بدل السين اذ اصله
السرط مأخوذ من السرط وهو الابتلاع بكثرة ..

العاشر - ان يجتمع في الاسم السين والذال مثل « ساذج » فانه
معرب « ساده » وهو البسيط الخالص عما يشوبه ، وهو في الاصل ما
لا نقش فيه وما يكون دلى لون واحد لا يخالط غيره .

الحادي عشر - ان يجتمع في الكلمة السين والزاي مثل
« سزاب » وهي بقلة معروفة فلها معربة .

الثاني عشر - ان يجتمع في الكلمة لام بعدها شين ، قال ابن
سيده : ليس في كلام العرب شين بعدها لام في كلمة عربية محضة لان
الشينيات كلها في كلام العرب قبل اللامات . فكلمة التفليس بمعنى الهدم
ليست عربية بخلاف كلمة « شغل » وقال الجاحظ في كتابه « البيان
والتبيين » : ان الجيم لا تقارن الطاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال
بتقديم ولا تأخير .

هذا مجمل ما وضعه الاقدمون من الاعلام في هذه السبيل وقد
توصل علماء اللغات لهذا المهد الى اصول في هذا الباب كان يميز على

الاقدمين الوصول الى بعضها وما ذلك الا لانصراف جماعات
 المستشرقين الى دراسة اللغات المختلفة ولا سيما القديمة منها والايغال في
 احشاء القرون البعيدة واستشارة دقاتها وبذل الوسع في دراسة اصول
 اللغات وفقها والاحاطة بفروعها المختلفة من جميع جهاتها وقد صدر واعد
 هذه المباحث وهم يحملون من العلم ما كان مطموراً في غيابة التاريخ البعيد،
 فاذا حكموا في هذا الباب فحكمهم الفصل واليهم يرجع امر العقد والحل،
 ومن امثلة ما وضعوا من القواعد في هذا الشأن قولهم : اذا اتفقت
 كلمتان لفظاً ومعنى وكان بين اهل هاتين اللغتين صلوات جغرافية او
 تجارية او سياسية او نحوها مباشرة او بالواسطة ينظر فاذا كان ذلك
 المعنى من نتائج قرائح احدى تينك اللغتين او من مصنوعاتهما او من
 منتوجات بلادهم ومحاصيلها يرجح ان يكون اصلاً في تلك اللغة
 منقولاً منها الى غيرها . مثال ذلك الساعة فان العرب كانت تطاها على
 الجزء المخصوص من الزمن ثم لما ابدعوا الآلة المعروفة التي تدل على
 اجزاء الزمن وتعيينها اطلقوا عليها هذه اللفظة .. فهم اسبق الامم الى
 تسمية الآلة بهذا الاسم فاذا سمعنا الفرس او الترك مثلاً استعمالوا هذه
 اللفظة بهذا المعنى نقطع بانهم استعاروها من اللغة العربية . ومثل هذا
 كثير من المصطلحات التي وضعها العرب عندما دونوا علوم لسانهم .
 مثل عطف واصافة وتمييز وغيرها فاذا رأينا بعض الامم الشرقية

استعملت هذه المصطلحات في معانيها عند العرب او في معان تقرب منها
 نجزم بانهم استعاروها من اللغة العربية . هذا اذا علمنا بان العرب دونوا
 هذه المصطلحات قبل غيرهم . ومن ذلك كلمة القهوة فانها موجودة في
 العربية وفي معظم لغات العالم فاذا علمنا ان العرب كانوا يطلقون هذه
 اللفظة على الخمر ثم اطلقوها على هذه الثمرة المخصوصة المسماة بالبن وهي
 من منتوجات بلاد اليمن في الاصل ثم انتقلت الى البلاد الاخرى ، اذا
 علمنا هذا نقطع بان هذه اللفظة بهذا المعنى عربية النجار ، ومن ذلك الجمل
 والغزال ونحوها من الحيوانات التي تكثر في بلاد العرب او كانت
 خاصة بها ومنها نقلت الى غيرها ..

واذا علمنا ان المسك مثلاً ينتج في بلاد التبت والصين وبعض
 بلاد الهند ومنها يحمل الى سائر بلاد العالم وعلمنا ان هذه اللفظة
 مستعملة في السنسكريتية الاصل والفارسية والعربية وغيرها - نعلم ان
 هذه اللفظة بمعناها هذا سنسكريتية الاصل ، ومنها انتقلت الى غيرها
 من اللغات مباشرة او بالواسطة ، ومثل ذلك الكافور فانه في
 السنسكريتية وغيرها ولكننا اذا عرفنا ان مصدر هذا النوع من الطيب
 بلاد الصين واليابان وملقا وان اسمه باللغة الملقية « كابور » عرفنا انها كلمة
 ملقية الاصل ، ومنها انتقلت الى غيرها من اللغات ، ومثل ذلك الفلفل
 فان مصدره بلاد الهند وهو في اللغة السنسكريتية « بيالا » او
 « فيفالا » . والامثلة في هذا كثيرة لا يكاد يحيط بها الحصر .

قلنا : ان المتبحرين في دراسة اللغات لهذا العهد انصرفوا الى استشارة دفائن اللغات القديمة وحلوا رموزها ، ودرسوا اصولها درساً دقيقاً ، واستخرجوا فروعها وقارنوا بينها من حيث المادة والصرف والنحو وغيرها وبذلك توصلوا الى معارف جمة وعلوم مهمة وقد ارجعوا كل طائفة من اللغات الى اصل واحد وهذا الاصل اما ان يكون بافياً او مندرجاً فاصول الباقية هي التي سارع اهلها الى تدوينها منذ العصور القديمة العريقة بالقدم ، والمندثرة هي التي لم تدون فبقيت مطمورة في طيات القرون الخالية ، اما فروعها فنمت واورقت ثم اثمرت ، ومنها ما قضى نحبه ومنها ما ينتظر .

فاذا ذهبنا الى القول بان اللغة العربية والعبرانية والكلدانية مثلاً بنات لأم واحدة هلكت وعاشت بناتها ، نعلم ان كثيراً من الالفاظ بقيت مشتركة بين هذه اللغات ، فاذا رأينا لفظة في اكثر من واحدة من هذه اللغات دالة على معنى واحد او على معان متقاربة لا يمكننا الحكم باصالتها في لغة دون اخرى بل نرجح ان تكون هذه اللفظة من ميراث اللغة الأم فهي اصل في كل منها ، وبالعكس اذا وجدوا لفظة في احدى هذه اللغات تحلو منها سائر اخواتها يشكون في كونها اصلاً في هذه اللغة ..

وعلى هذا وضوا قاعده اغلبية وهي انهم اذا وجدوا لفظة في

لغتين او اكثر ترجع الى اصول مختلفة ولم يجدوا تلك اللفظة في اخوات
احدى اللغتين او اللغات يرجعون انتسابها الى اللغة الاخرى . مثال
ذلك اذا وجدوا لفظة في العبرية والمصرية القديمة مثلاً ولم يجدوها في
العربية ولا السكديانية يرجعون انها مصرية ..

هل التغير ضروري في التعريب ؟

من الكلمات العربية ما يبقى على حاله قبل التعريب مثل : بنخت
ونوروز ومنها ما يجري عليه التغير يسيراً كان او كثيراً .

والاصل في هذا الباب عدم التغير ، وابقاء الاصل على حاله الا
اذا دعت الى التغير ضرورة فيصير اليه ، ولكن التغير يكون بقدر ما
قضت به تلك الضرورة من غير زيادة ولا نقصان ، ومع هذا فان كثيراً ما
نجد تغييراً لا تدعوا اليه الحاجة ولا تقضي به الضرورة . مثال ذلك :
« السكمك » فانه معرب « كاك » قلبت ألفه عيناً من غير ضرورة
داعية و « الدهقان » معرب « ده خان » اي رئيس القرية ومقدم اهل
الزراعة من المعجم .

وقد يجتمع في الكلمة الواحدة تغير لازم وآخر غير لازم مثل
كلمة « البد » بمعنى الضنم فانه معرب « بت » قلبت فيه الباء الفارسية
المثلثة باء عربية ، وهذا القلب لازم لثلاث يدخل في الحروف العربية ما
ليس منها . وقلب التاء دالا ، وهذا القلب غير لازم كما هو ظاهر ..

واسباب التغير كثيرة منها اشتغال الكلمة الاعجمية المراد تعريبها
 على بعض الحروف العجمية التي لا وجود لها في اللغة العربية كما اشرنا
 الى ذلك في اول هذا البحث. ومنها ان يكون في الكلمة الاعجمية حركة
 لا وجود لها في العربية او هي موجودة في لغة ضعيفة مثل كلمة « زور »
 بمعنى القوة فانها معربة من كلمة « زور » بضمة مشوبة بالفتحة ، فبدلت
 عند التعريب بضمة خالصة لعدم وجود الضمة المشوبة في العربية
 المشهورة ، ومنها الثقل مثل « ناي » آلة الطرب المعروفة فانها معرب
 « ناي زمين » وقد حذف شطرها الثاني للخنه ومنها نقص الكلمة
 الاعجمية من ثلاثة الاحرف مثل « صك » بتشديد الكاف ، فانه
 معرب « جك » الثنائي على ما عرفت آنفاً . ومنها كون الكلمة
 الاعجمية مبدؤة بحرف ساكن فيضطر عند التعريب الى تحريكه او
 زيادة همزة قبله مثل هلياج واهلياج معرب « هليله » وهو الثمر
 المعروف . ومنها ان يجتمع في الكلمة الاعجمية حرفان ساكنان
 سكونا على غير حده فيحرك احدهما مثل « ابن » تعريب « آبن »
 كما تقدم . ومنها تحريك آخر الكلمة المعربة بحركة الاعراب فان كان
 الحرف الآخر في الكلمة الاعجمية هاء رسمية « دوره » لمكيال
 الشراب وللجرة ذات العروة و « لوزينه » لنوع من الحلوى
 و « روزونه » لأكوة وجب قلب هذه الهاء الى حرف آخر قابل لحركة
 الاعراب وقد اعتادوا قلبها جيما وهو الاكثر وربما قلبوها قافا او تاء

فقالوا : لوزينج ، ودورق وروزونة وقد تقلب هذه الهاء كافا وعلية
اعربوا كلمة « نيزه » وهو الريح القصير الى « نيزك »

واسباب كثيرة يعرف كل في محله وقد تشدد بعض الأعلام في
وجوب صيانة الاعلام من التغيير بقدر الامكان حتى قال بعضهم : يجب
صيانة العلم الاعجمي من كل تغيير مهما كلفنا ذلك من المؤونة فيجب ان
تنطق بها كما ينطق اهلها من غير ادنى تغيير وهو رأي وجيه ولكنه
عسر التطبيق لان الحكم على الالسننة باجراء ما لا عهد لها به امر غير
يسير كما يشهد به الواقع .

هل يجب الحاق المعرب باوزان السطيم العربية ؟

ذهب بعض اللغويين الى انه يجب الحاق المعرب باوزان كلام العرب
قال الحريري : من مذهب العرب انهم ان اعربوا الاسم الاعجمي
يردونه الى ما يستعمل من نظائره في لغتهم وزناً وصيغة ، وقد كرر هذا
الرأي في غير ما موضع من كتابه « درة الفواص في اوهام الخواص »
منها ما جاء في صفحة ٦١ من طبعة الجوانب في بحث دستور ، وفي
الصفحة ٨٠ في بحث الشطرنج . وقد انكر عليه شراح كلامه هذا
الرأي وعدوه من اوهامه .

والذي عليه جمهور علماء اللغة انه لا يجب في المعرب ان يرد الى
اوزان كلام العرب . وقد جاء في كتاب سيدبويه ان الاسم المعرب ربما

الحقوه بأبنية كلامهم وربما لم يلحقوه . فما الحقوه بأبنيتهم درهم وبهرج ،
ومما لم يلحقوه الا فرند والاجر الى آخر ما فصله . وقد اوضح هذه
الناحية ابو منصور الجواليقي في كتاب « المعرب » ، وابن السيد
البطلوسي في كتاب « الاقتضاب في شرح ادب الكتاب » في باب
ما ينقص منه ويزاد فيه ويبدل بمض حروفه في الصفحة ٢١٥ من
طبعة بيروت سنة ١٩٠١

وبالجملة فان الجمهور من اهل العربية لا يشترطون ردّ المعربات الى
ابنية اللغة العربية ولكنهم يستحسنون ذلك اذا جاء بسهولة لتكون
المعربات المقحمة على العربية شبيهة باوزانها ولذلك استعملوا « نيروز »
اكثر من نوروز . لان نيروز ادخل في كلامهم واشبه به لانه
كقيصوم وعيثوم . وبهذا نعلم سبغ ما يذهب اليه بعض المعاصرين
المتشددين من وجوب الحاق المعربات باوزان العرب .

تنبيه

ارل من حاول استيعاب ابنية الاسماء والافعال في اللغة العربية
سيبويه فاحصى الاسماء ٣٠٨ من الامثلة ثم جاء ابن السراج فذكر منها
ما ذكره سيبويه وزاد عليه ٢٢ مثالا وزاد ابو عمرو الجري امثلة يسيرة
وكذلك فعل ابن خالويه ، فتقرى ابو القاسم السعدوي اللغوي
المعروف بابن القطاع ابنية الاسماء العربية وبذل جهده في الاستقصاء

فاستوى لديه ١٢١٠ من الامثال في هذا الباب فلا يجوز لاحد ان
يتضي بخروج بناء ما عن ابنية اللغة العربية ما لم يستقصى هذه الامثلة
ويقتطعها معرفة وضبطا .

نصريف العرب

ينقسم المرب الى قسمين . الاول الاعلام والثاني اسماء الاجناس
فالاعلام الاعجمية المنقولة الى العربية لا يبحث في العربية عن اصول
اشتقاقها او جودها ، وانما تستعمل اعلاما في العربية كما كانت اعلاما في
الاعجمية ، ولا يدخلها من التصريف الا احكاما مخصوصة من جمع
وتصغير ونحوها ..

فلا يجوز بعد هذا ان يقال ان ابليس - مثلا - مأخوذ من
الابلاس . بمعنى البأس والانكسار ، واسحق من اسحقه الله اذا ابعده
لان الابلاس والاسحاق لفظان عربيان وابليس واسحق علمان اعجميان
ولا يعقل ان يشتق الاسم الاعجمي من لفظ عربي .

نعم يجوز ان يؤخذ من بعض الاعلام بعض التصاريف مثل اعرق
اذا صار الى العراق - على القول بان العراق اعجمي - ودواب اذا قصد
دولاب وهي مدينة اعجمية . ويقولون تبغدد اذا تشبه بالبعداديين .
وبهذا يعلم انه يجوز اشتقاق بعض الصيغ من بعض الاعلام الاعجمية
المنقولة الى العربية ، ولا يجوز قطعا ان يزعم زاعم اشتقاق علم اعجمي من

لفظ عربي . ولا يفرنك ما تراه مبثوثا في معاجم اللغة من هذا القبيل
لانه صادر عن ذهول في الغالب .

واما الضرب الثاني : وهو اسماء الاجناس العربية فلا ينبغي ان
يبحث في العربية عن اشتقاقه لان هذا الاشتقاق اما ان يكون من اصل
عجمي لا شأن للعربية فيه فيكون البحث عنه من قبيل الخلط الذي قد
يؤدي الى التخليط ، واما ان يكون الاشتقاق من لفظ عربي وهو محال
اذ لا يعقل ان يشتق الاعجمي من العربي كما لا يعقل بالعكس ، وانما
تشتق الالفاظ بعضها من بعض في اللغة الواحدة لان الاشتقاق نتاج
وتوليد ولا يعقل ان يتولد الشيء من غير نوعه . قال بعضهم في هذا
الشأن : ومن المحال ان تنتج النوق الاحورانا وتلد المرأة الانسانا
ومن اشتق الاعجمي المعرب من العربي كان كمن ادعى ان الطير من
الحوت . وما ورد في كتب اللغة مما يخالف هذا الاصل فهو تخليط لا
يعبأ به ولا يجوز ان يصار اليه .

هذا هو الرأي في اشتقاق الاسم الاعجمي المعرب من غيره . واما
الاشتقاق من اسم الجنس الاعجمي المعرب فمروف في العربية شائع فيها
والعرب كثيرا ما تجري على هذا الضرب من المعربات الاحكام الجارية
على العربي الصميم . الا تراهم تصرفوا في اللجام وهو معرب تصرفهم
في لفظ عربي اصيل . فقالوا الجم ياجم الجاما ورجل ملجم وفرس ملجم ،

وقالوا تلجم يتلجم تلجما . كما تصرفوا في الديوان وهو دخيل فقالوا :
دون يدون تدوينا ، والرجل مدون ، والعلم مدون وقالوا : بهرجه اذا
ابطله واصله من قولهم درهم بهرج اي ردى . وهو معرب « نهره »
ويراد به الزغل والباطل .

والخمرصة

انه لا يجوز بوجه من الوجوه ان يكون الاسم الاعجمي المعرب
مشتقا من لفظ عربي سواء كان الاسم الاعجمي علما في اللغة الاعجمية او
نكرة اما الاشتقاق من الاسم الاعجمي المعرب فيكثر في النكرات
ويندر في الاعلام . فاذا سمي بمض العرب ابنه « قابوس » تعريب
« كاوس » او ابنته شيرن فلا يبحث عن كون هذين اللمعين مشتقين
او انهما اصل يشترك بينهما ، وعربوا « زيوه » فقالوا « زئبق » ولم يسألوا
هل هو مشتق ومن اين هو مشتق . ولكنهم تصرفوا به واشتقوا منه
فقالوا زأبق الدرهم ودرهم مزئبق اذا كان مطليا بالزئبق . وقالوا فيه
الزوق والزأوق وقالوا تزوق تزويقا اذا تزين وتحسن ، ووجه مزروق
وثوب مزروق ، بمعنى مزين ، وتحرفه العامة فتقول : مزروق .

وعلى هذا الاصل مشى اسلافنا في تصريف كثير من اسماء
الاجناس المعربة فقالوا : فلسف وتلفسف ورجل متلفسف . وقالوا
قرطس من القرطاس وهو اعجمي معرب . ومعنى قرطس اصحاب

القرطاس وهو الهدف لانه يكون من القرطاس في الغالب . واذا علمنا ان « الكهربا » معرب « كاه ربا » بالفارسية ومعناه فيها جاذب التبن ويريدون به المادة التي يعمل منها هذا الخرز الاصفر المعروف اليوم باسم « الكهرب » اذا علمنا هذا واطلقنا اليوم هذه اللفظة على القوة المختصة جاز ان ننصرف بها فنقول تكهرب الجسم ، وجسم مكهرب وقد كهربنا الصندوق ، وصندوق مكهرب . وكذلك اذا قبلنا تعريب كلمة التلغون مثلاً قلنا على اسلوب الاسلاف ان نقول : تلفن فلان يتلفن .

وفي هذا ما فيه من تذليل العقاب المائلة امام المترجمين والمؤلفين في العلوم الكونية المختلفة التي فاض فيض المصطلحات فيها وطمى تيارها.

كيفية التعريب

قلنا : ان التعريب هو نقل الكلمة من لغة اجنبية الى اللغة العربية بتغيير او بدونه . ولكن الغالب فيه التغيير قليلا كان او كثيراً . وذلك اما ان يكون بالزيادة او النقص او الابدال ، وعلى كل : اما ان يكون لازماً او غير لازم . وهالك الامثلة على ذلك :

مثال التغيير اللازم بالزيادة : « المستحجة » بمعنى الحزمة . معرب « دسته » بدلت فيها الهاء جيما وزيدت التاء في آخرها للدلالة على الوحدة . و « مك » معرب « بك » زادوا في آخره حرفاً من

جنسه وادغموه فيه لان الاصل في الاسم العربي الا يقل عن
ثلاثة احرف .

ومثال التغير غير اللازم بالزيادة : « سكر » زيدت فيه الكاف
بعد السين وادغمت في الكاف بعدها .

ومثال التغير اللازم بالنقص : « رست » معرب « راست » بمعنى
« صحيح » حذفت الالف دفماً لالتقاء الساكنين . و « ازن » مثلث
الهمزة حوض يغتسل فيه ، ويتخذ من نحاس ليجلس فيه المرضى
للتعريق ، وقد يتخذ من الخشب ، وقال ابو دؤاد الايادي يصف فرساً
منتفخ الجنبين :

اجوف الجوف فهو منه هواء مثل ما جاف ازنًا بخار
اي مثلها وسع البخار جوف الازن وهو معرب « آب زن »
حذفت الفه دفماً لالتقاء الساكنين .

ومثال النقص غير اللازم : « سرداب » للبناء المعروف فانه معرب
« سرد آب » بمعنى « الماء البارد » ، وسمى به البناء المعروف لانه كان
يعد لتبريد الماء . وقد حذفت الفه عند التعريب من غير لزوم .

والنقص قد يكون في اول الكلمة مثل « بهرج » بمعنى الباطل
والزغل ، وهو معرب « نهره » حذفت منه النون . وقد يكون في
الوسط كما تقدم في سرداب ، وقد يكون في الآخر مثل كلمة « النشا »

فإنها معربة من كلمة « نشاحنة » والنقص قد يكون بحرف واحد وقد يكون باكثر كما رأيت في الامثلة الآتية . والابدال على قسمين : الاول ابدال حرف بآخر ، والثاني ابدال حركة او سكون بغيرهما .

وابدال الحرف بغيره قد يكون لازما وقد يكون غير لازم . فمثال الابدال اللازم « بد » بمعنى الصنم فإنه معرب « بت » ابدلت الباء الفارسية المثلثة بالباء العربية ابدالاً لازماً لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منه . وابدلت التاء بالذال ابدالاً غير لازم لقرب ما بين مخرجهما .

وبالجملة فأنهم يبدلون الحروف التي ليست من حروفهم الى اقربها مخرجا في الغالب ، وربما ابعدوا في الابدال لاسباب قد تكون ظاهرة وقد تكون غامضة .

ومثال الابدال غير اللازم « برنامج » فإنه معرب « برنامه » ابدلت فيه الهاء جيماً .

ومثال ابدال حركة بحركة اخرى « سكر » معرب شكر كما مر ابدلت فتحته بالضمة . ومثال ابدال حركة باخرى ، وسكون بحركة ، وحركة بسكون ، كلمة سيديويه ، فان المعجم تنطقه سيديويه فابدلت العرب ضمة الياء بفتحة وسكون الواو بحركة وهي الفتحة ايضا وابدلوا فتحه الياء الثانية بالسكون .

وربما دخل في الكلمة الواحدة انواع شتى من التغير مثل كلمة :

« زهة » فأنها معربة من كلمة « دورره » بمعنى الطريق البعيد فابدلت الدال بالهاء وحذفت الواو وجوبا لالتقاء الساكنين وادغمت الواو في الراء وحركت الهاء الساكنة بالفتحة وزيدت بعدها تاء للدلالة على الوحدة . فانت ترى أنه قد دخلها النقص والزيادة والاببدال بأنواعه ، ويقارب هذه كلمة « زئبق » تعريب « زيوه » فان الابدال لحق جميع حروفها . والتغيير هو الغالب في التعريب . واغلب ما يقع في الكلمات التي تبعد اوزانها عن الاوزان العربية ، او تشتمل على حروف لا وجود لها بين الحروف العربية مثل « پ ، چ ، ژ ، گ ، ف » فان الضرورة تقضي بابدال الحرف الاول بالفاء او الباء لان المعجم تلفظه بين هذين الحرفين ، ولذلك قال العرب « فرند » و « برند » في تعريب كلمة « پرند » الفارسية ، وفرند السيف وبرنده جوهرة ووشيه . وكذلك تقضي الضرورة بابدال الحرف « چ » بحرف يقاربه من الحروف العربية ، وقد اعتادوا ان يبدلوه بالصاد ويقولون « صك » في تعريب « چك » وصين في تعريب « چين » و « صفانه » في تعريب « چفانه » . وهي من الآت الالهو . وربما ابدلوه بالشين فقالوا « شاكري » في تعريب « چاكري » وهو الاجير المستخدم . وربما ابدلوه بالجيم فقالوا « جوالق » في تعريب « جواله » وهو العدل لان المعجم تلفظه بين الشين والجيم . والضرورة تقضي ايضا بابدال الحرف « ژ » بحرف من

الحروف العربية يقاربه في المخرج . ولما كان العجم يلفظونه بين الزاي والجيم ابدلته العرب بالزاي فقالت « زئبق » في تعريب « زيوه » و « زون » في تعريب « زون » وهو الصنم .

و كذلك ابدلوا الحرف « ك » بالجيم لانه يلفظ بين الجيم والكاف ، فقالوا « جزاف » في « كزاف » و « جلنار » في « كلنار » وهو زهر الرمان ، و « جناح » في « كناه » وهو الذنب و « جوز » في « كوز » للثمر المعروف . و ابدلوا الحرف الخامس من الحروف الخمسة المذكورة بالفاء او الواو لانه ينطق بينهما .

تروين علم اللغة

لا نريد في موضوعنا هذا ان نتعرض للبحث عن نشأة اللغة العربية وكيف تولدت مفرداتها وتوسعت ، وما هي عوامل توليدها وتنويعها وتوسيعها ، وكيف تميزت اسماءها وافعالها وحروفها بعضها عن بعض ، وكيف تفرعت هذه الانواع الى فروعها المختلفة حتى وصلت الى ما هي عليه اليوم - لان هذه المباحث وما اشبهها انما هي من موضوع « الفلسفة اللغوية » .

وكذلك لا نتعرض في هذا الموضوع للنظر فيما اعتورا مفردات اللغة وتراكيبها من التقلبات ، وما طرأ عليها من التغيرات في مختلف الازمان وتعاقب الاجيال ، مثل هجر بعض الكلمات ، وإماتة بعض ،

وايجاد كلمات اخرى، وكاهمال بعض التراكيب ثم نسيانها واحداث غيرها من التراكيب الجديدة والاسباب الداعية الى هجر ما هجر ، واهمال ما اهل ، ونسيان ما انسى وامانة ما اميت ، وتجديد ما جدد ، الى غير هذه من المباحث التي ترجع الى «لم تاريخ اللغة» لا الى «تاريخ علم اللغة».

ولا بد اننا قبل الخوض في المقصود ان نمهد له بعض التمهيد فنقول : كان علماء العربية في بادىء الامر يعتمدون في الجمع والنقل على الحفظ والرواية فحسب ، ثم ما لبثوا ان انصرفوا الى تدوين منقولاتهم ومروياتهم وتبويبها وتفصيلها وتهذيبها ، وانكسرتهم كانوا مع ذلك لا يعتمدون على الاخذ من هذه المدونات بقدر ما يعتمدون على الحفظ والاخذ بالمشافهة والمدارسة فالمعبرة عندهم للحافظة واللسان لا للدفتري والقلم ، وقد غبروا على هذه الطريقة المزدوجة حيناً من الدهر . ثم اخذ امر الرواية يضمف شيئاً فشيئاً الى ان صاروا يقتصرون على الاخذ من الكتب كما هي الحال لهذا العهد ومن هنا تبين ان علم اللغة تقاب في ثلاثة اطوار :

١ - طور الرواية وحدها .

٢ - طور الرواية والكتاب .

٣ - طور الكتاب وحده .

ونحن نمرد لكل طور من هذه الاطوار بمبحث برأسه .

١ - طور الرواية الخالصة

قلنا ان اول طلائع الاختلال في اللغة العربية انما ظهرت في اعرابها ، ونقول الآن : ان عاهة اللحن في كلام الموالي والمتعربين ومن خالط الاعاجم من العرب او جاورهم نشبت منذ عصر البعثة النبوية حينما اعتنق الاسلام اناس يرتضخون الكناشيت من بين رومية وفارسية وحشية وغيرها . وقد رووا ان رجلا لحن بحضرة النبي (ص) فقال النبي (ص) : « ارشدوا اخاكم فقد ضل » وكتب كاتب لابن موسى الاشعري الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب (رض) فاحن فيكتب اليه عمر (رض) : « ان اضرب كاتبك سوطا واحداً » ثم فشا اللحن في اخريات عهد الراشدين على اثر اتساع رقعة الفتوح ، وانتشار العرب في الارض ، وتبسطهم في العمران ، ولم يزل امره آخذاً بالاتساع ولا سيما في الحواضر الكبرى التي تحوى القافا من الموالي المتعربين ، وبعض الاعارب الذين استخذت سلاقتهم ، ولم تتوقع ملكة الفصاحة فيهم لاسباب اجتماعية او جغرافية او غيرها ، وعند ذلك خشي عقلاء الامة واهل العلم منهم ان يتماذى امر الاختلال والاضطراب في الالسنه فينتهي الامر بفساد اللغة العربية فساداً لاصلاح وراه فينطلق امر القرآن والسنة النبوية على الفهوم ، وينهار صرح اللغة وآدابها ولا سيما بعد ان اصبحت لغة دينهم الذي اخرجوا به من الظلمات الى النور ،

ولهذا شرعوا يستقرون الكلام ويستنبطون من مجاريه قواين
وضوابط واصولا ينتماس عليها اشباهها ونظائرها واصطلاحوا على تسميتها
« بعلم النحو » .

ولا جرم أنهم عندما عمدوا الى استنباط قواين هذا العلم انجرت
هم الحال الى استقراء الشيء الكثير من منظوم العربية ومنشورها ، وقد
امتطوا من ذلك غارب بحر عجاج ، لان العربي بطبيعته من اثبت الناس
حفظا ، واقواهم حافظة ، ولا سيما اذا عاش في بيئة تغمرها الامية والجأته
الضرورة الى استخدام لسانه وحده في افانين المحاورات والمناظرات
والمساجلات وسائر ضروب التعبير عما في مطاوى الضمير ولهذا كان
العربي يومئذ - كما يقول بعض الفضلاء المعاصرين - كتابا او جزءا من
كتاب ، وكانت كل قبيلة بذلك كأنها سجل زمني في احصاء الاخبار
والآثار . فالعربي بطبيعته وطبيعة بيئته ضابط لماثره وماثر قومه راو
لما هو في سبيله من امره وامر عشيرته .

ومن هذا تعلم صحة ما قلناه من ان علماء العرب عندما انصرفوا
الى استخراج قواعد النحو وجدوا انفسهم امام بحر من منظوم القول
ومنشوره .

وواضح ان النحو لا يصل الى استنباط قواعد النحو
واستخراج مسائله الا بعد البحث عن معنى ما يستعين به من منشور

القول ومنظومه لان القواعد النحوية تابعة للموضوعات اللغوية فمعرفة معاني الكلام سابقة لاستخراج قوانين تركيبه ، وضبط قواعده فالمعاني اللغوية اساس للقواعد النحوية ، ومن لم يكن متبحراً في معرفة موضوعات اللغة لا يتمكن من استخراج قواعدها وضبط اصولها ، فالنحوي يجب ان يكون لغوياً دون العكس لانا نعرف لغويين كثيرين لا يعرفون الا النذر اليسير من النحو . ونحن لا نعني في هذا المقام بالنحوي من يأخذ النحو عن المشايخ ومن الكتب بعد ان تم امره ، ونضجت قواعده ، بل نعني به امثال ابى الاسود الدؤلي والخليل والكسائي واضرابهم من الائمة الذين وضعوا اساس هذا العلم واستنبطوا اصوله ، وفرعوا فروعه ، ورتبوا مسائله وبوبوها وفصلوها تفصيلاً ، وبعبارة اخرى نحن انما نعني بالنحاة هنا اولئك المجتهدين الذين تم على يدهم ابداع هذا العلم وانماؤه وتوسيعه وانضاجه لا المقلدين الذين لا شأن لهم الا معرفة ما وضعه اولئك الائمة ودرس ما قرروه ، وعلى هذا لا مرء في ان اول واجب على من يتصدى للامامة في النحو ان يتوسع في معرفه اللغة كل التوسع والا فانه يكون مغلول الاجتهاد . وانما قدمنا هذه النبذة لنهبل الى نتيجة واضحة وهي ان المجتهدين من النحاة هم انفسهم رواة اللغة الاولون ، ومنزلة النحوي في النحو تابعة لسعة اطلاعه في اللغة ، فليس من الغرابة بعد هذا ان تسموا في

هذا الباب ذكر كثير من مشاهير النحاة الاقدمين، ذلك لانهم لغويون قبل ان صاروا نحويين، فقد روى ان غلاماً كان يلعب بابي الاسود الدؤلي يتعلم منه فتكلم يوماً بكلمة لم يفهم ابو الاسود مراده منها فسأله عنها فقال الغلام: هذا حرف من العربية لم يبلغك. فقال ابو الاسود: لا خير لك في ما لم يبلغني منها يا ابن اخي. فأبو الاسود وهو رأس النحاة كان من اوسع الناس معرفة في اللغة، حتى انهم زعموا انه كان يجيب في كلها.

فأبو الاسود يعد رأساً في اللغويين كما يعد رأساً في النحويين على ماسياني من تاريخ علم النحو. ولم يطلق عليه المتقدمون اسم اللغوي لان هذا اللقب لم يكن معروفًا اذ ذاك وانما شاع استعماله في اواخر القرن الثالث واوائل القرن الرابع عندما نضج كثير من فنون اللغة، وتمايزت فروعها، ولذلك كانت شهرة ابي الاسود في النحو اوسع، وصيته فيه ابعد، اذ هو واضع اساسه، ومقرر سماعه وقياسه على انه في علماء العربية طبقة برأسها، وتخرج به جماعة اشرهم:

١ - ولده عطاء وكان من متقدمي تلاميذ ابيه.

٢ - يحيى بن يمر «على وزن يذهب» المدواني، كان من

الادباء المعروفين، والرواة الاثبات المبرزين، وهو مع ذلك فقيه ورع تولى القضاء في خراسان على عدان قتيبة بن مسلم القائد المشهور، وتوفي

٣ - نصر بن عاصم اللبثي ، تاتي القرآن والعربية عن ابي الاسود
 وكان من نهاء اصحابه وهو الذي روى عنه صحيفته في العربية المعروفة
 اذ ذاك بالعليلة حتى قال بعضهم : ان اول اسناد علمي عرف في الادب
 هو اسناد نصر هذا الى ابي الاسود في تعليقه هذه . وقد الف نصر
 كتابا في العربية لم يصل اليها ، وقال بعضهم ان نصرا اخذ العربية عن
 يحيى بن يعمر واليهما يرجع الفضل في اعجام الحروف الهجائية وترتيبها
 على النمط المعروف اليوم (ا ، ب ، ت ، ث .. الخ) وكانت من قبل
 هائلة ومرتبطة على النمط الابجدي كما سنبينه في تاريخ الخط ، وقد توفي
 نصر سنة ٨٩ هـ .

٤ - عنبة بن معدان الملقب بالقيس ، قالوا لم يكن فيمن اخذ عن
 ابي الاسود اربع منه ، حتى ان بعض تلاميذ ابي الاسود اخذ العربية
 عن عنبة هذا لانه رأس اصحاب ابي الاسود من بعده ، وكان راوية
 للشعار ظريفاً فصيحاً .

٥ - ميمون الاقرن ، اخذ العربية عن ابي الاسود ثم من بعده
 عن عنبة القيس ، ورأس علماء العربية بعد عنبة .

هؤلاء ابناء تلاميذ ابي الاسود الدؤلي ذكرنا ، واولاهم شأناً ،
 واذا اعتبرنا ابا الاسود طبقة برأسها فان خريجه هؤلاء يمتدحون
 الطبقة الثانية .

واشهر من تلقى العربية عن هذه الطبقة :

١ — عبدالله بن زيد بن الحارث الحضرمي البصري ، قالوا ليس في اصحاب ميمون احد مثل عبدالله هذا ، وكان شديد التجريد للقياس وشرح المال ، وقد املى كتاباً في الهمز ، وتوفي سنة ١٢٧ هـ عن ثمان وثمانين سنة .

٢ — ابو عمرو بن العلاء بن عمار الازني ، امام البصريين في القراءات والعربية ، فهو احد القراء السبعة المشهورين ، واعلم اهل زمانه في العربية والشعر ومذاهب العرب حتى نقل ابو الطيب اللغوي ان بعضهم كان يقول لم يؤخذ على ابي عمرو بن العلاء خطأ في شيء من اللغة الا في حرف واحد ، وقد كتب الشيء الكثير من منشور الالة ومنظومها حتى قيل ان دفاره كانت تملأ بيتاً الى السقف ، ولكنه تنسك في اخريات ايامه فاحرقها ، وتوفي سنة ١٥٤ هـ او ١٥٩ هـ .

٣ — ابو سفيان بن العلاء ، اخو عمرو بن العلاء اخذ عن اخذ اخوه من رجال الطبقة الثانية ، وقد اخلاه شهرة اخيه ، وتوفي سنة ١٥٦ هـ

واشهر من تلقى اللغة وآدابها عن هذه الطبقة :

١ — عيسى بن عمر النخعي ، رأس المتقربين من اللغويين ، اخذ العربية عن ابي عمرو بن العلاء ، وعبدالله بن زيد الحضرمي ، وروى عن

رؤبة بن العجاج ، وجماعة آخرين ، ولكثرة تعمقه في اللغة كان يغلب عليه
 الاغراب في الكلام ، قيل انه سقط ذات مرة عن حمارة ، فاجتمع اليه الناس ،
 فنظر اليهم مغضبا وقال : « ما لكم تكأ كأثم عليّ كتكأ ككثم على ذي جنة
 افرنقوا عني » اي ما لكم تجتمعون حولي كتمتعكم على مجنون تنحوا عني ،
 فقالوا : ان شيطانه يتكلم بالهندية ، وله امثال هذا شيء كثير ، وله في
 العربية كتابان احدهما سماه الاكل والثاني الجامع والظاهر انهما لم يعيدا
 طويلا على كثرة ثناء تلاميذه عليهما ، قال الخليل :

ذهب النخو الذي الفتم	غير ما الف عيسى بن عمر
ذاك اكل وهذا جامع	فهما للناس شمس وقمر

وتوفي عيسى بن عمر سنة ١٤٩ هـ وقيل ١٥٠ هـ

٢ - يونس بن حبيب الضبي البصري ، اخذ العزبية عن ابي عمرو
 ابن العلاء ، وعن كثير من العرب والأعراب ، وكان له حلقة بالبصرة
 ينتابها اهل العلم وطلاب الادب وفصحاء الاعراب ، وكان ممن ينتاب
 هذه الحلقة رؤبة بن العجاج ، وكان يونس يكثر من سؤاله عن غريب
 اللغة وهو يجيبه الى ان قال له ذات مرة : « حتام تسألني عن هذه الاباطيل
 وازخرفها لك اما ترى الشيب قد بلغ في لحيتك ؟ » يريد انه كان
 يكذب عليه في جواباته ، وكان يونس واسع الحفظ ، قال ابو عبيدة
 « اختلفت الى يونس اربعين سنة املا كل يوم الواحي من حفظه »

وتوفي سنة ١٨٢ هـ وكانت ولادته سنة ٩٠ هـ

٣ - ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الملقب بالاخفش الاكبر ، لقي الأعراب واخذ عنهم ، واخذ عن ابى عمرو بن العلاء واهل طبقة ، وبه تخرج جماعة من أئمة العربية المبرزين منهم سيديويه والكسائي وابو عبيدة ، وهو اول من فسر الشعر تحت كل بيت ، وكان الناس قبله يكتبون القصيدة كلها فاذا فرغوا منها فسروها .

٤ - ابو جعفر محمد بن الحسن الرؤاسي ، عالم اهل الكوفة في زمانه ، وهو اول كوفي الف في العربية ، وكان اهل الكوفة يظنون من شأنه ويزعمون ان كثيراً من علومهم وقراءاتهم مأخوذة عنه ، حتى قيل ان كل ما جاء في كتاب سيديويه : قال الكوفي « كذا » انما يعنى به الرؤاسي . وله مؤلفات في العربية منها : الفصيل وهو الكتاب الذي نقله الى البصرة في رحلته ، والوقف والابتدا الكبير والصغير ، ومعاني القرآن . ولم يصلنا شيء من كتبه .

٥ - ابو مسلم معان بن مسلم الهراء عم ابى جعفر الرؤاسي المتقدم ، وهو اول من وضع علم التصريف وله كتب في العربية لم يطل عمرها كثيراً ، وقد كان ولد في خلافة عبد الملك بن مروان وعمر طويلا حتى توفي سنة ١٨٧ و قيل سنة ١٩٠ هـ .

واشهر من تلقى اللغة عن هذه الطبقة والتي قبلها :

١ - ابو زيد سميد بن اوس الانصاري الامام المشهور كان

احفظ الناس للغة ، واوسمهم رواية واوثقهم واكثرهم اخذاً عن البادية حتى قالوا : كان يجيب في اللغة . اخذ عن ابى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر وابى الخطاب الاخفش ويونس بن حبيب وعن جماعة من ثقات الاعراب وعلمائهم . وكان جليل القدر ، رفيع المنزلة ، وتخرج به جماعة منهم سيديويه وكل ما جاء في كتاب سيديويه : « اخبرني الثقة » او « حدثني من اثق بعريته » فانما يريد ابا زيد هذا ، ولا بى زيد تصانيف كثيرة سرد منها الجلال السيوطى في كتابه « بنية الوعاة » ثلاثين ونيفاً ، توفي بالبصرة سنة ٢١٥ هـ عن عمر يناهز ٩٣ سنة .

٢ — ابو سعيد عبد الملك بن قريب الاصمعي البصري ،
وستترجم له فيما بعد ترجمة مبسوطه .

٣ — ابو عبيدة معمر بن المثنى البصري الشعبي الاخباري ،
كان اعلم اهل زمانه بالانساب وايام العرب واخبارهم وعلومهم حتى كان يقول ما التقي فرسان في جاهلية ولا اسلام الا عرفتهما وعرفت فارسيهما قال الجاحظ : « لم يكن خارجي اعلم بجميع العلوم منه » ومن هذا يفهم انه كان يرى رأي الخوارج مضافاً الى ما كان عليه من الشعبية السمجة ، وكان يفتل عليه الغريب من اللغة ، ولهذا كان اول من الف في غريب الحديث ، وكان مع اتساع معرفته بلغة العرب وادبهم لا يحسن قراءة الشعر واذا انشد ببتاً لم يقيم اعرابه وينشده مختلف العروض ، وما ذلك

الا لانه يضرب بعرق الى اليهودية لان ابا المنفى جده كان يهوديا من
يهود باجروان . ولا بى عبدة مؤلفات كثيرة اشهرها : معاني القرآن ،
وغريب القرآن ، وغريب الحديث ، والمثالب ، وايام العرب ، وطبقات
الفرسان ، وخلق الانسان ، والخليل والابل ، ونمائض جرير والفرزدق
وغيرها . وقد احصى له ابن النديم في فهرسته مائة مصنف ونيفا . ولد
ابو عبيده سنة ١١٢ هـ وتوفي سنة ٢٠٩ هـ وقيل اكثر او اقل ...

٤ - خلف الاحمر البصري ، كان راوية للشعار ، ونقادة لها ،
وكان يعد من اضرب الاصمعي ، بل قيل هو معلم الاصمعي ، وهو الاصمعي
فتحا الماني واوضحا المذاهب ، وبيننا المعالم . وكان الاخفش يقول : إنه لم
يدرك احدا اتم بالشعر من خلف والاصمعي ، وكان خلف شاعرا حاذقا
ماهرآ في التقليد ، وقد وضع على كثير من شعراء العرب ، فكان يضع
على كل شاعر ما يتلائم مع الفاظه واسلوبه ومعانيه ، فيشبهه كل شعر
يقوله بشعر الذي يضمه عليه ، وقد اخذ عنه اهل البصرة والكوفة ثم
نسك في اخريات ايامه ، واقرب بما كان يضمه فلم ينتفع باقراره هذا من
انخدع له في اول الامر ، وبقي ما وضعه مبعوثا في الدواوين ، وله من
التصانيف كتاب جبال العرب وما قيل فيها من الشعر ، وله ديوان شعر
حمله عنه ابنه تلاميذه ابو نواس وقد رثاه ابو نواس في حياته
بارجوزة منها :

اودى جماع العلم مذ اودى خلف من لا يعد العلم الا ما عرف
قليد من العياليم الخسف فكلمنا نشاء منه نعترف

رواية لا تجتني من الصصحف

وله فيه من قصيدة يرثيه بها في حياته ايضا
وكان ممن مضى لنا خلفا فليس منه اذ بان من خاف
وتوفى في حدود الثمانين والمائة .

هـ - الخليل بن احمد الفراهيدي : سيد اهل الادب وامام المصنفين
في لغة العرب ، وبه يبدأ الطور الثاني من اطوار الرواية المقرون بطور
التأليف ، وسوف نترجم له في غير هذا الموطن ، وليكننا نقول هنا : ان
الخليل اول من دون اللغة ، ورتب الفاظها على حروف الهجاء ترتيباً لم
يسبق اليه ، في كتابه المسمى « كتاب العين » وبكتابه هذا يفتح الطور
الثاني وهو طور الرواية والكتاب .

طور الرواية والكتاب

نهج الخليل في جمع اللغة واستيعابها طريقة مبتكرة اخترعها لنفسه ،
واقننى اثره فيها الجهم الفخير ممن جاؤا بعده من اللغويين ، في ترتيب
الحروف منهجاً خاصاً لم يمش عليه الناس من بعده ، وهو انه رتبها على
حسب ترتيب مخرجها الطبيعية مبتدئاً من الحلق ذاهباً الى اللسان
فالشفتين ، وجعل اولها العين ثم ما قرب مخرجه منها ، الارفع فالارفع حتى

اتى على آخر الحروف .

ان للمؤلفين في اللغة اسلوبين : احدهما يبتدي باللفظ وينتهي

بالمنى والثاني بالعكس ، مثال الاول ما اذا قيل : القطار : عدد من الابل

مقطورة على نسق واحد ، والقطر : النحاس ، والقطر : الجهة والناحية ،

والقطر : المطر . ومثال الثاني ما اذا قلت : ولد الناقة يسمى الحوار ،

وولد النزالة يسمى الخشف . والنوم الخفيف يسمى السنة ، فالذي يذهب

من جانب اللفظ الى المعنى يرمي في الغالب الى تسهيل ايضاح معاني

الكلام على السامع والقارئ ، فان من سمع كلاماً منظوماً او مشهوراً ،

وغم عليه معاني بعض الفاظه فانه يرجع في ايضاح ذلك الى المعاجم المؤلفة

على الطريقة الاولى ، فيجد فيها ضالته ، والذي يذهب من جانب المعنى

الى اللفظ يرمي على الاكثر الى تسهيل انشاء الكلام على اللسان والقلم ،

فان من تصور معنى اراد التعبير عنه وغاب عنه اللفظ الدال عليه يستعين

على وجدانه بالكتب او لائمة على الطريقة الثانية ، ومن ثم نجد اكثر

الناس انقضاء بهذه الكتب اولئك الذين يعنون بترجمة الكلام الاجنبي

لانهم يجدون امامهم من المعاني ما تحتاج الى قوالب من الفاظ لا تحضرهم

فيرجعون الى هذه الكتب يهتدوا بها الى بغيتهم ..

وانما المعنى الى هذا التقسيم لنبيين ان مصنفى اللغة في هذا الطور

انخزلوا الى فريقين : فريق سلك الطريق الاول وعلى رأسهم الخليل بن

أحمد وفريق سلك الطريق الثاني وعلى رأسهم الأصمعي وأبو زيد
 وأضرابهما، فالخليل بن أحمد أول من ألف في اللغة على الأسلوب الأول،
 فهو أبو عذرة. نعم، لا ينكر أن بعض معاصري الخليل ألف بعض الشيء
 على هذا الأسلوب كأبي عبيدة فإنه ألف في غريب القرآن وغريب
 الحديث، ولكن تلك التأليف في مواضع خاصة وأبواب معينة، وعلى
 غير ترتيب يعتد به، فهي عبارة عن مجموع مباحث مبعثرة لا يضبطها
 ترتيب ولا يؤلف بينها نظام، أما الخليل فإنه نزع إلى طريقة علمية
 لم يسبق إليها على ما ستقف عليه مفصلاً عند الكلام على ترجمته.

فطور الرواية والكتاب يفتح بدينك الأسلوبين من التأليف
 على ما عرفت. وقد رأينا أن نسمي الأسلوب الأول «المسلك اللفظي»:
 لأن البدء فيه يكون بجانب اللفظ ومنه ينتقل إلى جانب المعنى.
 والأسلوب الثاني «المسلك المعنوي»: لأن البدء فيه يكون بجانب
 المعنى ومنه ينتقل إلى جهة اللفظ.

وينفرع عن كل واحد من هذين المسلكين فروع كثيرة
 رأينا أن نجملها في هذا المكان لئلا تضطر إلى الرجوع إليها في مكان
 آخر فنفسح لك عرا البحث وتباعد أراضره.

فروع المسلك اللفظي

سلك المؤلفون في ترتيب الالفاظ مسالك شتى لاعتبارات

مختلفة، فمنهم من وجهه الى ضبط اللغة واحصاء كلماتها والتمييز بين مستعملها ومهماتها كما فعل الخليل بن احمد في ترتيب كتاب العين وتبعه ابو بكر بن دريد في جهرته، وقد علمت ان الخليل ابتكر اسلوبا في احصاء مفردات اللغة لم يسبقه اليه سابق كما ابتكر طريقة خاصة في ترتيب حروف الهجاء تنكب فيها الطريق الابجدي القديم، والترتيب العلمي المعروف، ومال الى الترتيب المخرجي الطبيعي على ما اشرنا اليه آنفا واما ابن دريد فانه لم يزد على ما جاء به الخليل من الترتيب والتبويب شيئا يذكر، ولذلك جاءت جهرته مقاربة لكتاب العين على ما فيها من الفوائد والاوaid التي خلا منها كتاب العين.

وقد هذا حذو هذين الامامين ثالث هو ابو غالب تمام بن غالب المعروف بابن التيماني القرطبي المتوفى سنة ٤٣٣ هـ فانه وضع كتابا اتى فيه على ما في كتاب العين من صحيح اللغة، وزاد عليه ما زاده ابن دريد في الجمهرة، فصار كتابه هذا محتويا على الكتابين معا، وسماه «فتح العين» وبعد فنحن نلقب هذا الترتيب «بترتيب الخليل» ويعتبر الفرع الاول من المسلك اللفظي. وآخر من سلك هذا المسلك - على ما نظن - ابو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده والمتوفى سنة ٤٥٨ هـ فانه ألف كتابه (المحكم والمحيط الاعظم) على ترتيب كتاب العين. ومن اللغويين من وجه نظره الى ضبط مفردات اللغة مع الالتفات

الى تسهيل الحصول على المقصود في المراجعة عند الحاجة ، فرتب
الالفاظ معتبراً او اخر حروفها الاصلية ابواباً ، واولائل حروفها الاصلية
فصولاً ، كما فعل الجوهري في كتابه (صحيح اللغة) ، وتبعه مجد الدين
الشيرازي في قاموسه وتبعهما خاق كثير .

ومن طبيعة هذا الترتيب ان يتألف الكتاب من ثمانية وعشرين
باباً ، يعتقد كل باب منها من ثمانية وعشرين فصلاً على عدد حروف المعجم
حسب ترتيبها التعليمي المشهور (ا ، ب ، ت ، ث ، ج) الا ان يهمل في
بعض الابواب بعض الفصول لعدم ورود شيء فيه ، فاذا طلبت كلمة
استقرى ، او تقرى ، او القيروان مثلاً - فانك تجدها كلها في فصل القاف
من باب الواو ، لان اصل مادتها (ق ، و ، ر) واذا طلبت السماء او الاسم
او الة - امي فانك تجدها كلها في فصل السين من باب الواو لانها كلها
من مادة (س ، م ، و) ونحن نلقب هذا « بمسلك الجوهري » وهو
الفرع الثاني من المسلك اللفظي . ومن المؤلفين من لم يلتفت الى حصر
المفردات بوجه ، بل وجه كل عنايته الى تسهيل الحصول على المقصود
عند البحث والمراجعة فبوب كتابه على ترتيب حروف الهجاء التعليمي
واعتبر اصول اوائل الحكم ابواباً ، وما يليها من الحروف الاصلية ثم ما
يتلونها فصولاً ، فتجد كلمة اسد قبل كلمة اسر ، وهذه قبل كلمة اسف ،
وهذه كلها قبل كلمة اشتر لان الشين بعد السين . واول من سلك هذا
المسلك في الترتيب - على ما اظن - ابو الحسين احمد بن فارس المتوفى

سنة ٣١٠ هـ في كتابه « المجمل في اللغة » وتبعه الزنجشيري في كتابه « اساس البلاغة » وجاء بعده تلميذه ناصر بن عبد السيد المطرزي المتوفي سنة ٦١٠ هـ فالف كتابه « المغرب في لغة الفقهاء » وسلك في ترتيبه مسلك شيخه في اساس البلاغة . ومن سلك هذا المسلك احمد بن محمد المقرئ القيومي المتوفي سنة ٧٧٠ هـ في كتابه « المصباح المنير » في غريب الشرح الكبير ، وعلى هذا المسلك سار المؤلفون من المعاصرين . والمؤلفون على هذا النمط يعتبرون من الكلمة حروفها الاصلية كما علمت فيضمون كلمة اتصل مثلا في باب الواو لانها من مادة « وصل » ومثلها إناد ، واتسم ، واتكأ ، واتسق ، واتهم ، واتكل ، لانها من مادة « واد » ، « وسع » ، « وكأ » ، « وسق » ، « وهم » ، « وكل » ويضمون كلمة تترى في هذا الباب لان مادتها « وتر » وفي هذا ما فيه من السر على الذين لا علم لهم بمبادئ اللغة واصول تصريفها ، ولهذا نرى ان توضع المعاجم على اسلوب تكون العبرة فيه لحروف الكلمة كلها ، سواء في ذلك الاصلية والزائدة ، وتوضع كلمة تترى مثلا في باب التاء والتاء وما يثلاثها ، وكلمة اتقى في باب الهمزة والتاء وما يثلاثها وهكذا .

وقد سلك هذا المسلك من الاقدمين ياقوت الحموي في كتابه « معجم البلدان » فانه رتبته على هذا النمط غير ناظر الى اصول الكلمات فيضع كلمة « اسوره » - مثلا - في باب الهمزة والسين وما يليهما ، واذا طلبتها في المصباح تجددها في باب السين مع الواو وما يثلاثها ، وفي هذا

عنت ليس بالهين . وعلى النظم السهل مشى مؤلفو معاجم الاسماء ، كان
 خا- كان في كتابه « وفيات الاعيان » رفاقوت في كتابه « معجم الادباء »
 وابن حجر العسقلاني في « الاصابة » فانك تجد فيها اسم « المعلى » مثلا
 في باب الميم والمين وما يليها ، ولو طلبته في القاموس لوجدته في فصل
 العين من باب الواو ، او في المصباح لوجدته في باب العين واللام
 وما بينهما .

ولم نجد من اللغويين من سلك هذا المسلك على ما فيه من تسهيل
 المراجعة على المراجعين ولا سيما اولئك الذين يتعسر عليهم تمييز اصول
 الكلمات من زوائدها .

فروع المسلك المعنوي

للمؤلفين الذين سلكوا هذا الطريق في تأليفهم مناهج شتى
 مرجعها كلها الى امل واحد هو ترتيب المعاني حسب اجناسها وانواعها ،
 ثم توزيع كل نوع منها الى طوائف توضع كل طائفة منها تحت باب
 له عنوانه ، وتقسّم هذه الابواب الى فصول يوضع تحت كل فصل منها
 جملة من المعاني المتآخية . فاذا اخذ جنس الحيوان مثلا نجده ينقسم الى
 انواع كثيرة منها الانسان ، والبحث عن الانسان يتوزع الى ابواب
 كثيرة يضم كل باب منها طائفة من شؤونه ، فمن اعضائه الى طعامه الى
 شرابه ، الى لباسه ، الى مسكنه ، الى سلاحه ، الى حر كاته ، واطوار حياته

وسائر صفاته وتقلبات احواله . واذا اخذنا باب اللباس مثلاً نجد
 ينطوي على فصول عديدة في النسيج والخياطة والخياط والابر ، وفي
 ضروب الثياب والوانها واشكالها ، وفي ثياب الرجال والنساء والولدان ، وفي
 الاكسية والفرش .. الخ . فاذا اخذت فصل الوسائد مثلاً تجده يقول :
 الخدة والمصدغة : ما يوضع تحت الرأس ، والخرقه : هي التي تصف الى
 اخرى ، والسند : ما يستند اليها ، والمشورة : ما يتكأ عليها . والمنبذة :
 ما يطرح للزائر وغيره . والحسيانة : ما صغر من الوسائد .. الخ .

ثم من المؤلفين من يذكر المعنى المفرد ويذكر اللفظ الدال عليه .
 كأن يقول : ما بين طرفي الخنصر والابهام يسمى الشبر . وما بين
 طرفي السبابة والوسطى يسمى الارب . وما بين طرفي الوسطى والبنصر
 يسمى العتب . وما بين طرفي البنصر والخنصر يسمى البصم . وما بين
 كل اصبعين طولاً فهو الفوت .

ومهم من يذكر المعنى المركب ويردده بالعبارة او العبارات الدالة
 عليه ، فاذا ذكر باب الخطيب والخطابة مثلاً يقول : خطيب بسيط
 اللسان ، مصقول الخاطر ، ناصع البيان ، خلاب الالباب ، تنفجر ينابيع
 الحكمة على لسانه ، اذا افاض في كلامه ملك اعنة القلوب ، واستدر ماء
 الشؤن ، وقوم زبغ النفوس .. الخ .

واشهر من نهج النهج الاول ابو منصور الشعالي المتوفي سنة
 ٤٢٩ هـ في كتابه الموسوم « بفتح اللغة » . وابن سيده صاحب المحكم في

كتاب « المخصص » في ١٧ جزءاً . ويقال انه قد سبقتها الى هذا المنهج
 احمد بن ابان الاندلسي المتوفي سنة ٣٣٢ هـ في كتابه « العالم » بدأ فيه
 بالفلك وختم بالذرة فجاء في مائة مجلد .

ومن الف على النمط الثاني عبد الرحمن بن عيسى الهمداني المتوفي
 سنة ٣٢٧ هـ ؛ الف « الالفاظ الكشافية » وقدامة بن جعفر المتوفي سنة
 ٣٣٧ هـ فقد وضع فيه كتابه الذي اسماه « جواهر الالفاظ » وهو
 كتاب ممتع .

المعاجم العامة والخاصة

ومن المعاجم ما هو عام في جميع ابواب اللغة وانواعها كالقاموس
 لمجد الدين الشيرازي والمخصص لابن سيده . ومنها ما هو خاص في
 باب من ابواب اللغة ونوع من انواعها . وهذا النوع كثير الفروع
 - على ما ستراه - ونحن نذكر بعض هذه الفروع في هذا المقام على
 سبيل المثال فمن ذلك :

- (١) مفردات القرآن . (٢) ما جاء في القرآن بغير لغة العرب .
- (٣) ما جاء في القرآن بغير لغة الحجاز . (٤) مبهمات القرآن . (٥) غريب
- الحديث . (٦) لغات الفقهاء . (٧) لغات بعض السكتب الفقهية .
- (٨) الاضداد . (٩) مثلثات اللغة . (١٠) لغات الشمر . (١١) النبات .
- (١٢) الشجر . (١٣) النخل والسكرم . (١٤) خلق الانسان . (١٥) خلق

الفرس . (١٦) الانواء . (١٧) الرياح . (١٨) الابل . (١٩) الشاء .
 (٢٠) السلاح . (٢١) الفصيح . وغير ذلك مما يطول شرحه ويتعسر
 استقصاؤه ، وفي كل من هذه الانواع كتب كثيرة ، سيما بك
 طرف منها ان شاء الله تعالى .

الطبقة السادسة

وبعد إجمال ما استطرطنا اليه من تنويع مسالك المؤلفين من
 اللغويين نرجع الى ما كنا بصددده من تتبع طبقات اللغويين واستقراء
 سلاسلهم حلقة حلقة فنقول : اشهر من تلقى العربية عن طبقة الخليل :

١ — ابو بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيدويه ، المتوفى سنة ١٨٠ هـ
 وسنترجم له في النحويين لاشتهاره بكتابه الذي يلقب بـ « قرآن النحو »
 ٢ — النضر بن شميل — اخذ عن الخليل ، ثم رحل الى البادية
 وضرب في كبد الجزيرة واخذ عن اعرابها وعربها . فيقال انه اقام في
 البادية اربعين سنة . وكان علماً من اعلام العربية ، وله مؤلفات منها :
 كتاب الجيم ، غريب الحديث ، الشمس والقمر ، السلاح ، الانواء ،
 المدخل الى كتاب العين . وتوفى سنة ٢٠٣ هـ .

٣ — حماد بن سلمة الامام المشهور اخذ عن غيسى بن عمر وعن
 الخليل وغيرهما ، وكان رأساً في العربية والبلاغة توفى سنة ١٦٧ هـ .

٤ — يحيى بن المبارك اليزيدي ، اخذ عن عمرو والخليل . وكان

أحد القراء الفصحاء العالمين بلغة العرب وأدائها ، وهو أحد أشياخ
المؤمن . ومن تأليفه : كتاب النقط والشكل ، والمقصود والمدود ،
والنوادير ، وتوفي سنة ٢٠٢ هـ .

٥ - أبو فيد المؤرج بن عمرو السدوسي ، أحد أئمة الأدب
المتوسعين في لغة العرب . قدم من البادية وأقام بالبصرة فحذق مقاييس
العربية على أشياخها كابن عمرو بن العلاء ، وأبي زيد الأنصاري ،
والخليل بن أحمد ، وله من المؤلفات في اللغة : غريب القرآن ، الأنواء ،
المعاني ، وغيرها ، توفي سنة ١٩٥ هـ .

٦ - علي بن سلام الجمحي ، أحد أعلام الأدب أخذ عن خلف
الأحمر ويونس بن حبيب وغيرها ، وهو أحد نقدة الشعر الأفاضل ،
والرواة الإثبات ، وله كتاب غريب القرآن ، توفي سنة ٢٣١ هـ .

٧ - أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ، رأس الكوفيين ،
وإمام اللغويين وسنترجم له في النحويين .

٨ - علي بن نصر الجهمضي صاحب الخليل وأخذ عنه ، وهو من
رفقاء سيديويه ، توفي سنة ١٨٧ هـ .

٩ - المنفل بن محمد الضبي الكوفي صاحب المفضليات ، كان من
علماء الشعر ورواة الأدب الكثيرين .

١٠ - صالح بن إسحاق الجرمي ، أخذ عن الأخفش ويونس

والاصمعي وابي عبيدة . وله كتب منها : كتاب الابنية وغريب سيديويه
وغيرهما . توفي سنة ٢٢٥ هـ .

١١ - عبدالله بن محمد النورثي ، اخذ عن الاصمعي وابي عبيدة ،
وبرع في فنون الادب ، وله كتاب : الخيل ، والأمثال ، والاضداد ،
توفي سنة ٢٣٣ هـ .

واشهر من تلقى العربية عن هذه الطبقة :

١ - محمد بن المستنير المعروف بقطرب ، لازم سيديويه ويونس
ابن حبيب ، واخذ عن عيسى بن عمر ، وبرع في العربية . ولكن الرواة
يغمزونه ويظعنون في روايته ، وله مؤلفات جمة منها : المثلث (وهو ما
جاء بالحركات الثلاث من الالفاظ سواء كان لمعنى واحد ، مثل : ذروه ،
رغوه . او لمعاني مختلفة مثل : قطر ، قطر ، قطر) . والنوادر ، والاضداد
وخلق الانسان ، وخلق الفرس ، والمصنف الغريب . وغيرهما ، وتوفي
سنة ٢٠٦ هـ .

٢ - يحيى بن زياد الفراء تلميذ الكسائي واحد اعلام اللغويين
من الكوفيين ، وله مصنفات كثيرة منها : معاني القرآن ، المصادر في
القرآن ، آلة الكتاب . النوادر ، المقصور والمدود ، الحدود ، وتوفي
سنة ٢٠٧ هـ .

٣ - ابو عبيد القاسم بن سلام ، الاديب المشتهر ، كان اماماً في معارف
شئى ، اخذ عن ابى زيد ، وابي عبيدة ، والاصمعي ، واليزيدي ، وابن

الاعرابي ، والكسائي وغيرهم . وكان مصنفاً حسن التصنيف ، ترك
 نيفاً وعشرين مصنفاً منها : الغريب المصنف ، غريب القرآن ، غريب
 الحديث ، معاني القرآن ، الامثال السائرة ، المقصور والمدود ، وغيرها .
 توفي سنة ٢٢٣ هـ .

٤ - محمد بن زياد الاعرابي ، أحد أئمة الرواة الكوفيين ، واعلام
 اللغويين المبرزين ، حتى قالوا : لم يكن احد من الكوفيين اشبه رواية
 برواية البصريين منه ، وكان واسع الحفظ جداً ، قال ثعلب : لزمته بضع
 عشرة سنة ما رأيت يده كتاباً قط ، وما اشك في انه املى على الناس ما
 يحمل على اجمال ، وله كتب كثيرة منها : النوادر ، الانراء ، صفة المحل ،
 صفة الدرع ، الخيل ، معاني الشعر ، النبات ، النبت والبقل ، الامثال
 وغيرها توفي سنة ٢٣٠ هـ .

٥ - ابو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط تخرج
 بسيدويه ، وكان احفظ اصحابه واحذقهم ، وله من المؤلفات : معاني
 القرآن ، والاشتقاق والمسائل الكبير والصغير ، والاصوات . وكتب
 اخرى توفي سنة ٢١٠ هـ ويزعم البصريون ان الكسائي قرأ عليه
 كتاب سيدويه سرّاً .

٦ - ابو اسحاق ابراهيم بن سفيان الزيايدي احد الرواة المتوسمين ،
 والادباء المطبوعين ، اخذ عن سيدويه ، وروى عن ابى عبيدة والاصمعي

ومن تأليفه كتاب : النقط والشكل ، والامثال ، والسحاب ، والرياح ،
والامطار ، توفي سنة ٢٤٩ هـ .

٧ - ابو عثمان بكر بن محمد المازني ، احد فضلاء الناس وكبار
رواتهم ، وحذاق مناظرهم ، روى عن جماعة منهم ابو عبيدة والاصمعي
وابو زيد والجري والافخش الاكبر ، واكثر مصنفاته في النحو
والتصريف توفي سنة ٢٤٩ هـ .

٨ - ابو الفضل العباس بن الفرغ الرباعي ، احد علماء الناس
بالغة والشعر ، روى عن الاصمعي وغيره وقرأ النحو على المازني كما قرأ
عليه المازني اللغة ، ومن مؤلفاته : كتاب الخيل ، الابل ، ما اختلفت
اسماؤه من كلام العرب ، توفي سنة ٢٥٧ هـ .

٩ - ابو حاتم سهل بن محمد السجستاني البصري ، كان اماما في
علوم القرآن واللغة والشعر واخبار الناس ، روى عن ابي عبيدة
والاصمعي وابي زيد وغيرهم ، وله مؤلفات كثيرة منها : المقصور
والممدود ، الوحوش ، الطير ، خلق الانسان ، وغيرها ، وكانت كتبه في
غاية من الاتقان والامتناع . توفي سنة ٢٥٠ هـ .

١٠ - عبد الرحمن بن عبدالله بن قريب ابن اخي الاصمعي ، كان
يروى عن عمه الشيء الكثير ، وربما حكى عنه ما يجده في كتبه من غير
ان يكون قد سمعه من لفظه .

١١ - أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي ، صاحب الاصمعي ويزعم بعضهم أنه ابن اخته وليس هذا بثابت ، وروى عن أبي عبيدة ، وأكثر الرواية عن أبي زيد وله من المؤلفات : النبات والشجر ، واللأبأ واللأبن ، الخيل ، الطير ، الجراد ، اشتقاق الاسماء ، وغير ذلك . توفي سنة ٢٣١ هـ .

١٢ - أبو عمر إسحاق بن مرار الشيباني الكوفي راوية أهل بغداد في عصره ، كان واسع العلم باللغة عالماً فاضلاً . اخذ عن الكسائي وغيره ، واخذ عنه خلق كثير ، وله من المصنفات : النوادر ، كتاب الجيم ، الغريب المصنف ، غريب الحديث ، الخيل ، اشعار القبائل ، خلق الانسان ، وغيرها ، توفي سنة ٢٠٦ عن مائة وعشر سنين .

١٣ - علي بن الحسن الأحمر شيخ العربية في زمانه ، صاحب الكسائي واخذ عن غيره ، وكان بارعاً في النحو والحفظ حتى قيل انه يحفظ اربعين الف شاهد في النحو ، وله كتب جلها في التصريف والنحو توفي سنة ١٩٤ هـ .

١٤ - علي بن حازم اللحياني الكوفي ، لازم الكسائي وقرأ عليه كثير ممن في طبقة ، وله كتاب النوادر .

١٥ - أبو محمد عبدالله بن سعيد الأموي ، اخذ عن الكسائي ومن في طبقة ، اخذ عنه جماعة ، وله كتاب النوادر وغيره .
وأشهر من تلقى على هذه الطبقة :

١ - ابو العباس محمد بن يزيد المبرد امام اهل العربية في زمانه واديهم ، اخذ عن المازني والسجستاني والجري ، وتخرج به خلق كثير ، وكان قوي الذاكرة فصيحاً مفوهاً واخبارياً ظريفاً ، حتى كان الناس بالبصرة يقولون : ما رأى المبرد مثل نفسه ، وله كثير من المؤلفات منها : معاني القرآن والاشتقاق والمقتضب ، وما اتفق لفظه واختلف منناه ، ويمد في مقدمة تأليفه الكامل وهو احد اركان الأدب عند اهل الادب وتوفي سنة ٢٨٥ هـ .

٢ - ابو العباس احمد بن يحيى البغدادي المشهور بشعاب امام الكوفيين في النحو واللغة لازم ابن الاعرابي واخذ عن محمد بن سلام الجمحي وغيره ، وقد انتهت اليه رئاسة الكوفيين في العربية كما انتهت رئاسة البصريين الى المبرد ، وكانت بينهما منافرات مشهورة ، ومعارضات منسكورة ، حتى اصبحا مثلاً في شدة التماذي ، قال الشاعر :

فابداننا في بلدة والتماؤنا عسير كأننا ثملب والمبرد
والمثلب تصانيف اكثرها في النحو والتصريف ، منها في اللغة : معاني القرآن ، معاني الشعر ، الفصيح وهو اشهرها ، وينسبه بعضهم لغيره ، والصحيح انه له ، توفي سنة ٢٩١ هـ .

٣ - ابر عثمان سعيد بن هارون الاشنانداني ، اخذ عن المازني والجري ومن في طبقتهم واختص بالتوثي ، وله كتب كثيرة منها كتاب الماماني .

٤ - يعقوب بن اسحاق السكيت : احدث اعلام الكوفيين اخذ العربية عن البصريين والكوفيين ، ومن اخذ عنهم ، الفراء وابو عمرو الشيباني ، وابن الاعرابي وغيرهم ، وكان واسع العلم باللغة والشعر وله تصانيف كثيرة في النحو ومعاني الشعر وشروح دواوين العرب ، وزاد فيها على من تقدمه الشيء الكثير ، ويذكر في مقدمة تأليفه اصلاح المنطق ، وهو مطبوع متداول ، توفي سنة ٢٤٤ هـ .

٥ - عمرو بن ابي عمرو الشيباني الكوفي احدث كبار اللغويين من الكوفيين توفي سنة ٢٣١ هـ .

٦ - ابو جعفر محمد بن حبيب الكوفي احدث علماء اللغة المعروفين ورواة الاخبار الموصوفين اخذ عن قطرب وابن الاعرابي له : غريب الحديث ، الانواء ، الشجر ، نوائض جرير والفرزدق . المختلف والمؤتلف في اسماء القبائل . الخيل ، النبات ، وغيرها توفي سنة ٢٤٥ هـ .

٧ - ابو الحسن علي بن المغيرة الاشم الكوفي ، له مؤلفات في العربية اكثرها في النحو ، وله كتاب في غريب اللغة .

٨ - ابو سعيد الحسن بن الحسين السكري كان بارعاً في فروع اللغة المختلفة ، راوية ثقة مكثر ، اخذ عن السجستاني والرياشي وغيرهما ، واخذ عنه خاق كثير ، وانتشر عنه من كتب الادب ما لم ينتشر عن احد من نظرائه وله مصنفات كثيرة منها : النبات والوحوش . وجمع اشعار جماعة من الشعراء منهم امرؤ القيس ، والنابعة الديلمي ، وزهير ،

ولبيد ، والناطقة الجعدي ، وغيرهم كما جمع شعر عدة قبائل من العرب منها ، شعر هذيل ، وبنى شيبان ، وبنى ربوع ، وبنى ضبة ، والازد ، وبنى نهمشل وغيرهم ، وتوفي سنة ٢٧٥ هـ .

٩ - عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري نزيل بغداد ، احد اعلام اللغويين ، وكبار المصنفين ، ورجال الاخبار المتوسعين ، ومن مؤلفاته : غريب القرآن ، معاني القرآن ، الخليل ، خلق الانسان ، الانواء غريب الحديث وغيرها توفي سنة ٢٦٧ هـ .
ومن اشهر من اتقى عن هذه الطبقة :

١ - ابو اسحق ابراهيم بن السري الزجاج ، لازم المبرد واخذ عنه معظم علمه ، نخرج فاضلا ، له جملة مؤلفات منها : معاني القرآن ، خالق الانسان ، فعلت وافعلت ، الاشتقاق ، النوادر ، وله كثير غيرها . توفي سنة ٣١١ هـ .

٢ - ابو بكر بن السراج .

٣ - ابو بكر بن دريد وسنترجم له .

ومن اشهر تلاميذه ، وحاملي لواء علمه ، ابو علي اسماعيل بن القاسم البغدادي المشهور بالقال ، كان احفظ اهل زمانه للغة وآدابها وله كتاب البارع في اللغة والنوادر والامالي وهي احد اركان الادب توفي سنة ٣٥٦ هـ .

ومنذ انفجر فجر هذه المائة - المائة الرابعة للهجرة - اخذ ظل

الرواية يتقاص وشأنها يتضاهل شيئاً فشيئاً ، واخذ امر الاعتماد على الكتاب يقوى ويتوسع ، واخذ القلم يحتل المكانة التي كانت تحتلها الحافظة ، وقد اخرج اقطاب اللغويين للناس في هذا العصر اسفاراً جلية تعد في الطليعة من دواوين اللغة التي عليها يعول ، واليها يرجع . ومن اشهرها :

١ - الجهرة لابن بكر بن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ المتقدم ذكره .

٢ - البارع لابن علي القالي المتقدم .

٣ - مختصر العين لابن بكر محمد بن الحسن الزبيدي المتوفى سنة

٣٧٩ هـ .

٤ - كتاب العشرات لابن عمرو المعروف بفلام ثعلب المتوفى سنة

٣٤٥ هـ ، وقد جمع فيه المماثي التي تترادف على كل معنى منها عشرة الفاظ

٥ - ديوان الادب لابن اسحاق بن ابراهيم الفارابي المتوفى

سنة ٣٥٠ هـ خال الجوهرى صاحب الصحاح . وهو كتاب مؤلف من ستة

كتب (١) في السالم (٢) في المضاعف (٣) في المثل (٤) ذوات الثلاثة

(٥) ذوات الاربعة (٦) الهزمة .

٦ - التهذيب لابن منصور محمد بن احمد الازهرى المتوفى سنة

٣٧٠ هـ ، وهو من اجل المعاجم ، واغزرها مادة ، وقد تقدم انه مرتب

على نمط كتاب العين .

٧ - غريب الالفاظ التي استعمالها الفقهاء للازهرى ايضاً .

٨ - المحيط للصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ هـ ، وهو في سبعة مجلدات فقد معظمها .

٩ - المجمل لابن فارس المتوفى سنة ٣٩٠ وقد تقدم ذكره .

١٠ - الصحاح للجوهري المتوفى سنة ٣٩٨ هـ وقد وصفناه في دروس اصول اللغة .

وبالجملة فانه ما كاد ينطوي بساط هذه المائة حتى ازدهت المكتبات بمئات المؤلفات في هذا العلم ، حتى حكي عن الصاحب بن عباد المذكور آنفاً ان بعض الملوك ارسل اليه يسأله القدوم عليه ، فقال له في الجواب : احتاج الى ستين مجلاً انقل عليها كتب اللغة عندي ، ومهما كان في هذا القول من المبالغة فانه يدل على غزارة مادة التأليف اذ ذاك في هذا العلم ، قال الجلال السيوطي بعد ان نقل هذه الحكاية : وقد ذهب جل هذه الكتب في الفتن الكائنة من التتار وغيرهم .

ومن اشهر ما جادت به اقلام اقطاب اللغة في المائة الخامسة من جليل المعاجم :

١ - الجامع ، لابن عبد الله محمد بن جعفر النيمي المعروف بالقزاز المتوفى سنة ٤١٢ هـ .

٢ - المواعظ لابن غالب تمام بن غالب المعروف بالتلياني المتوفى سنة ٣٣٦ هـ .

٣ - المحكم والمحيط الاعظم لابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ وقد تقدم ذكره .

ومن اشهر ما الف في هذه المائة على المسلك اللغوي :

١ - فقه اللغة لابي منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ .

٢ - المخصص لابن سيده وهو اجل ما الف في بابيه على الاطلاق .

وما كادت تدخل المائة السادسة حتى لم يبق الرواية شأن يذكر وصار اعتماد الناس على الكتب يتدارسونها ويمنون بضبطها وتحقيق ما فيها على الاشياخ ، وغبروا على ذلك زمناً الى ان فترت الهمم فاخذوا يقرؤن الشيء من الكتاب ويستجيزون رواية الباقي من غير قراءة . وغبروا على هذا زمناً فصاروا يكتبون برواية الكتاب او الكتب من غير ان يقرأوا شيئاً على المجيز ، وهكذا حتى لم يبق للضبط والتحقيق ، ومن ثم كثر التصحيف والتحريف في كتب المتأخرين مما لم يمهدهم عشر معشاره في كتب الاقدمين .

ومن اشهر معاجم اللغة في المائة السادسة :

١ - تهذيب اصلاح المنطق لابي زكريا التبريزي المتوفى سنة ٥١٢ هـ

هذب فيه كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت ، وفسر الغامض منه واصلاح ما رآه فيه من الخطأ .

٢ - مفردات القرآن لابي القاسم الحسين المشهور بالراغب

الاصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢ هـ وهو اجل ما الف ، غاية في التحقيق وحسن الترتيب والتبويب .

٣ - السامي في الاسامي لابن الفضل احمد بن محمد الميداني صاحب مجمع الامثال المتوفى سنة ٥١٨ هـ

٤ - شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم لنشوار بن سعيد الحميري المتوفى سنة ٥٧٣ هـ وهو من احسن المعاجم شرحا للمعاني وايضا للمقاصد والمباني .

٥ - اساس البلاغة لابن القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وهو احسن كتاب الف في بابيه ، ويشرح فيه الالفاظ بادخالها في جمل هي غاية في البلاغة ، ويفصل استعمال الالفاظ على وجه الحقيقة ثم على وجه المجاز ، ولو كان فيه شيء من التوسع لما فضله معجم من المعاجم التي سلك فيها مؤلفوها المسلك اللفظي .

٦ - الفائق في غريب الحديث الزمخشري المذكور .

٧ - كتاب الامكنة والجمال والمياه له ايضا .

ثم دخلت المائة السابعة ومن اشهر ما أخرجه فيها المؤلفون من المعاجم :

١ - المغرب في ترتيب المغرب لناصر الدين المطرزي المتوفى سنة

٦١٠ هـ وهو كتاب جمع فيه المؤلف ما يستعمله الفقهاء من الالفاظ التي

تحتاج الى تفسير .

٢ - كفاية المتحفظ لآبى اسحاق بن الاجداني المتوفي في مفتتح
السنة السابعة ، وكتابه هذا مرتب على المسلك المعنوي على نمط فقه
اللغة للشمالي .

٣ - العباب الزاخر واللباب الفاخر ، لرضى الدين الصفاني المتوفي
سنة ٦٥٠ هـ وهو كتاب غزير المادة وصل فيه المؤلف الى باب الميم ولم
يتمه ، وقد جاء ما سم منه في ٢٠ جزءاً وله :

٤ - كتاب التكملة والذيل والصلة جمع فيه ما فات الجوهري
وكتابه هذا واسماه ...

٥ - مجمع البحرين جاء في اثني عشر مجلداً ، وله .

٦ - كتاب الاضداد جمع فيه الالفاظ تدل على الشيء وضده .

واشهر المعاجم التي جادت بها اقلام اللغويين في المائة الثامنة :

١ - لسان العرب لآبى الفضل محمد بن مكرم الافريقي ويعرف
بابن منظور المتوفي سنة ٧١١ هـ . وهذا المعجم من اوثق المعاجم واجدورها
بالاعتماد وهو من اوسع ما وصل اليها من المعاجم المعتبرة .

٢ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لآحمد بن محمد
المقري الفيومي المتوفي سنة ٧٧٠ هـ شرح فيه ما جاء من غريب الالفاظ
في شرح الوجيز في فقه اللغة الشافعية للرافعي فهو من قبيل كتاب
المغرب في ترتيب العرب للمطرزي . قال في آخره : وكنت جمعت
اصله من نحو سبعين مصنف ما بين مطول ومختصر .

٣- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي اقتصر

فيه على ما لا بد منه في الاستعمال ولا سيما ما يحتاج اليه في شرح غريب بعض الآثار وضم اليه كثيراً من تهذيب الازهري وغيره .

ثم دخلت المائة التاسعة وفيها ألف مجد الدين الفيروزبادي الشيرازي

كتابه الذي اسماء « القاموس المحيط والقاموس الوسيط الجامع لما في

كلام العرب من شماطيط » واشتهر باسم القاموس ، وقد كان مؤلفه

جمله مقدمة لمعجم واسع وسمه باللامع المعلم العجائب الجامع بين المحكم

والسباب ينجى في ستين سفرأ كما اشار الى ذلك مؤلفه في خطبة

القاموس ، ولشهرة القاموس اخذ كثير من مؤلفي المعاجم ولا سيما

الأعاجم منهم بطلون هذا الاسم على كل ما يؤلف في اللغة من الاسفار

حتى صار اسم القاموس عندهم مرادفا لكلمة المعجم ، ولبعد صيته كثرت

عليه الشروح والحواشي والتعليق واحاطه النقاد من كل جانب فاكثروا

من القول فيه ، له او عليه . ولم يزل الامر بين الاخذ والرد الى ان

جاء ابو الفيض السيد مرتضى الزبيدي الحسني المتوفي سنة ١٢٠٥ هـ

فالف كتابه الجليل الذي وسمه باسم « تلج العروس في شرح القاموس »

جمع فيه زبدة ما في معاجم اللغة المعتبرة من الالفاظ بأسلوب سهل وعبرة

واضحة . وكتابه هذا يعتبر آخر ما ألف في هذا العلم من المعاجم

الموثوق بها والمعتمد عليها . وقد طبع فجاء في عشرة اسفار ضخام .

هذا وقد ألف جماعة من المعاصرين معاجم افروغا جهدهم في

تسهيل مواردها على المراجعين ، ولكن مادتهم اللغوية قصرت بهم عن الوصول بهذه المعاجم الى الدرجة التي تكون فيها موضع الثقة والاعتماد عند المحققين من اللغويين لهذا العهد . وهذه المعاجم معروفة متداولة لا حاجة بنا الى التوسع في شأنها .

هذا وقد كنا ذكرنا ان من المعاجم ما هو عام في جميع ابواب اللغة كالصحيح والقاموس . ومنها ما هو خاص في موضوع كغريب القرآن والحديث ومثلثات الكلام والاضداد وغيرها . ولما كان للقرآن الكريم والكلام النبوي المكان الاسمي في انهاض اللغة والرفع من شأنها رأينا ان نلم بتاريخ هذين الفرعين على سبيل الاجمال .

مفردات القرآن

ولا نقول غريب القرآن لأن مدارس القرآن على السن الملايين من الناس منذ بدء الوحي الى هذا العهد اخذت على الغرابة مجامع السبيل فلم تجد اليه سبيلا ولا نجد لفظة من الهازله غير مألوفه الاستعمال ومعروفة المعنى واضحه المعزى . وهل الغرابة فى الالفاظ الا كونها غير اليفه فيحتاج الى معرفتها الى التنقيح عنها في مطاوي المعاجم المبسوطه وقديما عدوا الغرابة من عيوب الفصاحة فأن لنا ان نلصقها ببعض الفاظ القرآن وقد اجمع الاولون والآخرون على انه افصح كلام عرفته اللغة العربية منذ كانت في المهد الى هذا العهد .

هذا ولسنا بحاجة الى بيان ما للقرآن من اليد المشكورة والفضائل المذكورة على لغة العرب ، لأن هذا من اوائل البديهيات ، فلقد كان القرآن ولا يزال المعين الفياض لعلماء اللسان يردونه ظماء ويصمدون عنه رواء . ومن ثم توافروا على ضبط مفرداته وتحرير لغاته واستقصاء حقائقه ومجازاته ، وتصاريحه وكنائياته ، ودقائقه ونكاته ، وذلك لان الناحية اللسانية هي اول ما يستقبل طالب علوم القرآن من القرآن ، ولهذا رأينا علماء الدين وطلاب اليقين يسرون في هذه الناحية الى جنب علماء اللغة كتفا لكتف فاسفر هذا التآزر عن احسن النتائج واعظم الفوائد . ولا نذيع سرا اذا قلنا ان مفردات القرآن كتر اكيهه هي لب لباب كلام العرب وصفوة الصفوة منها وانها معتصم المتأدبين ، ومرجع العلماء المحققين بل مثابة امراء القول من المتقدمين والمتأخرين ، والله شيخ المعرفة حيث يقول في عرض كلام له في رسالة الغفران « اجمع ملحد ومهتدي وناكب عن الحجة ومعتدي ، ان هذا الكتاب الذي جاء به محمد (ص) كتاب بهر بالاعجاز ، ولقي عدوه بالارجاز ، ما حذى على مثال ، ولا اشبه غريب الامثال ... وان الآية منه او بعض الآية لتعترض في افصح كلم يقدر عليه المخلوقون فتكون كاشهاب التلائي في جنح غسق ، والزهرة البادية في جدوب ذات نسق » .

ولامرية في ان القرآن كان يخاطب العرب على وفق مناهجهم في

مخاطباتهم وخطاباتهم ، وتفاههم في افرادهم وجماعاتهم . وكان الصحابة يعرفون اكثر ما يري اليه من المعاني ويوي اليه من المغازي . واذا غم عليهم شيء من ذلك فزعوا الى الرسول الكريم ، فينير اليهم السبيل ، واكثر ما يكون تساءلهم عن الكلمات التي تصرف القرآن في اوضاعها وحوادثها عن مجاريها الاعتيادية الى معاني جديدة لم تكن من مألوف القوم قبلا مثل القرآن والايمان والكفر والصلاة والزكاة بمعانيها الشرعية ، وقد غبر الناس على هذا حياته ، ثم مدة حياة اصحابه من بعده . الى ان فتح على العرب ممالك الهجيم واختلطوا بمجراتها وصفرائها وبيضاها وسوداتها ، ومن ذلك اخذ الناس يدخلون في دين الله افواجا من بين فارسي ورومي ونبطي وحبشي وغيرهم من مختلف الالوان التي دانت لسلطان الفاتحين ، فاختلط القوم بالقوم بالساكنة والمجاورة والمختلطة والمصاهرة والمصاحبة والمتاجرة ، وبذلك تداخلت اللغات ونشئت ناشئة من صميم العرب في احضان هذا التبليل ، فجاءت مختلفة السلائق ، مضطربة الالسنه ، كما نبتت زابطة من ابناء الاعاجم لقنت من العربية ما يسد حاجتها في المخاطبات والمحاورات ، ومن هنا ذرقت لغة امشاج لاهي بالعربية الصافية ولا المعجمة الصرفة ولم تنمأ هذه اللغة أن ملكت الهجين من السنة الدهماء واحتلت مكانة ضيقت فيها على العربية انفسها . وما كاد ينطوي بساط المائة الاولى للهجرة حتى بدت وجوه الاختلال سافرة ، وظهر الاضطراب في عمود اللغة كل الظهور .

ومن هنا شمرت جمهرة القوم بمسيس الحاجة الى الاستفسار عن
كثير من الفاظ القرآن الكريم واستجلاء معانيها التي كانت اسلافهم
يدركون مراميهم بحكم سلافتهم ، لانها من نوع ما كانوا به يتفاهمون
وعلى نمط ما به ينثرون وينظمون . ولما رأى عقلاء الامة واهل العلم
استرسال امر الاختلال وتفاقم الاضطراب والاختبال - استفزتهم
الحمية واهابت بهم الغيرة ، فانصرف فريق منهم لرأب الصدع ، وسد
الثغر . واول من بلغنا انه جمع شيئاً في تفسير بعض مفردات القرآن ابو
عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢٠٩ فقد ذكر روا انه الف في هذا
كتاباً اسماه « المجاز في غريب القرآن » وآخر اسماه « معاني القرآن »
والمراد بمعاني القرآن تفسير مفرداته ، وهو اصطلاح معروف عند
المتقدمين ، وحيث رأيت في كتاب علوم القرآن « قل اهل المعاني »
فالمراد بهم مصنفوا الكتب في مفردات القرآن ، ونجد في فهرس
كتب الاصمعي كتاباً اسمه « غريب القرآن » والاصمعي من معاصري
ابي عبيدة وتأخر عنه قليلاً .

ثم اقبل اهل العلم على التأليف في هذا الموضوع حتى لا يكاد يقع
نظرك على فهرس من فهارس أئمة اللغة الا وتجد صدره متحلياً باسم
كتاب في هذا المعنى . منهم الزجاج والفراء ومحمد بن القاسم الانباري
وابو عمر الزاهد وابن دريد وغيرهم خالق كثير . وكان من اجمعها كتاب

ابي غنيم القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٣ . وكانت الكتب المصنفة في هذا الفرع عارية من الترتيب غفلاً من التبويب . وكانت بالمعجم اللغوية اشبه منها بالكتب ذات الفصول والابواب ، واستمر الامر على ذلك الى ان جاء ابو بكر محمد بن عزيز السجستاني المتوفى سنة ٣٣٠ هـ فألف كتابه المشهور « نزهة القلوب » ورتبه على حروف المعجم ترتيباً لم يسبق اليه فبدأ بالهمزة المفتوحة وثني بالمضمومة وثالث بالمكسورة . وهكذا فعل بسائر حروف المعجم على الترتيب المشهور ، وهذا الكتاب على صغر حجمه من اتقن ما ألف من نوده وقد قيل انه اقام في تأليفه خمس عشرة عاماً يحرقه هو وشيخه ابو بكر بن الانباري . وكان يتهمه بالانصاح والتجويد بين حين وآخر .

ولم نزل التأليف في هذا الباب آخذة في الاتساع من حيث الكمية والاجادة من حيث الكيفية الى ان جاء ابو عبيد احمد بن محمد الهروي المتوفى سنة ٤٠١ هـ وصنف كتاباً كبيراً جمع فيه بين غريب القرآن والحديث ورتبه على حروف المعجم فاستخرج الكلمات اللغوية التي تحتاج الى تفسير وتوضيح ، واثبتها في حروفها وذكر معانيها ، فاذا اراد الانسان كلمة وجدها في حرفها من غير تعب . فجمع كتابه هذا بين دقة التحقيق وجودة الترتيب والتبويب ولذلك اعتمد عليه الناس من بعده واكثروا عليه من الاستدراكات والتعليقات والاصناف الى ان جاء الحافظ ابو موسى محمد بن ابي بكر المدني الاصفهاني فصنف كتاباً جمع

فيه ما فات الهروى من الغريب ، وسلك في وضعه مسالك الهروى فجاء
 بمائلا له حجما وفائدة . وغبر الناس يمتدنون على هذين الكتابين
 الجليلين وما سبتهما من الكتب المهمة الى ان جاء ابو القاسم الحسين بن
 محمد بن الفضل المعروف بالراغب الاصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢ هـ فألف
 كتابه « مفردات الفاظ القرآن » مرتبا على حروف الهجاء ، مقدما ما
 اول اصوله الهمزة ثم الباء الى آخر حروف المعجم ، مشيراً الى المناسبات
 التي بين الالفاظ المستعمارة والمشتقة ، فجاء كتابه هذا من احسن ما ألف
 في بابه من حيث غزارة المادة وكثرة التحقيق ، وحسن الاختيار ، وبعد
 النظر . فهو في نظرنا - افيد معجم يرجع اليه الطالب في تحقيق معاني
 الالفاظ القرآنية ، وعليه اعتمد البيضاوي في تحرير تفسيره من ناحية
 معاني الالفاظ ، واصول اشتقاقها ، ولم نعرف من بعده كتابا يفضل به
 موضوعه هذا ومن الواضح ان المؤلفين في هذا الفرع يستقون حاجتهم
 من المعين الذي تستقى منه اللغة العربية على العموم ، زيادة على استعانتهم
 بالاحاديث النبوية وآثار الصحابة ، كالنقل عن ابن عباس واصحابه
 والآخرين عنه ، فانه ورد عنهم في هذا الباب الشيء الكثير الجدير
 بالاعتماد ، تجد ذلك منشورا في كتب التفسير ودواوين اللغة ، وقد احصى
 منها جلال الدين السيوطي في كتاب « الاتقان » ما يقرب من ثمانمائة
 كلمة مع تفسيرها على طريق الایجاز .

غريب الحديث

لا تعرف العربية بمد القرآن الكريم كلاما يسامي الكلام النبوي او يدانية فصاحة ومبنى وبلاغة، وجمال اسلوب وجلال قدر، وبراعة تركيب، وروعة تأثير، وانه كما يتول شيخ الكتاب ابو عثمان الجاحظ لم يسمع الناس بكلام قط اعم زمعا ولا اصدق لفظا ولا اعدل وزنا، ولا اجمل مذهبا ولا اكرم، مطلبيا ولا احسن موقعا، ولا اسهل مخرجا ولا انصح عن معناه ولا ابين عن فحواه من كلامه صلى الله عليه وسلم، ورب قائل يقول : اذا كان الامر على ما وصفت فمن أين تسالت الغرابة الى بعض الفاظه، وتطرق التعميد الى بعض معانيه، والغرابة لا تساكن الفصاحة والتعميد لا يجاور البلاغة؟ فنحن نقول : ان الكلام النبوي ينزه عن التعميد والغرابة بالمعنى الذي يريده المتأخرون من علماء البيان، لانهم لا يريدون بذلك الا الخروج عن جادة المؤلف من الالفاظ بالنسبة الى المتكلم والمخاطب، فاذا كان اللفظ من مؤلف المخاطبين فليس لاحد ان يسميه بسمة الاغراب، او يصمه بوصمة الابهام، وان كان غير مؤلف عند غير المخاطبين به من الناس اذا اعتبار - في هذا الباب - مقصور على من يتوجه اليه الخطاب دون غيره، ولو ذهبنا في تفسير الاغراب والتعميد عند البيانيين غير هذا المذهب وقلنا من شرط الفصاحة في الكلام ان يكون عاريا من كل لفظ غير مؤلف

للناس اجمعين في كل زمان ومكان لما وجدنا كلاما للمتكلم من عرب الجاهلية
 وصدر الاسلام يستحق ان نخلع عليه حلة الفصاحة ضافية او غير ضافية،
 لا نالا نعرف لهم كلاما منشوراً او منظوما يخلو من الفاظ غير مألوقة
 بالنسبة للاجيال المتأخرة تدفع السامع او القاريء منهم الى استنطاق
 دواوين الادب ومماجم اللغة ، والاستنجاد بالشروح والتعاليق .
 والحقيقة ان الغرابة نسبية تختلف باختلاف الداس والزمان والمكان ، فرب
 لفظ يكون شائماً دائماً عند قوم ، وعديم الاستعمال قليلاً عند آخرين .
 ورب لفظ يكون معروفاً مألوفاً في زمان او بلد ، ومنكوراً مجهولاً في
 في زمان او بلد آخر ..

هذا واعلم ان النبي (ص) كان يشافه العرب ويكاتبهم افراداً
 وجماعات ، وكانوا على ما تعلم من اختلاف اللون واللغات ، وتباعد
 المواطن واللهجات ، وكان يخاطب كل قوم بلغتهم وعلى اسلوب تفاهمهم ،
 وان كان ما يكلمهم به غير معروف تمام المعرفة عند قومه واهله بل قد
 تجهله قبائل معد كلها . فقد روى ان علياً كرم الله وجهه قال للنبي (ص)
 وقد سمعه يكلم وفد بني نهد بلغتهم : « يا رسول الله نحن بنو اب واحد
 وزناك تكلم وفود العرب بما لا نفهم اكثره » فقال له : « ادبني ربي
 فاحسن تأديبي » ومن يرجع الى اسفار قبائل العرب غير العدنانية
 يأخذ العجب مما اوتي به الرسول الكريم من البسطة في البلاغة وسعة
 الاطلاع على مختلف لغات الجاهلية من قبائل مضر فلا نحكم على هذه

الالفاظ بالغرابه المطلقة بل علينا ان نبحث عن مواردھا . ونقف على ما تكتنفھا في زمان ومكان ، وبذلك نصل الى انها قيلت في موضعها ، ووقعت في موقعها بحيث لو حل محلها غيرها مما نسميه مألوفا الآن لو سم بسمه الاغراب والازرار .

ثم ان كثيراً من الكلام النبوي نقل الينا بالمعنى دون الالفاظ ، والنقلة اكثر من ان يحصوا عدداً وهم مختلفوا الانساب قبيلة وبلداً ، منهم القرشي والسكناني والبكري والتغلي ، ومنهم الهمداني والكندي والقضاعي والزبيدي ومنهم المسي والمدني والحضرمي ... الخ .

فاذا نقل احدهم الحديث بالمعنى كان اللفظ له . وعلى اسلوب كلام قومه واهل بلده . ومن هنا ينكشف لنا السر في ورود بعض الاحاديث على نمط لم يكن مألوفا في لغة اهل الحجاز وان كان الخطاب معهم ، وما ذلك الا لان اللفظ لبعض الرواة وهم غير حجازي القيلة او البلد . وهذا هو السر ايضا في ان المتقدمين من النحاة لم يجمعوا الحديث اساسا في الاستشهاد لتقرير قواعد النحو واستخراج مسائله . واول من وسع دائرة الاستشهاد به وعول عليه في اثبات القواعد وتقرير المسائل امام المتأخرين من المحققين محمد بن عبدالله بن مالك الاندلسي المتوفى سنة ٦٢٢ هـ والحق معه لان المتقدمين الاولين من نقلة الحديث معظمهم ممن كلامه حجة في العربية ، فاذا ابدلوا بعض الفاظ الحديث بالفاظ من عندهم فليس معنى ذلك انهم خرجوا به عن العربية المعربة الى غيرها .

وانرجع الى ما نحن بصدده من الكلام في تاريخ علم غريب الحديث فنقول :

اول من جمع في هذا العلم شيئاً ابو عبيدة معمر بن المثنى جمع فيه كتاباً صغيراً اذا اوراق معدودات لانه مبتدئ ، ولان في الناس اذذاك بقية ، وغصن اللغة لم يزل وريقاً ، فلم تكن الحاجة ماسة الى الكثير مما يعده المتأخرون غريباً لانه لم يكن اذذاك بالغريب .

ثم جاء النضر بن شميل المازني فجمع في ذلك كتاباً اكبر حجماً من كتاب ابى عبيدة واوسع فيه الشرح والايضاح ، ولكنه لم يخرج عن ان يعد من المختصرات .

والف الاصمعي كتاباً اربى فيه على كتاب ابى عبيدة من حيث المادة والتبسط في البيان والتوضيح . ثم ان كثيراً من أئمة اللغة جمعوا طوائف من الاحاديث وتكلموا على لغتها ومعناها ، وهم في الغالب يتواردون على الحديث الواحد فيشرحه كل على مبلغه من العلم ولم يكده احدهم ينفرد عن غيره بالشيء المهم .

وغبر الناس على هذا الى ان جاء ابو عبيد القاسم بن سلام فالف كتابه المشهور في هذا الموضوع ، وجمع فيه من الاحاديث والآثار ما لم يجتمع في كتاب من قبله . وقد روى عنه انه كان يقول : جمعت كتابي هذا في اربعين سنة فهو خلاصة عمري . وقد انتشر هذا الكتاب وذاع صيته لذلك العهد واعتمد الناس عليه في موضوعه .

فلما كان عصر عبد الله بن مسلم بن قنينة الدينوري ورأى ما عليه
الناس من الاعتماد على كتاب أبي عبيدة ، ووجد ان هذا الكتاب لم
يأت على معظم الاحاديث واكثر الآثار تحتاج الى الايضاح والتبيين -
عمد الى تأليف كتاب جمع فيه ما اغفله ابو عبيدة في كتابه ونحاه فيه ما
نحاه من طريقة التفسير والشرح . وكان ابراهيم بن اسحاق الحربي
مما صرأ لابن قنينة فالف كتابا واسما جمع فيه الشيء الكثير من
الاحاديث والآثار ، وبسط القول واطال الشرح ، وليكن الناس
زهودا في هذا الكتاب لان المؤلف اطاله بذكر الاحاديث بطرق
اسانيدها وذكر متونها من اولها الى آخرها . ولم يكن في بعضها الا
الكلمة والكلمات مما يحتاج الى الشرح والتفسير .

ثم تتابع الأئمة على التأليف في هذا العلم واقبلوا عليه ايما اقبال
فلما نجد كبيرا من كبراء اهل هذا العلم الا وله شيء في هذا الباب مثل
شمر بن حمدويه ، وابي العباس ثعلب ، وابي العباس المبرد ، وابي بكر بن
الانباري وابي عمر الزاهد المعروف بعلام ثعلب وغيرهم .

ثم جاء الامام ابو سليمان احمد او « حمد » بن محمد الخطابي البستي
المتوفى سنة ٣٨٦ هـ فالف كتابا سلك فيه مسلك اب عبيد وابن قنينة ،
ولكنه قصره على ذكر ما لم يورده في كتابها فجاء كنحو من
احدهما حجما .

وغبر الناس زمنا يتداولون هذه الامهات الثلاثة ويعملون عليها في بابها ، ولكن هذه الكتب وما قبلها - ما عدا كتاب الحربي - لم تكن مبوبة تبويبا يسهل على الناس المراجعة ، وفي هذا ما فيه من العناء على المراجعين فاذا اراد المرء معرفة كلمة غريبة وردت في احد الاحاديث لا يهتدي اليها الا بعد جهود كثيرة ، زيادة على انه لا يدري الحديث المطلوب في اي الكتب الثلاثة هو ، فيحتاج الى استقراءها واحداً واحداً . فلما كان عصر ابني عبيد احمد بن محمد الهروي - وكان معاصراً للخطابي - الف كتابه المشهور في غريب القرآن والحديث ورتبه مقفى على حروف المعجم على ما قلناه في مفردات القرآن . وقد جمع في كتابه هذا ما في كتاب ابني عبيد وابن قتيبة وغيرهما ، و اضاف الى ذلك ما تنبئه بنفسه مما لم يرد في كتب من تقدمه .

ثم جاء الامام محمود بن عمر الزنخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ فالف كتابه «الفائق» ورتبه على حروف المعجم . ولكنه عندما يريد شرح كلمة غريبة من حديث يشتمل على اكثر من كلمة غريبة يورد الحديث كله او بعضه ويشرح كل ما فيه من الغريب ، وبذلك يشرح كثيراً من الكلمات في غير حروفها فيفسر على المتتبع الشور على مطلوبه بالسرعة ولذلك لم يشتهر كتابه اشتهار كتاب الهروي مع ما اودعه من الحقائق اللغوية والتدقيقات العلمية.

وجاء ابو موسى محمد ابن ابي بكر المديني الاصفهاني فالف كتابه
في الغريبين جمع فيه ما فات الهروي من غربي القرآن والحديث على ما
علمت في الكلام على غريب القرآن .

والف ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي كتابه في الغريب ، نهج
فيه نهج الهروي بل هو كالمختصر منه .

وكان من معاصريه العلامة ابو السعادات المبارك بن محمد المعروف
بابن الاثير الشيباني الجزري المتوفى سنة ٦٠٦ هـ فرأى ان احسن ما
يرجع اليه في هذا الشأن كتاب الهروي وابي موسى المذكورين وقد
رأى ان الانسان اذا اراد كلمة غريبة يحتاج الى ان يتطلبها في احد
الكتابين فان وجدها فيه والا طلبها من الكتاب الآخر ، وهما
كتابان كبيران في مجلدات ، فعمد الى جمع ما فيهما من غريب الحديث
مجرداً من غريب القرآن ، و اضاف كل كلمة الى اختها تسهيلاً لكلفة
الطلب ، وقد ضم اليهما الشيء الكثير مما لم يوفقا اليه من غرائب الكتب
الصحيح كالبخاري ومسلم وغيرهما من الكتب المدونة في اول الزمان
واوسطه وآخره ، ومن كتب اللغة على اختلافها ، وقد سلك طريقة
الكتابين المذكورين في الترتيب والتبويب على حروف المعجم ملتزماً
الحرف الاول والثاني من كل كلمة واتبناهما بالحرف الثالث منها ناظرآ
الى الحروف الاصلية من الكلمة دون الزوائد ، وانه كثيراً ما يعتبر

الحروف الزائدة في أوائل بعض الكلمات بمثابة الحروف الأصلية تسهيلات على الطلاب ولا سيما الذين لا يكادون يفرقون بين الأصلي والزائد، على أنه عندما يذكر ذلك ينبه على أصل الكلمة لئلا يظن ظان أن الزائد أصلي فيختلط عليه الأمر. واسمى كتابه هذا «النهاية في غريب الحديث والأثر» وهو أجل كتاب ألف في هذا العلم واجمه، وعليه الاعتماد في فنه، وقد صار مستمداً لمؤاني المعاجم اللغوية من بعده. ولا نعرف أن أحداً ألف بعده كتاباً يساويه أو يقاربه غير أن جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ كان قد لخص هذه النهاية في كتاب اسماء «الدر النثير في تلخيص نهاية ابن الأثير» وقال أنه ضم إلى كتابه هذا كثيراً مما فات صاحب النهاية، ومن وقف على النهاية ثم وقف على هذا الكتاب لم يرق لنظره الرجوع إليه مرة أخرى لأن جلال الدين السيوطي بتلخيصه هذا ذهب برواق الأصل وجماله، وضيق منه واسعه فسيحاً، هذا وإنما تراحت أقلام أهل العلم في باب غريب الحديث أكثر من ازدحامها في باب مفردات القرآن لأن الأحاديث الآثار فسيحة الرقعة منتشرة الأطراف واسعة الأرجاء، وقلما توفق العالم المبرز إلى استقصاء أكثرها فيأتي عالم آخر من بعده فيستدرك عليه كثيراً مما فات، ثم يأتي ثالث فيستدرك على الثاني وهكذا على ما علمت فيما مر، بخلاف القرآن الكريم فإنه مجموع بين دفتيه، متواتر بكل ما في معنى

التواتر من قوة ، وبهذا يسهل على اهل العلم استقصاء كل ما فيه من المفردات فلم يبق الا اختلاف انظارهم في تفسير بعض الكلمات واختلافهم في ايجاز الشروح او الاطناب فيها ، واختلاف اذواقهم في الترتيب والتبويب ، والتنقيح والتهذيب ، وهذه امور ليست من الصعوبة بمكان ، بخلاف ما يمانيه المؤلفون في غريب الحديث من التتبع الكثير والاستقراء الواسع ، هذا ابن الاثير بعد ان وقف على ما وقف عليه من جهود العلماء في هذا الباب واستقرى ما وصل اليه جهده من المصنفات الكثيرة في الحديث والآثار ، تجده مع ذلك كله يقول في خطبة نهايته « كم يكون قد فاني من الكلمات الغريبة التي تشتمل عليها احاديث رسول الله ﷺ واصحابه واتباعهم جاءها الله ذخيرة لغيري يظهرها على يده ليذكر بها ، ولقد صدق القائل : كم ترك الاول للآخر ، يقول هذا وهو من هو في غزارة العلم وسعة الاطلاع ، وطول الباع ، في علوم الشريعة وفنون الآداب .

النحو

قلنا في تاريخ علم اللغة ان انبساط العرب في الارض على عدان نهضتهم المعروفة دفع بلغتهم الى الاحتكاك بلغات الامم المختلفة فاخذ اللحن يرب في عروقهم والعجمة تسري في اطرافها . وان اول ما منيت به الاضطراب في اعرابها ، والاختلاف في نظام تركيبها . والاعراب

اجل حلية تتجلى به لغة مضر وانفس اعلاقتها ، واجلى مميزاتها ، واجل
مفاخرها . فعز على ابنائها وذويها ان تصاب على مرأى منهم ومسمع
وهم عنها لاهوت ، فهب فريق من عقلائهم ، واهل المواهب فيهم ،
حفزتهم الحمية القومية ، والغيرة الدينية ، والحنكة السياسية الى بذل الجهد
في نصرتها وتعزيز جاذبها ، وكان مجلى الحلبة في هذا المضمار ابو الاسود
الدؤلي الكنتاني احد اعلام البابيين ، فمل ذلك باشارة امير المؤمنين
علي بن ابي طالب (رض) وكان ابو الاسود من اعلام شيعة
وانصاره . فعمد ابو الاسود الى ضبط بعض القوانين ، واستقرء بعض
الابواب وكتب في ذلك صحيفته المعروفة عند النحاة بالتعليقة وهي
اول صحيفة دونت في علوم اللسان العربي .

واختلف الناس الى ابي الاسود يتعلمون منه القواعد التي وضعها
واطلق عليها اسم « النحر » . وتخرج به في هذا العلم جماعة كانت من
انهم ابنه عطاء ويحيى بن يمر العدواني ، ونصر بن عاصم الليثي
وميمون الاقرن ، وعنبسة بن معدان الفيل . ثم تخرج بهذه الطائفة جماعة
وبهؤلاء آخرون على ما عرفناه في تاريخ علم اللغة . ولم يزل امر هذا
العلم في توسع الى أن كان عصر الخليل بن احمد الفراهيدي فجمع متفرقه ،
وفصل قواعده ، واكمل ابوابه ، وهذب مسائله . وبالجملة فان الخليل
يعد امة في علوم اللسان العربي .

واخذ النحو عن الخليل جماعة من انبهم سيديويه . وقد ألف كتابه الذي اسماه « قرآن النحو » ، وعقد ابوابه بانظمة ولفظ الخليل . فاذا جاء في كتاب سيديويه لفظ « حدثني » او « قال لي » او « اخبرني » او نحو ذلك من غير ذكر احد فانه يريد الخليل .

البصريون والكوفيون

ان ابا الاسود وان كان كوفي المولد الا انه بصري النشأة . وفي البصرة وضع حجر الزاوية في اساس علم النحو . وكان تلامذته من اهلها ، وكذلك تلامذتهم . ولم يزل النحو ريبا للبصريين ينتل في حجور أئمتهم زمنا قبل ان عرفه الكوفيون .. واول من عرف النحو من الكوفيين شيبان بن عبد الرحمن التميمي المتوفي سنة ١٦٤ هـ وكان في الاصل من ثقات البصريين واكتنه هاجر الى الكوفة واتخذها دار إقامة له . وهو من تلاميذ ابى عمرو بن العلاء . ومن اخذ عن ابى عمرو من الكوفيين ابو جعفر الرؤاسي . وكان معظما عندهم وحجة لديهم . ويقولون ان كثيرآ من علومهم وقراءآتهم مأخوذة عنه . وهو اول من وضع كتابا في النحو من الكوفيين . وقد اسماه « الفیصل » قيل : « ان كل ما في كتاب سيديويه من قوله « وقال الكوفي كذا » انما عني به الرؤاسي هذا » .

وكان عمه معان بن مسلم الهراء معاصرا له . وهو نحوي مشهور

وهو الذي ابدع التصريف على ما سوف تعلمه . وتخرج بهذين
الامامين جماعة اشهرهم وانهم علي بن حمزة الكسائي . وكان حضر في
حلقة الخليل بن احمد . وضرب في البوادي سنين كثيرة يأخذ عن
اقحاح الاعارب وفصحائهم الى ان استوى اماما غير مدافع . واليه
انتهى علم العربية والقراءات بالكوفة وهو الذي رسم للكوفيين
الحدود التي احتذوا امثالها . وخالفوا فيها البصريين وكان عندهم كالخليل
عند البصريين ومن هنا انماز نحو الكوفة عن نحو البصرة . وبدأ
التدافع والتنازع بين الفريقين . ومن اشهر امثلة ذلك المناظرة التي دارت
بين امامي المصريين : الكسائي وسيديويه في مجلس يحيى بن خالد البرمكي ،
وتحريير الخبر : ان سيديويه قدم على البرمكي وافداً . فزم يحيى على الجمع
بينه وبين الكسائي فجعل لذلك يوماً . فلما حضر سيديويه تقدم اليه
تلميذا الكسائي خلف والبراء . فسألاه مسائل عن قول العرب :
« وقد كنت اظن ان العقرب اشد لسعة من الزبور فاذا هو هي . او
فاذا هو اياها . » فقال سيديويه : « فاذا هو هي ، ولا يجوز النصب .. »
وسأله عن امثل ذلك نحو : « خرجت فاذا محمد القائم او القائم » فقال
سيديويه : « كل ذلك بالرفع » . وقال الكسائي « العرب ترفع كل ذلك
وتنصبه » فقال يحيى البرمكي : « قد اختلفتما واتما رئيسا بليديكما ، فمن
يحكم بينكما ؟ » قال له الكسائي : « هذه العرب يبابك قد سمع منهم اهل

البلدين فيحضرون ويسألون « فاحضروا فوافقوا الكسائي .

وايضاح هذا ان العرب تقول : خرجت فاذا هاشم واقف او واقفاً ، فالرفع على الخبرية وهو الاكثر ، وعليه قوله تعالى : « هي حية تسمى » « فاذا هي شاخصة ابصارهم » « فاذا هي بيضاء للناظرين » « فاذا هم خامدون » ... والنصب على الحالية ، وهو قليل . واذا قيل : خرجت فاذا هاشم الواقف وجب الرفع وامتنع النصب عند البصريين لان من شروط الحال عندهم ان تكون زكرة « والواقف » هنا معرفة . ومثل ذلك قولهم : « فاذا هو هي » فلا يجوز عندهم الا تيان بضمير النصب وهو « اياها » بدل ضمير الرفع وهو « هي » لان « اياها » لا يصلح ان يكون حالاً لانه معرفة بل هو من اعرف المعارف . ولانه غير مشتق . وشرط الحال عندهم ان تكون مشتقة ...

اما الكوفيون فيستندون في قولهم هذا على السماع وان كان قليلاً . والبصريون يرجعون ما سمع من ذلك الى ما اشترطوه بضروب التأويل معروفة عندهم ومبثوثة في كتبهم ..

ومن هذا تعلم ان سيبويه اعتمد في جوابه على قاعدة اهل بلده والكسائي انتصر عليه بسماعه عن اعرابه . وهذه المسألة هي المشهورة عند النحاة بـ « الزبورية » . واليها اشار الاديب ابو الحسن حازم بن محمد الانصاري الاندلسي المتوفي سنة ٦٨٤ هـ في منظومته المشهورة :

والعرب قد تحذف الاخبار بعد اذا
 اذا عنت فجأة الامر الذي دها
 وربما نصبوا للحال بعد اذا
 وربما رفعوا من بعدها ربما
 فان توالى ضميران اكتسى بهما
 وجه الحقيقة من اشكاله غمما (١)
 لذلك اعيت على الافهام مسألة
 اهدت الى سيديويه الحنف والغمما (٢)
 قد كانت المقرب العوجاء احسبها
 قدماً اشد من الزنبور وقع حما (٣)
 وفي الجواب عليها هل اذا هو هي
 او هل هو اياها قد اختصما
 وخطأ ابن زياد وابن حمزة في
 ما قال فيها ابا بشر وقد ظالما (٤)
 وغاز عمر ايلي في حكومته

(١) الغمم هنا : كناية عن الخفاء والغموض . (٢) والغمم : جمع الغمة ، وهي السكرية .

(٣) الحمة : سم المقرب وضرها . والجمع حما وحما

(٤) ابن زياد : هو يحيى بن زياد (الفراء) وابن حمزة : علي بن حمزة —

يا ليته لم يكن في امره حكماً (١)

كفيظ عمرو عليها في حكومته

يا ليته لم يكن في امره حكماً (٢)

والغب في العلم اشجى محنة عرفت

وابرح الناس شجوا عالماً هضماً

وهذه الحادثة اوضح مثال يماز به احد المذهبين عن الآخر . فان

البصري يبنى قاعدته على الاغلب الشائع ، ويرمي ما وراءها من الشاذ

والنادر ناحية ، او يجتهد في ارجاعها الى قاعدته بضرب من التأويل

والتوجيه ، اما الكوفي فيسمع الشاذ او النادر ويجمها اصلاً يقيس

عليه غيره فكثير مما يعتبره البصريون شاذاً او نادراً يعتبره الكوفيون

قاعدة واصلاً . وبذلك تنتشر المسائل وتتسع دائرة الجواز اصف الى

ذلك ان البصريين لا يعتمدون على التأصيل والتفريع الا على العرب

الموثوق بعريتهم من الذين توقعت سلائقهم ، وابتعدت عن الحواضر

— (الكسائي) . وابو بشر (سيبويه) . والمعنى ان الفراء وشيخه الكسائي خطأ

سيبويه في هذه المسألة ظالماً منها .

(١) عمرو : اسم سيبويه . وعلى اسم الكسائي . والالف في قوله حكماً

للاطلاق والحكومة : الحكم .

(٢) المراد بعمرو في هذا البيت (عمرو بن العاص) وبعلي : علي بن ابي

طالب ، وبالحكومة التحكيم . والحكم من يرتضيه الخصمان للحكم بينهما .

مضاربهم ، بخلاف الكوفيين فانهم قد يعتمدون على من كان يجاور
 مصرهم من الاعراب الذين خارت سلاقتهم ، واختبات السندتهم لكثرة
 ترددهم الى الحواضر ، واختلاطهم بالاكورة من الانباط ، فالبصريون
 لا يرون الاعراب الذين يحكي عنهم الكوفيون حجة ، وكانوا
 يميرونهم بهذا ، ويقولون لهم : « اخذتم عريبتكم عن باعة اللبن واكالة
 الكوامخ ، ونحن اخذنا عريبتنا عن حرشة الضباب واكالة اليرابيع »
 زد على هذا وذك ان جماعة من رواة الشعر الكوفيين كانوا يصنعون
 الشعر وينسبونه الى غير اهله ، وعلى رأس هذه الجماعة المفتعلة حماد ابن
 هرمل الديلمي اللحانة المصحف الكذوب ، وكان النحاة من اهل
 الكوفة يعتمدون على هذا النوع من الشعر المختلط ويستشهدون به
 على تقرير قواعدهم وتأيدها . وهذا ما حمل البصريين على طرح نحو
 الكوفيين والاستخفاف به ، زيادة على اضطراب اوار المنافسة بين علماء
 المصريين من اول يوم . ولا يعلم ان احداً من البصريين اخذ شيئاً من
 النحو عن الكوفيين ، ولا روى عنهم شيئاً من الشعر يعتمد عليه في
 الشاهد الا ما كان من ابى زيد الانصاري البصري فانه روى عن
 المفضل الضبي الكوفي لثمته في الشعر وامانته ..

على ان البصريين في تخرجهم واثرة تشددهم ضيقوا على العربية
 صدرها الواسع في كثير من المواطن التي تتطلب سعة وانبساطاً ، ولا

يتسع هذا الباب للإفاضة في هذا ، وسنفرد له فصلا برأسه في غير هذا المكان ان شاء الله تعالى ...

وانتهت رئاسة الكوفية من إمد الكسائي الى يحيى بن زياد الفراء . وكان اخذ علمه عن الكسائي وهو عمدته ، واخذ عن اعراب وثق بهم ، وعن يونس من البصرية ، وكان المأمون قد رسم ان تفرد له حجرة من حجر دار الحكومة ، وוכל به من يكفيه كل حاجته ، وعين له الوراقين ، والزمه الامناء والمنفقين . وامره ان يؤلف ما يجمع به اصول النحو وما سمع من العرب فكان يملى والوراقون يكتبون ، حتى اتم تصنيف كتابه المعروف بكتاب الحدود . وجمع فيه ستة واربعين حداً في النحو ، والف كتباً اخرى وكثير يتلف في تصانيفه . وكان الكوفية يلقبونه : امير المؤمنين في النحو .

ولما انشئت بغداد ، وصارت حاضرة الخلافة ، وعاصمة آل عباس ، وراجت فيها سوق الآداب كان الكوفيون اسبق الناس اليها لمكانة الكوفة من بغداد من الوجهتين : السياسية والجغرافية . ولهذا وجدنا ان علماء الكوفة اتصلوا بقصور الخلفاء والامراء ، واحتلوا الصدور من حلق تدريسها ومحافل اديبها . فكان الكسائي عند الرشيد والفراء عند المأمون بالمكانة السامية . وكان مذهب الكوفية ما علمت من التساهل في التأصيل والتفريع ومن ثم وجدنا تلاميذهم من البغداديين مولعين بالروايات الشاذة . يتفخرون في النوادر ، ويتباهون

بالتريخيصات . واعتمدوا على الفروع ، ولم يأبهوا للاصول ، ومن هنا
تولد مذهب مضطرب النواحي كثير التعاريج ، عرف بمذهب
البغداديين ، ولما كان هذا المذهب احط من ابيه الكوفي طرحه
الجمهور وما اقاواله وزنا .

ثم تكاثرت الناس حول موارد هذا العلم ، وازدهرت اقدامهم في جنباته ،
وتكاثرت فيه التصانيف ما بين مطولة ومختصرة ، وبين عامة مشتملة على
جميع ابوابه ، وخاصة مقتصرة على باب او بضعة ابواب ، وكثر الأخذ
والرد بين ارباب المذاهب من البصرية والكوفية والبغدادية ، وطال
الاجاج ، وكثر الحجاج ، وتمطت الابواب والفصول ، وانتشرت المسائل
واشتبكت الفروع . وبينما الناس في هذه الضجة في المشرق ، كان النشاط
آخذاً مأخذه في تكوين الدولة الاندلسية في المغرب . وقد اوعى ملوك
هذه الدولة واشتدت رغبتهم في تنشيط الحركة الأدبية ، وتعزيز جانبها ،
افتناء لآثار اوالهم في شاماتهم ، ولأحياء لما آثرهم في ايام زهوهم ، ومباراة
لابناء عمهم في بغدادهم . فكان همهم تقرب اهل الادب والحدب عليهم
والحرص على تكريمهم وتبجيلهم ، وقد ادروا لهم اخلاف النعم حافلة ،
وخاموا عليهم حلل الفواضل صافية ، مما زاد في اقبال الناس على المعارف
يردون حياضها ، ويرتشفون زلالها ، ويرنادون رياضها ، ويتفيئون
ظلالها .. فانجبت تلك المملكة جماعات من فطاحل علماء العربية رجعوا

الى ما اصله العراقيون من الاصول ، وما فرعوه من الفروع ، فاطالوا
النظر فيه ، ووقفوا على ما بين البصرية والسكوفية من خلاف ووافق ،
وما يستند اليه كل فريق من رواية ودراية ، وتنبأ لهم ما لم يتنبأ لغيرهم
من الاطلاع على مرويات المشاركة كلها من منظوم القول ومنشوره .

وكان جل اعتمادهم على مذهب البصرية ، ومع ذلك فأنهم شقوا لهم
طريقاً واضحة تنسب اليهم ، وهي من اقوم الطرق واتقنها لانها لم
تنحرف عن البصرية الا عندما تنحرف البصرية انحرافاً لا تستسيغه
الدراية ، ولا تدعوا اليه الرواية ..

ولم يزل هذا المذهب آخذاً في التوسع مع تعده بالصقل
والتهذيب ، وحسن التفصيل والتبويب ، الى ان طغى سيل الافرنجة على
تلك الربوع ، وجفت سمؤها بشموسها واقارها ، فولى علماءها
وجوههم شطر المشرق ، وفضلوا الجلاء عن الاوطان على الوقوع في
شباك الهوان ، فتكاثر في المشرق عديدهم ، وازدانت مدارسهم بمعارفهم ،
واخذ مذهبهم يزاحم مذاهب المشاركة ولا سيما في دمشق والقاهرة ،
حتى احتل الصدور ، ولا سيما في العصور المتأخرة ..

هذه المذاهب الاربعة هي المذاهب الكبرى في هذا العلم واليها
المرجع في حل المشكلات ، وايضاح المضلات ، والا فهناك مذاهب
كثيرة يكاد عددها يتعسر على العادين . لذا اكل امام في الحقيقة مذهب

خاص به يخالف فيه غيره ولو من بعض الوجوه ، فلسيبيويه اراء يخالف فيها شيخه الخليل . وللاخفش الاوسط اراء يخالف فيها شيخه سيبيويه وللأفراء مذهب ينحرف عن مذهب السكسائي في غير ما موطن . وهكذا نجد لكل عالم من علماء العربية اراء تخصه ، تكثر او تقل حسبما اوتيته من بسطة في العلم ، وقدرة على الابداع ، ولسكن مرجع هذه المذاهب المختلفة الى تلك الأمات الاربع ، واصول هذه الاربعة اثنان : البصرية والسكوفية ، اما مذهب البغدادية فمرجه السكوفية ، واما مذهب الاندلسية فمرجه البصرية ..

وقد افرد بعض العلماء مسائل الخلاف بين هذين الفريقين بالأليف واحصى في ذلك مائة مسألة ونيف اوردها جلال الدين السيوطي في كتاب : « الاشباه والنظائر النحوية » .

ولما كان النحو ملازماً لمتن اللغة ، لان اللغة هي المحور الذي تدور عليه سائر العلوم اللسانية التي يمد النحو في مقدمتها راينا انه قلما يتبحر عالم في النحو الا وهو امام في اللغة وبالعكس .. فاذا استعرضنا أولئك اللغويين الذين اومأنا اليهم في تاريخ علم اللغة ، فكأنما استعرضنا جماعة النحويين ، ولهذا لا نرى حاجة الى تكرار تلك الاسماء في هذا المقام الا اذا دعت الضرورة كما ستري ..

وما كاد ينطوي بساط القرن الرابع الهجري حتى اصبح النحو

يعد في زمرة العلوم الناضجة ، وقد تطورت حالته بتطور الحالة العلمية على وجه العموم .

وكان في مقدمة نخبة المائة الرابعة : ابو بكر بن محمد بن السراج البغدادي صاحب الاصول الكبير وحمل الاصول والموجز وشرح كتاب سيديويه . وكان قد عول على الاخفش والـكوفيين في كثير من المسائل وكانوا يقولون : « كان النحو مجنونا حتى عتله ابن السراج باصوله . » ومن أئمة هذه المائة أبو اسحق ابراهيم بن محمد الزجاج وتلميذه ابو القاسم عبد الرحمن الزجاجي صاحب كتاب « الجمل » . وابو بكر محمد بن القاسم الانباري احد علماء الحفاظ . قيل انه كان يحفظ ٣٠٠ الف بيت من شواهد العربية ، وهذا من المبالغة بمكان واسكنه على كل حال يدل على سعة حفظ الرجل . ومنهم ابو سعيد بن عبدالله السيرافي الموفى سنة ٣٢٨ هـ صاحب كتاب الاقناع ، وله شرح لـكتاب سيديويه من اجل الشروح قدراً واعظمها فائدة ..

ومنهم علي بن عيسى الرماني المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ؛ اول من مزج النحو بالمنطق ، وألف كتاب الحدود ، وشرح اصول ابن السراج وكتاب سيديويه . وله كتاب معاني الحروف وغير ذلك ، ومنهم ابو علي الحسن بن احمد الفارسي صاحب التصانيف الكثيرة منها الايضاح ، التكملة ، الحجة ، التذكرة ، المسائل الحلبية والبغدادية ، والقصرية ، والنصرية ،

والشيرازية ، والعسكرية ، والكرمانية ، والهييتية وغيرها .. ومن
 حسنات الفارسي بل من حسنات هذه المائة ابو الفتح عثمان بن جني
 الموصلي المتوفى سنة ٣٩٢ هـ تلميذ الفارسي ، واحد اعلام العربية الذين
 خدموها خدمة تذكر فتشكر . ومن تصانيفه : الخصائص في عدة
 مجلدات ، وسر الصناعة واللمع ، وكان نسيج وحده في صناعة التصريف
 على ما ستقف عليه ان شاء الله تعالى .

واتسعت دائرة النحو في المائة الخامسة ، وكثر النحاة واشهر
 منهم جماعة كبيرة من اشهرهم : عبدالقاهر الجرجاني الامام المشهور
 المبدع ، له في النحو : المفني ، والمتصد في شرح الايضاح . وله
العوامل المائة . وهو اول من ابدع هذه الطريقة في النحو ، وله كتاب
الجل وله العمدة في التصريف ..

ومن مشهوري هذا العصر : علي بن عيسى الربيعي المتوفى سنة
 ٤٢٠ هـ احد تلاميذ الفارسي الافذاذ ، وهو الذي قال له بعد ان لازمه
 عشر سنين : « ما بقي شيء تحتاج اليه ، ولو سرت من المشرق الى المغرب
 لم تجد أعرف منك بالنحو . » ومن هنا اتجهت الالفاظ الى تخليص
 المسائل الكثيرة وتحريرها ، ولم القواعد المنتشرة وتلخيصها وجمع ذلك
 في كتب مختصرة اسموها « بالمتون » ويستظفرونها بكل عناية ، ولهذا
 اشتدت رغبتهم في الاختصار وادخال المعاني السكينة تحت الالفاظ

القليلة. وانجرت بهم الحال الى المبالغة في الايجاز، بل كان كثيراً ما ينجر الامر ببعضهم في هذا الباب الى الابهام والتنمية، وقد بلغ هذا الاسلوب من التأليف ابعده شأوه في المائة السادسة والتي بعدها فقد نشأ في هاتين المائتين جماعة من فحول علماء العربية حبيب اليهم التحرير والتهذيب، وحسن الترتيب والتبويب، ثم منهم من كان يعني بالاستقصاء والاستيعاب، ومنهم من كان يقتصر على المبادئ والابواب التي لا بد منها تسهيلاً للامر على المبتدئين من المتعلمين، ولما كانت العناية متوجهة الى تسهيل الحفظ وكان المنظوم اسهل حفظاً من المنشور اتجهت انظار بعضهم الى نظم مسائل هذا العلم باساليب مختلفة.

واول من فتح هذا الباب - فيما نعلم - يحيى بن معطى الزواوي المغربي المتوفى سنة ٦٢٨ هـ. وكان لهذا الرجل عناية فائقة في نظم العلوم اللسانية. فقد نظم ارجوزة في النحو اسمها « الالفية » وشرح شواهد الزككاب نظاماً، ونظم كتاب الجهرة لابن دريد، ونظم كتاباً في العروض، ونظم الصحاح للجوهري ولم يتمه، وله منظومات في القراءات السبع، وهو الذي اوضح معالم هذه السبيل لمحمد بن عبدالله بن مالك الطائي المتوفى ٦٧٢ هـ، فان له في العربية منظومات قل أن جراه فيها مجار في الاولين والآخرين منها: ارجوزته الكافية الشافية في نحو سبع وخمسين وسبعمائة والفي بيت، ومنها استخلص خلاصته المعروفة

بالافية وهي اجمل منظومة عرفها علم النحو ، ومن منظوماته : لامية
 الافعال ، والمقصود والمدود ، وله شروح على اكثر منظوماته . ومن اجل
 كتبه في العربية كتاب « الفوائد » حشد فيه كل ما حوته مطولات
 الاقدمين من اجاث النحو والتصريف ، ثم خلص هذا الكتاب ورتبه
 احسن ترتيب واسماه « تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد » وهو كتاب ✓
 جليل القدر الا انه موجز العبارة الى حد الغموض في بعض المواطن ،
 وله عليه شرح لـ كنهه لم يتمه . وممن نظم النحو : حازم بن محمد
 الانصاري القرطبي المتوفى سنة ٦٨٤ هـ نظم قصيدة على حرف الميم
 امتدح بها بعض امراء المغرب قل في مطالعها :

الحمد لله المعلمي قدر من علما

وجاعل العقل في سبل الهوى علما

وقد مرت بعض ابيائها في المسألة الزنبورية ..

ومن المنظومات الموجزة في النحو : ملحة الاعراب لابي محمد
 القاسم بن علي الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ صاحب المقامات المشهورة .
 ومن مشهوري علماء العربية في صدر المائة السادسة حمود بن عمر
 الزمخشري صاحب المفصل .

واشتهر في هاتين المائتين جماعة لعبت ايدي الهم في مؤلفاتهم
 فلم تبق منها الا النزر اليسير .

ومن أشهر النحاة المبالغين في الإيجاز : أبو عمرو عثمان بن عمر
المعروف بابن الحاجب المتوفي سنة ٦٤٦ هـ له الكافية في النحو والشافية
في التصريف ، وله الامالى النحوية ، وله شرح الكافية وآخر للشافية.
وشرح للمفصل وآخر للايضاح ، وغيرها ..

ومن مشهوري نحاة هذا العصر في الاندلس : علي بن محمد
المعروف بابن عصفور الحضرمي الاشبلي المتوفي سنة ٦٦٩ هـ حامل
لواء العربية في زمانه بالاندلس ، له كتب في النحو والتصريف ممتعة
كانت عمدة من جاء بعده من النحويين ، منها : المغرب وشرحه ، ومنها
الممتع وشرحه .

اما نحاة المائة الثامنة فاشهرهم : أبو حيان محمد بن يوسف الاندلسي
القرطبي المتوفي سنة ٧٤٥ هـ احدى اعلام العربية الذين استنارت
بمعارفهم المصور المتأخرة ، وهو اول من جسر الناس على مصنفات
ابن مالك ، ورغبهم في قراءتها ، وشرح لهم غوامضها ، وشرح التسهيل
شرحا مطولا اسماء « التذييل والتكميل » واختصره في كتاب جاء في
سفرين اسماء « الارتشاف » ، ولم يؤلف في العربية احسن من هذين
الكتابين من حيث الاستقصاء واحصاء ضروب الخلاف ، وله :
التذكرة في العربية في اربعة مجلدات وله شروح كثيرة ، وموجزات
عديدة لكتب مختلفة .

ثم جاء علم الاعلام المدققين ، وعمدة النحاة المتأخرين : عبد الله ابن يوسف بن هشام الانصاري المتوفى سنة ٧٦١ هـ فنسب من هذا العلم موارد ، وقرب شوارده ، وذلل صوابه ، ومهد ابوابه ، قال ابن خلدون : « ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع انه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام انحى من سيديويه » ، وقال في موطن آخر : « ووصل اليينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب الى جمال الدين بن هشام من علماءها ، استوفى فيه احكام الاعراب جملة ومفصلة وتكلم على الحروف والمتردات والجل ، وحذف ما في الصناعة من المتكرر في اكثر ابوابها وسماه بالمغنى في الاعراب و اشار الى نكت اعراب القرآن كلها ، وضيئها بابواب وفصول وقواعد انتظمت سائرهما ، فوقفنا منه على علم جم يشهد بعلو قدره في هذه الصناعة ، ووفور بضاعته منها ، وكان ينحو في طريقته منحة اهل الموصل الذين اقتفوا اثر ابن جني ، واتبعوا مصطلح تعليمه فاتي من ذلك بشيء عجيب ، دال على قوة ملكته واطلاعه والله يزيد في الخلق ما يشاء . »

ومن تأليفه : التوضيح وهو شرح لآلئيه ابن مالك ، مع اغفال ذكر الايات ، وله شرح آخر اسماء « رفع الخصاصة » في اربع مجلدات وكتاب « التحصيل والتفصيل لكتاب التذيل والتكميل » في عدة مجلدات والتذكرة في خمسة عشر مجلداً . والقواعد الكبرى

والصغرى . واما كتابه « مغنى اللبيب عن كتب الاعاريب » فهو الغاية في بابه .

ثم ان عامة المتأخرين من النحويين صاروا عيالا على مؤلفات الزمخشري وابن الحاجب وابن مالك وابن حيان وابن هشام ، من بين شارح ومحش ومعلق مطيل او مختصر .

فشرح المفصل والكافية ، والشافية ، والخلاصة ، والتسهيل ، والارتشاف ، والمغنى ، وحواشها وشواهدا اكثر من ان تحصى ، وربما يكون للشرح شرح وعلى الحاشية حاشية ، فالتصريح للشيخ خالد الازهري من علماء المائة التاسعة شرح للتوضيح وهذا شرح لالفيه ابن مالك .

ولم يأت من بعد النحويين من اخرج للناس شيئا جديداً بالمغنى الصريح ، وانما كانت الهمم مصروفة الى خدمة مصنفات السابقين بالتلخيص او الشرح او التحشية والتعليق ... الخ . ومن هنا نارت بين القوم نائرة مناقشات لفظية يابسة انفجرت تحتها الاصول المؤصلة والمسائل المحررة والمطالب العالية المقصودة بالذات من هذه الصنعة ، فبدل ان يشغلوا المطالب بتقدير القواعد وتحرير المسائل ، تجدهم يخوضون معه في غير هذا الحديث فيأخذون عليه سمعه وبصره وفؤاده بسؤالات وجوابات نافهات : لم قدم هذه الكلمة على تلك وكيف جمع بين هذه وتلك ، وعلام يرجع هذا الضمير ، وما هو

موقع هذه اللفظة من الاعراب ، ولم جاء هذا الباب بعد ذاك الباب ،
ولم عبر بهذه الكلمة دون سواها ... الى غير ذلك من سفاسف الامور ،
وترك الباب الى القشور .

ولهذا نجد الطالب النابه يخوض هذه المعمة بكل ما اوتيته من
قوة ، ويصرف من الوقت والجهد الشيء الكثير ، بكل اسراف وتبذير
ومع ذلك يخرج من هذه العجاجة بغير طائل ، ولا يحور بيده من وراء
هذه الجمجمة شيء من الطحين ..

ومع الاسف فانا نجد كثيراً من هذه الكتب الجافة تنداولها
الايدي ، وتندارسها المتعلمة من ابناء هذا الجيل ، وما ذلك في نظرنا إلا
لا يد الطباعة تناولتها قبل غيرها فاخرجتها للناس فاولع بها من نابتة
العصر من لم تصل يده الى ما سواها او لم يستعد ذهنه لفهم ما وراءها
من صحاح التأليف وجليلها .

ومن اشهر ما تناولته الايدي من كتب المتأخرين : كتاب الشيخ
خالد بن عبدالله الازهري من علماء المائة التاسعة مثل شرحه على
الاجرومية والازهرية وقواعد الاعراب وغيرها ..

ومن ذلك كتب شيخ المصنفين جلال الدين عبد الرحمن السيوطي
المتوفي سنة ٩١١ هـ احد الاعلام الافذاذ الذين انجبتهم العصور
المتأخرة . له في العربية مصنفات كثيرة من اشهرها : شرحه لالقيّة

ابن مالك ، وشرح النية نفسه . وهم الهوامع شرح جمع الجوامع وهو من السكتب الممتعة ، والاشباه والنظائر النحوية . هذا وقد صنف بعض المعاصرين كتباً موجزة ، ورسائل مقتضبة لتوضع بأيدي المتعلمين من ابناء المدارس النظامية تجردت من تحقيقات المتقدمين من حيث غزارة المادة وصحتها ، ولم تنتفع بما ابدعته قرائح المعاصرين من رجال التربية والتعليم ، من بدائع الاساليب ، وتوخي السهولة في حسن الترتيب والتبويب ، ولهذا نجد جل ابناء هذه المدارس يتبرمون من صعوبة هذه الصناعة ويتهيبون السير في مسالكها وإن صحبهم فيها الدليل الخريت ، وما ذلك الا لانهم يدرسون العلوم الاخرى مصقولة الجوانب ، مهذبة احسن تهذيب ، مبنية احسن تبويب ، مصبوبة بقوالب قدرتها ايدي التربية العصرية ، واصول التعلم ايما تقدير . وبقي هذا العلم كغيره من علوم اللسان العربي في معزل عن هذا الاصلاح الا شيئاً قليلاً لا يكاد يكون شيئاً مذكوراً .

وقد رأينا ان نذيل هذا الباب بفصل نذكر فيه اشهر الطرق التي اختطها الاولون من النحاة لتسهيل هذا العلم على المتعلمين ونعقبه بفضل نذكر فيه ما يؤخذ على معظم تلك المصنفات ولا سيما المتأخرة منها من وجوه التقصير في هذا الشأن . . .

الطرق المشهورة

سلك معظم الاولين من النحويين في تأليفهم مسلك سيبويه في

ترتيب كتابه . وكتاب سيديويه وان كان مبوباً ومرتباً الا ان ترتيبه ليس بمبنى على اساس فني ، فكثيراً ما تجد مسائل في باب منبثة في ابواب اخر ، وقد تتكرر بعض المسائل في عدة ابواب ، ولهذا يتعسر على المراجع الوصول الى المسألة التي يبتغيها ما لم يكن على ذكر من موطنها قبلاً ..

فهذا الكتاب وامثاله اشبه بالمجموعات العالية منها بالكتب ذات الترتيب العلمي ، والتنسيق الفني ، وما ذلك الا لان هم المؤلفين لذلك العهد كان منصرفا الى تحقيق المسائل ، وتقرير القواعد ، وتأييدها بالشواهد اكثر من انصرفهم الى حسن الترتيب ، ودقة التبويب .

وعندما استبحر العمران ، وتفجرت ينابيع العلوم الكثيرة من شرعية وادبية وفلسفية وغيرها اتجهت الهمم الى بذل العناية في تقرب تلك العلوم من اذهان الطالبين ، وتسهيلا على المتعلمين ، فكان حظ العربية من هذه الناحية ليس بالقليل . اذ اقبل فريق من كبار علماءها الى ما تشعث من مسائلها ، وجمع ما تفرق من اصولها ، وعمدوا الى صبا في قوالب قدروها تقديراً ، بأساليب مختلفة حرروها تحريراً ..

فمنهم من نظر الى موضوع هذا العلم وهو الكلام ، فوجد ان عناصره التي يتألف منها لا تخرج عن امور ثلاثة : الاسم والفعل والحرف ، ووجد ان لكل قسم من هذه الاقسام صفات تخصه وابحاثا

تدور حوله ، فافرد لكل قسم منها بابا فصل فيها مسائله وأوضح مقاصده ،
 فيفصل في باب الاسم - مثلا - كونه نكرة او معرفة وانواع المعارف ،
 وكونه مفردا او مثنى او مجموعا ، وانواع الجموع وكونه منونا او
 غير منون ، وانواع التنوين ، وكونه معربا او مبنيًا وانواع اعرابه
 وبنائه ... الخ ..

ويذكر في باب الفعل - مثلا - كونه ماضيا او مضارعا او امرا
 وكونه مبنيًا للمعلوم او المجهول ، وكونه تاما او ناقصا وانواع الافعال
 الناقصة ، وكونه متديا او لازما ، وانواع التعدي ووسائل التعدية
 واللزوم ، وكونه معربا او مبنيًا ، وانواع اعرابه وبنائه ... الخ ..

ويبين في باب الحرف - مثلا - اصناف الحروف من : عاطفة
 ونافية وجوابية وشرطية واستفهامية واستقبالية ومؤكدة
 ومصدرية ... الخ ..

وهناك امور مشتركة تنوارد فيها الاقسام الثلاثة او اثنان منها ،
 مثل الامالة والوقف والتقاء الساكنين وغيرها ، افردوا لها بابا برأسه ،
 فاستوت الابواب اربعة . واشهر من مشى على هذه الطريقة جار الله
 الزمخشري في كتابه المفصل والاموذج ...

ومن الناحية من رأى ان اهم ما يجب على المتعلم لآتمانه تمييز المعربات
 من المبنيات ومعرفة انواع الاعراب والبناء فني ابواب كتابه على

اساس العرب والمبنى من الكلام . على ان معظم سالكى هذه الطريقة
 رأوا ان ينتفعوا بشي من اساس الطريقة السالفة ، فجعلوا معربات
 الاسماء في جانب ، ومعربات الافعال في جانب آخر ، كما فعل ابن
 الحاجب في كافيته ، وابن مالك في الفيته .

✓ ومنهم من رأى ان الاعراب اهم ما توجه اليه عنايات المتعلمين ،
 ورأى ان العرب يشتمل على امور ثلاثة : العامل والممول والعمل ،
 وبهذا انقسمت الابواب الى ثلاثة :

فيذكر في باب العامل : النواصب والجوازم وحروف الجر
 والابتداء والتجرد ... الخ ..

ويشرح في باب الممول : المرفوعات من الاسماء والافعال
 والمنصوبات منها والمجزورات والمجزومات ..

ويبين في باب العمل : الحركات الثلاث ، والسكون والحروف
 الاربعة « و ، ي ، ن ، ا » وحذفها ... الخ ...

ولا بد لمن يسلك هذه الطريقة ان يفرد بابا للمبنيات كما فعل
 « البرگوي » في كتاب « الاظهار » ، واول من ابداع هذه الطريقة فيما
 نعلم عبد القاهر الجرجاني في كتابه الذي اسماه « العوامل المائة » وقد
 ابداع ابن هشام طريقة في كتاب له اسماه « قواعد الاعراب » ورتبه
 على اربعة ابواب ، بحث في الأول عن الجمل واقسامها واحكامها . وفي

الباب الثاني عن شبه الجملة وهو الظرف والجار والمجرور ، وفسر في الباب الثالث كلمات يكثر في الكلام دورها ، ويقبض بالمعرب جهلها ، وهي نيف وعشرون كلمة ، وأشار في الباب الرابع الى عبارات محررة موجزة كثيرة الدوران على السنة المعربين ..

ثم لما ثبتت عنده بالتجربة فائدة هذه الطريقة ، عمد الى توسيعها وتحسينها وصقلها وتهذيبها فالف فيها كتابه « المغنى » المار ذكره ، مرتبا على ثمانية ابواب ، استوفى في الباب الاول منها شرح الادوات الكثيرة التي تدور في الكلام مرتبة على حروف الهجاء وشرح في الباب الثاني الجمل واقسامها واحكامها ، وأوضح في الباب الثالث احكام ما يشبه الجملة وهو الجار والمجرور والظروف ، وبين في الباب الرابع احكاما يكثر دورها ولا يجمع بالمعرب جهلها ، وعقد الباب الخامس للجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهتها ، وكسر الباب السادس على التحذير من امور اشتهرت بين المعربين والصواب خلافها ، وجل الباب السابع لبيان كيفية الاعراب ، والباب الثامن لامور كلية يدخل تحتها ما لا يخص من الامور الجزئية ..

هذه هي الطرق المشهورة البارزة ، والا فان المسالك كثيرة حتى يكاد يكون لكل مؤلف طريقة بل لكل كتاب طريقة تختلف عن غيرها ولو من بعض الوجوه . ولكن العمود الاصلي ما ذكرناه من

الطرق الأربع ، وما عداها فانه يرجع اليها من حيث المجموع ، وان
اختلف عنها بعض الشيء ...

الصرف

أول من فصل الصرف عن النحو وصيره علما مستقلا هو معاذ
ابن مسلم الهراء المتوفى سنة ١٨٧ هـ .

ويذهب بعضهم الى ان واضعه ابو عثمان المازني المتوفى سنة ٢٢٩ هـ
والاول هو الصحيح ..

ثم جاء ابو الفتح ابن جني ، ففتح من هذه الصناعة مغاليقها ، وسهل
صعابها ، ووسع رحابها ..

ثم تتابع الناس في خدمة هذا الفن فكتب ابن مالك كتابا فيه ،
وشرحه فسماه : « التعريف » .

وكتب ابن الحاجب مقدمته المروفة بالشافعية ، وتكاثر عليها
الشروح والخواشي حتى صارت تعد بالعشرات ، وكثير من شروحها
مطبوع متداول ، وقد طبعت لهذا العهد مجموعة تحتوي على طائفة من
تلك الشروح والخواشي .

وكثير من المؤلفين يختمون كتبهم بأبحاث في التصريف كما فعل
ابن مالك في الفية ، والجلال السيوطي في كتابه « همع الهوامع » على
ان معظم ابواب التصريف منبثة في ثنايا كتب النحو لما كان الحاجة
اليها هناك .

ومن الكتب الموجزة في هذا الفن : نزهة الطرف في علم
الصرف للميداني ومزاج الارواح لعلّ بن مسعود ، والعزى
والمقصود . وكل ذلك مطبوع متداول ..

وللاعاجم ولوع في مدارس هذا الفن لميسس الحاجة بالنسبة اليهم ،
اما العربي فيعرف كثيراً من مسائله بمقتضى سليقته فلا يجد كبير فائدة
بالمقدار الذي يجده الاعجمي ، ولهذا قل المؤلفون فيه من ابناء العرب...



بعض عاهات الكتب المتداولة

في النحو لهذا العهد

لا نريد في هذا المقام ان نؤمن في الاستقراء والاستقصاء ، وكل ما زعم اليه ان ناتي نظرة عجيلى على جمهرة الكتب التي اتخذ منها المعاصرون مناهج لدراسة النحو في المدرسة القديمة او الحديثة ، ونشير الى بعض العاهات التي منيت بها ، وغضت من شأنها في انظار ابناء العصر ، بل قللت الانفعاع بها الا بحد الجد والاكد ، والاسراف في الوقت ، ويمكن اجمال البارز من تلك العاهات في النقاط التالية :

١ - الايجاز الشحيح الى حدّ الاخلال المقصود ، ولا سيما في المتون التي وضعها المتأخرون وفي مقدمتهم الامامان ابو عمر عثمان بن الحاجب وابو عبدالله محمد بن عبدالله بن مالك ، وقد تبارى المؤلفون في هذا الشأن ، ولا تبارى الفرسان في مضمار الرهان ، يشبعون المعاني ويجمعون الالتفاظ حتى تصاب بالهزال والبحر ، فلا تقوي على حمل ما اثقلت به من المعاني فتجور الى طلاس موميات يتعذر على الطلبة الاستقلال بحل رموزها الا بعد الفزع الى المشايخ ، ويتعسر على هؤلاء الكشف عن غوامضها الا بعد الرجوع الى الشروح والحواشي والتعاليق .

وقد نعى ابن خلدون على القوم طريقة فهم هذه ، وافرد لذلك فصلا
 خاصا في مقدمة تاريخه قال فيه : « وهو فساد في التعليم وفيه اخلال
 بالتحصيل .. » وقال : « قصدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فاركبوهم
 صعبا يقطعهم عن تحصيل الملائكات النافعة وتمكنها .. » .

ومسألة الحفظ هذه كانت اولى الغايات وآخرها في هذه المعضلة ،
 يجورون على العبارة كل الجور في التقدير والتقدير ليسهل على الحافظة
 ازديادها ، وفاتهم ان المعلوم انما تطلب لتفهم وترسخ ما كتبت في القول ،
 واما الحفظ المجرد عن الفهم بل المضم فآثم اكبر من نفعه ، وضرره في
 الذهن لا يقل عن الاضرار التي تصيب المعدة من جراء الاطعمة التي
 تهدى فيها من غير مضغ وتحليل ، وان استظهار الالفاظ قبل تحديد
 معانيها الصحيحة في الذهن تحديدا واضحا يلجأ الذهن بعد الخيرة - الى
 خلق مبانٍ لها قد تكون قصية عن المقصود ، واسكنها تأخذ في الذهن
 مكانها وتستعصى فيه ويسر بعد ذلك على المعاني الصحيحة زحزحتها
 واحتلال مكانها فيحصل من هذا التدافع فوضى ذهنية يستعصى على اطبة
 النفوس استئصالها .

ولهذا نرى علماء النفس يشددون النكير على من يعلم الطفل لفظاً
 قبل تحديد معناه في ذهنه تحديداً واضحاً ، ويستعينون على ذلك
 بالمحسوسات او ما يقرب منها ، ومن ثم ذهب بعض الاعلام من اولينا

الى انه لا ينبغي ان يؤخذ الاحداث بحفظ القرآن الكريم الا بعد ان يستمدوا منهم بتقديم دراسات اخرى . وقال ابو بكر بن العربي : « يا غفلة اهل بلادنا في ان يؤخذ الصبي بكتاب الله في اول امره ، يقرأ ما لا يفهم... » . وقد استحسن العلامة ابن خلدون هذا المذهب وان احتذر لطبيعته بحكم العادة ..

٢ - عدم التدرج في ترتيب المسائل ، ورصف القواعد ، فتراهم كثيراً يستعينون بالمجهول لايضاح مجهول مثله فيقولون - مثلاً - « العرب هو المركب الذي لم يشبه مبنى الاصل » مع ان الطالب لم يعرف المبنى المطلق فضلاً عن مبنى الاصل . واذا سأل عن المبنى قيل له : « هو المركب الذي اشبه مبنى الاصل . » ويقولون - مثلاً - « الرفع علم الفاعلية ، والنصب علم المفعولية ، والجر علم الاضافة . » مع ان الطالب لم يعرف شيئاً بعد من امر الفاعلية والمفعولية والضافة ، ومعرفة ذلك كله تتوقف على ذكر الكثير من الفصول والابواب .

وهكذا يجد الطالب نفسه تجاه مجهولات تتكاثر وتتكاثر وغوامض تتراص وتتراكب ، فلا يقوي على تذليلها الا اذا رزق صبراً رصيناً ، وقضى الله له شيخاً بارعاً يعرض امامه سلسلة من المقدمات كثيرة الحلقات ، ثم لا يصل الى المقصود الا بعد جهد جهيد .

ولا ينكر ان بعض المؤلفين انتبه لهذا الامر وحاول التسهيل على

المبتدئين فلا ينتقل الى مجهول - غالباً - الا بعد ان يمهده بمعلوم او يوضحه عن قرب ليصل بالطالب الى غرضه من اقصر الطرق واسهلها .
ويذكر في مقدمة هؤلاء الافذاذ ابو عبدالله محمد بن محمد الضهاجي صاحب المقدمة المعروفة بالاجرومية فانه اقتصر فيها على اللباب وقل من استعمال المجهولات في ايضاح المجهولات ، وذكر بعض الابحاث باكثر من اسلوب لتريخها في الفهم ، ومشى في كثير من المسائل على مذهب الكوفية - مع انه مرجوح عند المغاربة والمشاركة من نخبة عصره - تسهيلا على المبتدئين من المتعلمين ، لان مذهب الكوفية في هذه المسائل اقرب تناولا الى اذهانهم من مذهب البصرية .. ولكن الشراح والمحشين لم يأبهوا لهذه المزايا ولا حسبوا لها حسابا فاحاطوها بما ذهب بفوائدها وعنى على اثارها من غوامض المسائل ، وغريب المباحث ..

اذكر اني في مفتاح دراستي العربية اخذت هذه المقدمة « الاجرومية » وجلست الى الشيخ لاقرأ ، فقال لي : ان المتن المجرد عن الاعراب لا يفيدك الفائدة المطلوبة واخرج لي نسخة مخطوطة تشمل الصفحة منها على اسطر قليلة ذات كلمات متباعدة ، وشجة بتعاليق كثيرة ، على اوضاع خاصة ، وباشكال مختلفة ، فأعطانيها واندفع يسرد لي معنى البسمة بكلام طويل عريض لم افهم منه الا القليل ، وامرني

باستظهار اعرابها: «الباء حرف جر واسم اسم مجرور بالباء ، وعلامة جره
 كسرة ظاهرة في آخره ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره ابتدائي
 او ابتدائي ، وهو مضاف ولفظ الجلالة مضاف اليه وهو مجرور
 بالاضافة... الخ... » وكان اليوم الثاني ، وكان الموضوع «الكلام» فاندفع
 يشرح لي معناه عند اللغويين والفقهاء والمتكلمين ثم النحويين بكلام غم
 علي أكثره ، ثم اصرني باستظهار الكلام بتعريفه ثم اعرابه «الكلام
 مبتدأ مرفوع بالابتداء - على الاصح - وعلامة رفعه ضمة ظاهرة في
 آخره « هو » ضمير فصل لا محل له من الاعراب ... الخ ، وهكذا
 وجدتني تجاه عباب زاخر بمصطلحات لا اعرف لها اولا ولا آخرآ :
 الحرف ، الاسم ، الجر ، المجرور ، المتعلق ، المحذوف ، المضاف اليه ،
 الاضافة ، النعت ، التسمية ، المبتدأ ، الابتداء ، الرفع ، المرفوع ،
 ضمير الفصل ، الاعراب ... الخ . الفاظ اشتغل ذهني في ان يفرض لها
 معان ، فاخذ يصوغ ويكسر . وبعد جهد جهد لم يحصل الا على الجمجمة
 والترجيم ، ففزت الى شرح استعين به فوقع في يدي شرح الشيخ
 خالد الازهري ونظرت فيه واذا بي تجاه مشاكل جديدة : جنس
 فصل ، وضع نوعي ، وضع شخصي الى اشياء من هذا القبيل لا يدركها
 الا مَنْ ضرب بسهم في العربية وعلوم اخرى ، وبالاخير هداني
 التسأل الى شيخ زبده فارشدني الى الاقتصار على فهم المتن وحده ، ثم

الرجوع الى شرح مختصر مقصور على ايضاح المواد بأسهل العبارات ،
والذي يظهر لنا ان الكثير من تلك المؤلفات وضعها مؤلفوها
لتلاميذهم ، وكانوا يقدرونها على استعدادهم ومؤهلاتهم تقديراً ، فاذا
اراد آخرون لم تنوفر فيهم تلك المؤهلات ان يقتطفوا مثل ما اقتطف
أولئك من ثمارها اعيانهم ذلك - وما قولك ان جمرة المؤلفين في هذا
الشأن من المعاصرين - على شدة عنايتهم في صقل مؤلفاتهم - ذهلوا عن
هذا الامر فوقعوا في المحذور التعليمي الذي وقع فيه من سبقهم ، مع
انهم وضعوا كتبهم لتلاميذ لم تكن حصاة العربية من وقتهم وعنايتهم
الاضئيلة فكان عليهم الا يدخروا وسعاً في النهذيب وحسن الترتيب
والتبويب ، نجدهم يقولون - في مبادئ كتبهم مثلاً - « الفعل المتعدي هو
الذي ينصب المفعول به ، والفعل المعلوم هو الذي يذكر فاعله » مع ان
الطالب لم يعرف شيئاً من امر : النصب والمفعول به والفاعل ، وتفهمها
يتوقف على دراسة ابواب لم تزل معقودة في ناصية المستقبل .

يقال : ما العمل والامر يقتضي بايضاح تلك المسائل والايضاح
يتوقف على الاستعانة بهذه المصطلحات وان لم يجر ذكرها بعد ، فالجواب
انه لا يجوز التعرض لايضاح مسألة ما الا بعد اعداد العدة لها ،
وتوضيح العناصر اللازمة لايضاحها قبل الاقدام عليه فلا يبحث عن
المتعدي واللازم مثلاً الا بعد معرفة النصب والمفاعيل ولا عن المعلوم

والمجهول الا بعد معرفة الفاعل وما ينوب عنه . وبالجمله فانه لا تجوز
الاستعانة بمجهول لمعرفة مجهول آخر ، بل يجب ان تكون الاستنارة
بالمعلومات وحدها ..

٣ - الخلط بين مسائل هذا العلم ومسائل من علوم اخرى لا
تمس الحاجة اليها ، وليس في مقدور الطالب اساعتها وادراك ما وراءها ،
هذا ديدن المتأخرين من الشراح والمحشين ، مثال ذلك قول الشيخ
خالد الازهرى في شرحه على الاجرومية : « والصحيح ان الكلام
موضوع بالوضع النوعي ، ومن اين للمبتدئ ان يدرك مسألة كهذه
عجز فحول علماء الوضع والاصول عن حلها حلانهايا . ويقول الشيخ
المذكور في شرح ازهريته : « والمفرد ثلاثة اقسام : اسم وفعل وحرف
لانه لا يخلو ان يستقل بالمفهومية اولا ، الثاني الحرف والاول اما ان يدل
بهيئته على احد الازمنة الثلاثة اولا . الثاني الاسم والاول الفعل ،
والعناد حقيق بمنع الجمع والخلو ، وقد علم بذلك حد كل واحد منها
للاحاطة بالمشترك وهو الجنس وبابه يمتاز كل واحد عن الآخر وهو
الفصل » أه . بحروفه وهو كما ترى كلام مغلق لا يعقله الا من ضرب في
علم المنطق بنصيب وانى للطالب المبتدئ ذلك ؟ وفي مثل هذا الموطن
يقول شارح القطر : « فان علماء هذا الفن تتبعوا كلام العرب . »
فينطلق المحشي يشرح لفظ العرب واشتقاقه وجروعه ومن هم العرب

واقسامهم .. الخ. مما لا مساس له في الموضوع . ويأتي ذلك الشارح في باب العطف بشاهد على ان حتى لا تفيد الترتيب ، وهو الحديث المأثور : « كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس ، فينطاق المحشي يوضح حقيقة القضاء والقدر وما بينهما من فرق او عدمه ، ويسرد في ذلك آراء المتكلمين من اهل المذاهب المختلفة ، ويأتي الشارح بمثال للماضي المبدؤ بالنون وهو « نرجست الدواء » فينطلق المحشي بسرد خصائص النرجس الطبية وغيرها ، ومما جاء في النرجس ... الخ ص ١٥ .

نعم من الجائز ان يستعان في ايضاح مسائل من علم ، بمسائل من علم آخر ولكن على شرطين : الاول ، ان تلك المسائل يتعذر او يتعسر ايضاحها الا بذلك . والثاني ان يكون الطالب على علم من تلك المسائل الخارجة عن عمله الذي هو بصدد دراسته .

٤ — عدم الموازنة بين مقدرة الطالب وما يحشد له من عويص المسائل وسهولها ، فانك اذا تصفحت مبادئ الكتب التي وضعها المتأخرون للمبتدئين من المتعلمين تجد فيها مضلات المسائل محشورة الى جانب السهل منها ...

٥ — حشد القيود الكثيرة ، والرموز العديدة في العبارة القصيرة ولا سيما في التعاريف مما يتعسر بل قد يتعذر على الطالب تغطية تلك القيود واستخلاص المراد من كل منها .

٦ — المناقشة على الالفاظ ، مما لا يعود الى جوهر العلم بفائدة ،

وهذا امر عمت به البلوى في معظم كتب المتأخرين .

٧ — التوسع في النظريات التي لا يجتنى الطالب من ورائها فائدة

عملية ، مثل تنازعهم على اعراب جمع المذكر السالم هل هو بالحرف ام بالحركة المقدرة ، وكذلك في اعراب الاسماء الخمسة او الستة فقد ارتقت الآراء في ذلك الى نحو العشرة . وتنازعهم هل المضاف الى ياء المتكلم مجرور بالـ كسرة المقدرة او الظاهرة . وامثال ذلك كثيرة .

٨ — الاعتماد على الامثلة الجسافة المكررة واهمال المهم من

الشواهد التي هي مادة الكلام ، وعدة المتكلم ، ولذلك نجد ان كتب ابن هشام من انفع الكتب المصنفة في هذا الشأن من هذه الناحية ، لما تشتمل عليه من الآيات الكثيرة ، والاحاديث البليغة ، والامثال السائرة ، والايات الغزيرة ، وابد الكتب عن هذه الطريقة كتب الاعاجم مثل الاظهار للبرگوي ، وشرح الملا جامي على الكافية ، ولذلك نجدها قليلة الجدوى يقرأها الطالب وكأنه لم يقرأها ، وللشواهد اثر بليغ في تكوين ملكة البلاغة عند الطالب ولذلك نجد كتب الاقدمين غاصة بها واقرب مثال في ذلك كتاب سيديويه ، فانه يشتمل على اكثر من الف بيت من الشعر ، وعلى مئات الآيات والامثال وعيون الاقوال ، وهذه كتب الشواهد بين ايدينا نستمد منها الكثير من الفوائد ، ولقد كتب احد علماء المائة الثامنة شرحا ممتعا على كافية ابن

الحاجب شحنه بالشواهد والفوائد . فجاء الشيخ عبد القادر البغدادي
وشرح تلك الشواهد في كتابه المسمى « خزنة الادب » شحنها
بالفوائد الادبية ، والفرائد اللغوية ، والنوادر النحوية والصرفية الى غير
ذلك مما يسمو بالطالب الى المستوى الرفيع .

وقد عانى بعض المعاصرين التأليف في هذا العلم وحاولوا تجريد
مؤلفاتهم من العاهات التي تنوّبها بعض السكتب المتداولة فيه ولسكن
اكثرهم وقف دون الغاية وعجز عن اتمام المعالجة ولا تزال المهمة مصروفة
الى معالجة هذه الناحية وعلى الله قصد البيل .



تأريخ علم البلاغة

انك لا ترى علما هو ارسخ اصلا ، وابسق فرعا ، واحلى جنى ،
واعذب وردا ؛ واكرم نتاجا ، وانور سراجا ، من علم البيان الذي لولاه
لم تر لسانا يحوك الوشى ، ويصوغ الحلى ، ويلفظ الدر ، وينث السحر ،
ويقرى الشهد ، ويريك بدائع الزهر ، ويجنيك الحلو اليانع من الثمر ...
الا انك لن ترى - على ذلك - نوعا من العلم قد لقي من الضيم ما لقيه ،
ومني من الحيف بما منى به ، ودخل على الناس من الغلط في معناه ما
دخل عليه فيه ، فقد سبقت الى نفوسهم اعتقادات فاسدة ، وظنون
ردیئة ، وركبهم فيه جهل عظيم ، وخطأ فاحش .. من كلمة للشيخ
عبدالقاهر الجرجاني في صدر كتابه « دلائل الاعجاز » .

يفهم ان علم البيان كان معروفا بهذا الاسم من قبل ان يضع
عبدالقاهر فيه كتابه هذا ، وان للناس في هذا العلم مقالات دائرة بين
الاستقامة والعوج .

وقال ابو هلال بن عبدالله العسكري المتوفى سنة ٣٩٥ هـ في مقدمة
كتابه « الصناعتين » : ان احق العلوم بالتعلم واولاها بالتحفظ - بعد
المعرفة بالله جل ثناؤه - علم البلاغة ، ومعرفة الفصاحة ... وقد علمنا ان
الانسان اذا اغفل علم البلاغة ، واخذ بمعرفة الفصاحة ، لم يقع علمه

بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف ، وبراعة التركيب ، فينبغي من هذه الجهة ان يقدم اقتباس هذا العلم على سائر العلوم ... ولهذا العلم بعد ذلك فضائل مشهورة ، ومناقب معروفة ... اهـ
وبعد ان ذكر جملة من اقوال علماء العربية ، وأبان ما فيها من الزيف والحطة قال : « فلما رأيت تخطيط هؤلاء الاعلام في ما رأوه من اختيار الكلام ، ووقفت على موقع هذا العلم من الفضل ، ومكانه من الشرف والنبيل ، وجدت الحاجة اليه ماسة ، والكتب المصنفة فيه قليلة ، وكان اكبرها واشهرها كتاب « البيان والتبيين » لابي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . »

اذا علمت هذا ثم رجعت البصر الى كتاب الصناعتين نفسه وما يحتويه من الابواب ، ثم رجعت الى كتاب « البيان والتبيين » وما يشتمل عليه من المباحث يتبين لك ان ما يعنيه القوم من علم البلاغة غير ما نعنيه نحن اليوم منه ، فأنهم كانوا يريدون به تلك المباحث التي تدور حول الخصائص التي رفع قدر الكلام وتكسوه جمالاً وجلالاً ، مع بيان العيوب التي تحط من قدر القول وتكسبه قبحاً وسخافة . وبعبارة اخص : المباحث الدائرة حول حسنات القول وعيوبه ، وكانت تلك المباحث مفرقة في مطاوي اجاث كثيرة ليست من اصل الموضوع في شيء ، منبثقة هنا وهناك غير وافية بالمرام .

واول مَنْ لَمْ من هذه المباحث شعها، وجمع شتاتها، ولائم بين
 شواردها، ورص من قواعدها، وقرب من فوائدها، واخرج
 للناس منها علماً بالمعنى الصحيح المراد من العلم هو الامام عبد القاهر
 الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ فانه كتب فيها كتابين جليلين اسمي احدهما
 « اسرار البلاغة » والثاني « دلائل الاعجاز » بحث في الأول عن
 الوجوه التي تكسب القول شرفاً وتكسوه جلالاً، من حيث اشتماله
 على استمارة مستحسنة، او كناية لطيفة، او تمثيل بليغ، او تشبيه
 طريف... الخ. فالاول ينتظم مباحث علم البيان بالمعنى المعروف اليوم.
 والثاني ينتظم مباحث علم المعاني كذلك، ولم يشر الشيخ الى هذه
 التسمية لانه لم يكن يرى ان هناك علمين متميزين احدهما يسمى علم
 البيان والآخر علم المعاني، وكل ما كان يراه ان هناك علماً واحداً غاية
 الخائض في غماره ان يستثير الاسرار التي ترفع من قدر الكلام،
 وتمنحه رتبة الشرف، وتحمله ذروة البلاغة، وتتبع تلك الخواص والمزايا
 التي يتمتع بها القول البليغ فيبرزها للانظار سافرة من غير ما حجاب...
 واول من شطر هذه المباحث شطرين فسمى مباحث النظم - علم
 المعاني - ومباحث المجاز والتشبيه والكناية - علم البيان - ابو يعقوب
 يوسف بن ابى بكر السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ. وهو الذي تناول
 هذا العلم من بعد الجرجاني فهدب مسأله، ورتب ابوابه، واودعه
 كتابه الموسوم بـ « مفتاح العلوم ».

ولا يذهب بك ما ذكره العلامة ابن خلدون في مقدمته الى ان السكاكي اول من وضع هذا العلم لان عبارة ابن خلدون لا تفيد هذا المعنى وانما تفيد ان السكاكي اول من هذب هذا العلم ونحّض زبدته ، وبوبه للتبويب الذي شاع بين العلماء والمتعلمين من بعده .

وقد اودع الامام ابو القاسم الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ كتابه «الكشاف عن اسرار التنزيل» من افانين البيان ما بهر العقول ، وطلب الالباب ، ولكن لما كانت تلك المباحث منبثة في مطاوي التفسير غير مقصودة لذاتها وانما المقصود بها الكشف عن اسرار بلاغة الكتاب العزيز لم يشتهر الزمخشري بين علماء البيان اشتهار الشيخين الجرجاني والسكاكي . وبعد ان اخرج للناس كتاب «مفتاح العلوم» وقد تميزت فيه المباحث التي يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال وهي مباحث النظم في مصطلح عبد القاهر - عن مباحث المجاز والكناية والتشبيه ، واطلق على المباحث الاولى اسم «علم المعاني» وعلى الثانية «علم البيان» . اقبل الناس على هذا الكتاب يتدارسونه ويتنافسون في اقتنائه والانتفاع به .

وقد اف ابن مالك الطائي - صاحب الالفيه - من بعد السكاكي كتابا اسماء : «المصباح في علوم البلاغة» لم يحظ بشيء من الشهرة التي حظى بها المفتاح ، وقد طبع .

ثم جاء الامام محمد بن عبد الرحمن القزويني المعروف بالخطيب
المتوفى سنة ٧٢٩ هـ فلخص القسم الثالث من المفتاح وهو قسم المعاني
والبيان والبديع ، وسماه « تلخيص المفتاح » ضمنه ما في هذا القسم من
القواعد ، وجمله مشتملا على ما يحتاج اليه من الامثلة والشواهد ، وبذل
جهده في تحقيقه وتهذيبه ، ورتبه ترتيباً اقرب تناولا من اصله ، ولهذا
اقبل الناس عليه اقبالا عظيماً ، ونال من الشهرة ما لم ينله كتاب غيره في
بابه ، فتناولته اقلام كبار العلماء بالشروح والحواشي والتعليق ، حتى
اصبح ما كتب عليه يعد بالعشرات ، واشهرها شرح سعد الدين مسعود
بن عمر التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١ هـ الذي اسماه « المطول » وهو اشهر
من نار على علم ، واليه المنتهى عند المشتغلين بالمرية من علماء الدين ولا
سيما الاعاجم منهم ، وقد اختصره بكتاب مشهور ايضا اليوم بن
الحاصلين ومن شروح التلخيص المشهورة « عروس الافراح » للشيخ
بهاء الدين السبكي ، والاطول للشيخ عصام الدين ..

وقد طبعت لهذا العهد مجموعة في خمسة مجلدات كبار تحتوي على
طائفة من شروح التلخيص ، وعلى كتاب الايضاح للخطيب القزويني
ايضا ، وهو مرتب على ترتيب التلخيص ولكنه اوسع منه فهو كالشرح
له ، وقد كان يناصر الخطيب القزويني السيد يحيى بن حمزة العلوي احد
امراء المؤمنين الجائنين « توفي سنة ٧٤٩ هـ » فالف في هذا الشأن كتابا

جائلا اسماء « الطراز المتضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز »
رتبه على ثلاثة فنون ، جعل الفن الاول للمقدمات ورسم الثاني للمباحث
المتعلقة بعلوم المعاني والبيان والبديع ، وافرد الثالث لبيان فصاحة القرآن
واسرار الاعجاز وقال : « ان الباعث على تأليف هذا الكتاب هو ان
جماعة من الاخوان شرعوا عليّ في قراءة كتاب الكشف تفسير
الشيخ العالم المحقق استاذ المفسرين محمود بن عمر الزمخشري ... فسألني
بعضهم ان املي فيه كتابا ... الخ . »

وقال : انه لم يطالع من الدواوين المختلفة في هذا الشأن الا كتابا
يسيرة ، وانه لم يقف على كتابي الجرجاني « دلائل الاعجاز واسرار
البلاغة » مع شدة شغفه بجهما ، واعجابه بهما .. الخ .

ولكن هذا الكتاب لم ينل من الشهرة ما ناله المفتاح وتلخيصه ،
وما كتب عليهما من الشروح والحواشي والتعليق ..

وجاء الجلال السيوطي المنوفي سنة ٩١١ هـ فكتب في هذا الشأن
عدة كتب اشهرها منظومته المسماة « عقود الجمان في المعاني والبيان »
وشرحها .

والمتتبع لحركة هذا العلم يجد انه لم يتقدم من بعد السكاكي تقدما
ذا شأن . وكل ما فعله الخطيب القزويني ، ان هذب ما جاء به السكاكي
وبوبه تبويبا يسهل تناوله على المتعاطين ، وقرب مسائله تقريبا كان
السبب في اقبال الناس على كتابه ، والاعتماد عليه .

وكان العلماء من قبل السكاكي ، ينظرون الى هذا العلم بنظر اوسع
وكانوا لا يرون حصره في الدائرة التي حصروه فيها والابواب التي
قصروها عليه ، فكانوا يرون انه شامل لكل ما يبحث فيه عن خواص
الكلام التي ترفع من قدره والاسرار التي تكسبه نبلا ، وهذه الاسرار
وتلك الخصائص اكثر من ان تتسع لها الابواب التي اختطها لها
السكاكي والقزويني ومن مشى على اقدامهما .

فالفتاح وتلخيصه والايضاح وان كانت احسن من غيرها من
حيث التبويب الفني ، والتنسيق العلمي من الوجهة النظرية ، الا ان ما
كتبه عبدالقاهر الجرجاني ومن اقتفى اثره من العلماء اقوى اثرآ في
تقويم الالسنه ، وتتميم الافلام من الوجهة العلمية ، فالنوع الاول
يتخرج به علماء في فنون البلاغة ، والثاني يتخرج به بلغاء حقا ..

وقد ثبت بال تجربه ان معظم أوائلئك الذين يعتمدون في تحصيلهم
على التلخيص وشروحه وحواشيه وما الى ذلك ، يتعسر على احدهم ان لم
نقل يتعذر ان يكتب رسالة صحيحة فضلا عن ان تكون بليغة ، وقد
بلغنا لهذا العهد ان شيخنا من مشيخة هذا الشأن اكب على تدريس
المطول ومختصره وحواشيهما وحواشي حواشيهما ، اربعين سنة ونيها ثم
شهد حفلا فطلب اليه الوالي ان يفوه بشيء من الدعاء ، فما استطاع ان
يلائم بين عبارتين او بزواج بين كلمتين صحيحتين فضلا عن كونهما
فصيحيتين ..

وامثال هذا الشيخ البكيء من المتخرجين بمدرسة القزويني ليس
بالعدد القليل ..

ولما ظهرت طلائع النهضة الادبية في مصر ، ولاحت تباشير
الاصلاح العلمي هناك ، وانشئت جمعية احياء العلوم العربية ، كان على
رأسها الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فرأى ما عليه كتب التأخرين
من الجذب والجمود ، فرجع ببصره الى آثار الاقدمين فوجد ان كتابي
عبدالقاهر الجرجاني من احسن ما اخرج للناس في موضوعهما فبادر الى
تدريسهما في الجامع الازهر فانتظم في حلقته اذذاك جماعة كبيرة من
نهاء الطلاب ، وانظم اليهم طائفة من اهل العلم والفضل ، فكان لهذا
العمل اثره الخالد ، فقد تخرج بهذه الحلقة فئة ضربت في البلاغة بأيمن
سهم واوفر نصيب ، تزينت بها صدور المحافل ، ورؤوس المنابر ،
وحلقات المدارس ، ولها الفضل الاوفر في رفع منار الآداب ، وتأييد
دولة الاقلام في عصرنا هذا ..



البديع

أول من ابدع هذا الاسم لهذا العلم عبدالله بن المعتز ، وهو أول من دونه ولائم بين شتات مسائله ، فقد قال في صدر كتابه الذي انفه فيه : « وما جمع قبلي فنون البديع احد ، ولا سبقتني الى تأليفه مؤلف ، والفقه في سنة اربع وسبعين ومائتين ، فمن احب ان يقتدى بنا ، ويقتصر على هذا فليفعل ، ومن اضاف من هذه المحاسن او غيرها شيئا الى البديع ، وارتأى غير رأينا فله اختياره ... »

وكان جملة ما جمعه من انواع البديع سبعة عشر نوعا ، وكان ممن يعاصره قدامة بن جعفر الكاتب ، وقد جمع كتابا في البديع ضمنه عشرين نوعا ، توارد مع ابن المعتز على سبعة انواع وبقي له ثلاثة عشر ، فكان مجموع ما جاؤا به ثلاثين نوعا . وجمع ابو هلال العسكري في كتاب الصناعاتين سبعة وثلاثين نوعا . وجمع ابن رشيق القيرواني مثلهما في عمده ، وجمع شرف الدين التيفاشي سبعين نوعا ، وواصلها زكي الدين بن ابي الاصبع في كتاب التحرير الى التسمين . والظاهر ان اقدام المؤلفين ازدهت حول هذا العلم منذ كان في المهد ، فقد ذكر ابن ابي الاصبع انه لم يؤلف كتابه المذكور الا بعد ان وقف على اربعين كتابا في هذا العلم او بعضها ..

ثم جاء صفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ فنظم بديعيته الدائمة
الصيغ في مائة وخمسة واربعين بيتاً اشتملت على مائة وواحد وخمسين
نوعاً ، وقد جعل كل بيت منها مثلاً لنوع ، وربما انفق في البيت
الواحد منها النوعان والثلاثة ، والمعتمد منها ما اسس عليه البيت .

وقد اقتصر الصفي الحلي على نظم ما جمعه من الانواع ، واغفل ما
اخترعه هو نفسه منها ، وقد شرح بديعيته هذه شرحاً مفيداً .

وكان يعاصر الشيخ صفي الدين ابو عبدالله محمد بن احمد الهواري
الاندلسي ، فنظم بديعيته على وزن بديعية الحلي وروىها تعرف بـ «بديعية
العميان» لان ناظمها كان مكفوف البصر ، ولا يعلم ايها السابق الى
النظم على هذا الفرار وان كان الحلي قد استوفى من الانواع ما لم
يستوفه الاندلسي .

والذي نظنه ان الذي زبه الرجلين الى سلوك هذا المنهج انما هو
الشيخ شرف الدين ابو صيري المتوفى سنة ٦٩٥ هـ في قصيدته المشهورة
المعروفة بالبردة او البرأة ، فانها من ابلغ ما كتب في مدح النبي (ﷺ) ،
وقد اشتملت من البديع على معظم انواعه ، وان لم يعتمد ناظمها ما تمده
الحلي والاندلسي من بعده من التزام استقصاء الانواع البديعية ، وقد
اشتهرت هذه القصيدة في زمن ناظمها شهيراً طارت على اجنحته
شرقا وغربا ، وبما يزيد ظننا ترجيحاً ان بديعتي الرجلين جاءتا متفتحتين مع

بردة البوصيري وزنا ورويا، وغرضنا. فان القصائد الثلاثة في مدح النبي (ﷺ) والبوصيري اسبق الثلاثة الى هذا الغرض بل هو ابن بجدته وزعيم جماعته، والحلي ومعاصره الاندلسي ليدما المجليين في هذه الحلبة، وهي نظم انواع البديع بهذا الاسلوب البديع فقد سبقتهما الشيخ امين الدين علي بن عثمان السليمانى الاربلي المتوفى سنة ٦٧٠ هـ في لاميته التي مطالعها :

بعض هذا الدلال والادلال حال بالهجر والتجنب حالى
فانه ضمن كل بيت منها نوعا من انواع البديع او اكثر .
ثم جاء قوم ارادوا ان يأتوا بما لم تستطعه الاوائل ، فنظموا بديعيات
التزموا في كل بيت منها التورية باسم النوع الذي اسس عليه البيت فاذا
نظم احدهم في حسن الابتداء، وبراعة الاستهلال مثلا يقول :

لي في ابتدا مدحك يا عرب ذى سلم
براعة تستهل الدمع فى العلم

واذا جاء حسن التخلص قال :

ومن غدا قسمه التشبيب فى غزل

حسن التخلص بالمختار من قسمي

وقد اوقع هذا الالتزام ذويه في ورطة التعقيد والانحراف عن

المنهج السوى للافصاح عما في الضمير ..

و اول من انزام هذا في بديميته الشيخ عز الدين الموصللي في بديميته
التي مطلعها :

براعة تستهل الدمع في العلم عبارة عن نداء المفرد العلم
وتلاه الشيخ تقي الدين بن حجة الحموي المتوفي سنة ٨٣٧ هـ في
بديميته التي كتب عليها شرحه المعروف « بحزاة الادب » ثم تلاها
صدر الدين بن معصوم الحسيني المدني المتوفي سنة ١١٠٤ هـ في بديميته
التي مطلعها :

حسن ابتدائي بذكرى جيرة العلم له براعة شوق يستهل دمي
وبديميته هذه من اجود ما نظم من البديميات التي النزم فيها
اصحابها التورية باسم النوع الذي يؤسس عليه البيت ، ولقد كتب عليها
شرحاً موسعاً اسماء « انوار الربيع في علم البديع » وهو احسن كتاب
جامع في هذا الباب ، بل هو مجموعة ادب ثمينة عزيزة النظر ..

واغرب بديمية وقع عليها نظري بديمية للخوري ارسانيوس
الفاخوري يمدح بها المسيح عليه السلام والحواريين ، ومع افلاس صاحبها
في هذه الصناعة النزم التورية بالنوع ، فجاءت تثن سقما ، وتثائب
انحلالاً وضغفاً ، وهالك نموذجاً منها :

براعة المدح في نجم ضياه سمي
تهدى بمطلعها من عن سناه عمي

فلم اطابق على بعد الاحبة لي اني اطابق في قربي لخدمهم
وهكذا تسمع ما شئت من سخف وهذيان ، نسأل الله العافية ..
هذا ومن الواضح ان علم البديع يعتبر من ماحقات علمي المعاني
والبيان او من متمماتها حتى ان بعضهم يطلق اسم البديع على هذه العلوم
اثلاثة كلها .. ولهذا نجد علماء البلاغة لا يخلون كتبهم من ذكر طائفة
من انواعه كما فعل الشيخ عبدالقاهر في كتابيه فانك لنجد جملة من هذه
الانواع منبثة في مطاوي ذيك الكتابين . وكذلك فعل السكاكي فانه
الحق بعلمي المعاني والبيان جملة صالحة من انواع البديع ، وتبعه الخطيب
القزويني في ذلك ، وبالجملة فانك قلما تجد كتابا في المعاني والبيان الا
وهو مذيّل بطائفة من انواع البديع ، ونحن نذكر في صدر هذا البحث
الكتب التي الفت في علم البديع على سبيل الاستدلال .

ولا ننتم هذا الفصل قبل ان نذكر ان ما اولع به المتأخرون بما
سموه بديعا ، قد خرج بهم الى عبادة الانماظ والكفر بالمعاني ، فاهم
نصروا الانماظ نصراً مؤزراً ، وجعلوا لها سلطانا ايم سلطان . وخذلوا
المعاني ايم اخذلان كل ذلك مراعاة لما سموه بديعا ، وان الانسان ليحار
من هذا التصرف الشائن ، يتعلقون بذنابي هذا العلم وهم عن الافصاح
الساذج قاصرون ، ويريدون ان يمتطوا صهوة هذا الشمس ، وهم عن
ركوب الذلول العسيف عاجزون ..

ولو كنا في صدد تحرير هذا المعنى لأتيناك بالاجاب من الامثلة
 المضحكة المبكية في هذا الباب ، ولكننا في موقف المؤرخ فاعلينا الا
 ان نطوي هذه الصحيفة ونأخذ بمنان اليراعة مبتهلين اليه تعالى ان يحمل
 عافية امرنا خيراً...



تأريخ الخط العربي

نمطيات

موقع الخط ما قبل التاريخ

للموجودات التي تقع تحت الحس صور كثيرة ترجع في مجموعها إلى أربع :

الصورة الأولى عيانية ، والثانية ذهنية ، والثالثة لسانية ، والرابعة خطية . مثال ذلك أنك ترى القلم عياناً . ثم تتخيل صورته في ذهنك ، ثم تضع لفظاً يدل على الصورة الذهنية وهو كلمة « قلم » ، ثم تضع اشارات خطية مخصوصة تدل بها على ذلك اللفظ . فإذا رأيت حروف « قلم » دلتك على اللفظ وهذا اللفظ يدل على الصورة الذهنية لهذه الأداة وتلك الصورة الذهنية . مثال لهذه الأداة المرئية .

والصورتان العيانية والذهنية لا يختلف فيهما بنو الانسان مهما تعددت شعوبهم وقبائلهم . فالعربي مثلاً يرى الشيء كما يراه الأعجمي ويتخيله كما يتخيله من غير ما فرق . أما الصورة الثالثة وهي اللسانية فتختلف باختلاف الشعوب ، فيضع العربي مثلاً لفظاً للشيء ويضع الأعجمي له لفظاً آخر ، وهذا هو سر اختلاف اللغات ، فالعربي يسمى

هذا الشيء الذي يدفع به المعاش « ماء » والفارسي يسميه « آب » والتركي يسميه « صو » وهذا غير مطرد فقد تشترك عدة شعوب بوضع لفظ واحد فالعربي يسمي أداة الكتابة « قلماً » مثلاً وكذلك يفعل التركي والفارسي .

وكذلك تختلف الصورة الرابعة وهي الخطية باختلاف اللغات ، فالعربي يصور اللفظ بصورة تختلف عن الصورة التي يصورها بها الفرنسي فإذا اراد العربي أن يدل على لفظ « كوب » صورّه كما ترى أما الفرنسي فيصوره هكذا « CUB » وهذا غير مطرد أيضاً فقد تتفق شعوب كثيرة على استعمال حروف واحدة في تصوير لغاتها كما يفعل العرب والفرس اليوم ، وكما يفعل الانكليز ومن يصاقبهم من شعوب أوربا . وقد يكتب اللفظ العربي بالحرف اللاتيني كما يكتب اللفظ الفرنسي بالحرف العربي . ومنه يفهم أنه لا يلزم من اختلاف الخطوط اختلاف اللغات كما لا يلزم من اختلاف اللغات اختلاف الخطوط . ولا يخفى أننا نريد بالخط هذه النقوش والعلامات المسماة بالحروف الدالة على الألفاظ .

ما قبل التاريخ

أنى على الانسان حين من الدهر لم يكن يعرف شيئاً يصور به الألفاظ التي كان يتفاهم بها . وقد كانت يتوقف التفاهم بين الانسان والانسان على المواجهة والمشافهة او توسط من يقوم بذلك . فإذا اراد

انسان أن يتفاهم مع آخر في بلدة أخرى فلما أن يقصده بنفسه ليواجهه
ويشافه . وأما أن يرسل من يقوم بهذه المهمة نيابة عنه .. وقد اصطلح
المؤرخون على تسمية ذلك الطور بطور ما قبل التاريخ .

الخط العصري

ثم اهتدى الانسان الى طريقة يستغني بها عن المواجهة والمشاهدة
أحياناً وتتلخص بتصوير الشيء أو الحادثة تصويراً ساذجاً . فإذا اراد
مثلاً أن يخبر صديقه بأن قافلة وصلت المدينة ، يصور له المدينة تصويراً
يسيطا وكذلك بعض الحيوانات والبشر الذين تتألف منهم القافلة ، فإذا
اراد أن يبين أن القافلة وصلت نهراً يصور الشمس مطلة على القافلة ،
أو ليلاً يصور القمر مثلاً أو بعض السكاكب وقد اطلق بعض
المؤرخين على هذه الطريقة اسم الخط العصري .

أمرات المخطوط

غبر الانسان على هذه الطريقة حيناً من الدهر ثم اخذت تتطور
من حال الى حال حتى كثرت المصطلحات وتشعبت المسالك وأخذ كل
جماعة من البشر يتواطؤون فيما بينهم على علامات ونقوش برمزون بها
الى مرادهم ويمكن رد تلك المسالك الى اربعة اصول :

١ - المسماي

٢ - الحبثي

٣ - الصبني

٤ - المصري

أما الأصل السامري فقد جرى عليه البابليون والآشوريون ومن
لف لفهم . وقد انقضى عهده منذ أمد بعيد بانقضاء عهد تلك الأمم .
وأما الأصل الحيثي فقد جرى عليه سكان الشام القدماء وقد رأى
بعض علماء المشرقيات أن الخط الحبشي والحميري وليد هذا الأصل
والجمهور على خلاف ذلك على ما سترى .

وأما الأصل الصبني فقد تفرع عنه الياباني والمنغولي وما إليهما ولا
تزال آثاره ماثلة في الصين واليابان وما إليهما .

وأما الأصل المصري فأشهر فروعه الخط الفنيقي ومن هذا تفرع
معظم الخطوط المستعملة الآن في الشرق والغرب وفي جملتها الخط
العربي ولهذا رأينا أن نتوسع بعض الشيء في الكلام على هذا الأصل .

الخط المصري

كان للأقدماء من وادي النيل خط ابتدعوه يستعملونه في شؤونهم
الخاصة والعامة وكان يومئذ أقرب الخطوط العالمية إلى السهولة لفظة عدد
صوره واختصار رموزه . وقد تشعب مع الزمن إلى ثلاثة أنواع :

١ - الهيروغليف

٢ - هيراطيق

٣ - ديموطيق

وكان النوع الأول خاصا برجال الدين وخدمة المعابد ، ومحرمًا على غيرهم فكانوا يكتبون به تعاليم ديانتهم ومأثور أديعتهم وما الى ذلك مما يتعمق بعباداتهم ومعبادهم وكبراء عبادهم ورؤساء نخلتهم .
والثاني خاص برجال الدولة وعمالها .

والثالث خط الجمهور من أبناء الشعب يكتبون به في شؤنهم الخاصة والعامة في متاجرهم ومصانعهم ومزارعهم .

ومن الخط المصري تفرع الخط الفنيقي مع اصلاح كبير أدخله الفنيقيون عليه . وفي الحق ان الفنيقيين الفضل الأعظم في تسهيل هذه الصناعة على بني الانسان فأنهم مع احتذائهم المصريين في تقليل عدد الحروف والانتفاع ببعض أشكالها - ابتدعوا طريقة واضحة سهلة كان لها الأثر الحسن في تسهيل هذه الصناعة على معظم الشعوب المتقدمة في ذلك العهد ولم يزل أثرها ماثلا في الشرق والغرب .

الطريقة الفنيقية

قال بعض المؤرخين : « كان الفنيقيون أكثر الناس اشتغالا بالتجارة ومخالطة المصريين فتعلموا حروف كتابتهم ، ثم وضعوا لانفسهم حروفا خالية من التعقيد لاستعمالها في المراسلات التجارية وقد اخذوا من حروف المصريين خمسة عشر حرفا مع تعديل قليل ... »

واضافوا اليها باقي الحروف فكونوا كتابة سهلة اشتهرت بواسطتهم في
آسية واوروبا ووضعوها للحروف اسماء تشبه مسمياتهم الاصلية اشكال
الحروف ، اه .

ومعنى هذا انهم لحظوا مخرج كل حرف على حدته ثم عمدوا الى
لفظة مبدوءة بذلك الحرف فصوروا معناها أو جزءاً من ذلك المعنى
واعتبروا هذه الصورة رمزاً لذلك الحرف . مثال ذلك أنهم بعد أن
لحظوا مخرج العين من الحلق عمدوا الى لفظة تبدأ بذلك المخرج وهي
لفظة عين فصوروا معناها هكذا (هـ) واعتبروا هذه الصورة دالة على
ذلك الحرف ايما حل . وكذلك فعلوا في سائر المخرج كما تراه واضعها
في الجدول الآتي : (ص ٥٦ من كتاب حفي ناصف)

واختراعهم هذا يعتبر من أجدى الاختراعات التي يعود لها
الفضل الأول في خدمة العقل الانساني وانهاض المعارف والعلوم .
وهذا من غير شك مفخرة من مفاخر العرب الأولين وقبس من نورهم
الذي اضاء السبل اني البشر حيناً من الدهر ولا يزال يضيء .

فروع الخط الفنبى

تفرع من هذا الخط معظم الخطوط العالمية المعروفة لهذا العهد

وأشهر تلك الفروع :

١ - اليونانى

٢ - العبري

٣ - الآرامي

٤ - المسند

ومن اليوناني ونريد به - اليوناني القديم - تفرعت جميع الخطوط الأوربية المروفة لهذا العهد وكذلك تفرع منه الخط القبطي .

ومن العبري القديم تفرع الخط السامري (١)

ومن الآرامي تفرعت الخطوط الهندية والخط الفهلوي (٢) والعبري الربع والتدمري والسرياني والنبطي .

أما المسند فقد تفرع عنه الخط الحبشي والخطوط العربية المروفة لهذا العهد على ما ذهب إليه مؤرخوا العرب . قالوا : إن ثلاثة من قبيله (٣) طيء كانوا يسكنون الانبار ابتدعوا خطاً أسموه بذلك لأنهم اقتطعوه من المسند والجزم هو القطع .

(١) نسبة الى سامرة نابلس .

(٢) الفارسية القديمة نسبة الى (فهلا) وهي البقعة التي فيها همذان

واصفهان واذربيجان والري وماء لاوند .

(٣) هم مرامر بن مرة واسلم بن سدره وعامر بن جدره .

تعريف ببعض الاعلام الرافعة الواردة في الكتاب

(١) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَاذِبُونَ﴾

من الذين هم كاذبون عن آلهتهم (٢) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَاذِبُونَ﴾

من الذين هم كاذبون عن آلهتهم (٣) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَاذِبُونَ﴾

(٤) قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَاذِبُونَ﴾

الخليل بن أحمد

إذا افتخرت الأمم بالأفذاذ من رجالها الذين رفعوا مشعل العلم
عالياً فأثاروا للعقول مناجهاً ، وضاعفوا لذاتها ومباهاها ، حق للعرب أن
يكونوا المجالين في هذه الحلبة ولهم من تاريخ المعارف الانسانية شواهد
خوالد تسطع انوارها ، وتتجدد على الزمن آثارها فنأرخ النجاج العقلي
ينفيض بما للعقل العربي من خصب في الانجاج ، وبراعة في الاختراع ،
ودقة في الابداع ، وسعة في التحقيق ، وانعام في التدقيق مع صدق في
القول ، وامانة متناهية في النقل .

ومن بين اولئك الافذاذ الذين أقاموا للعلم مناره ورفعوا لواءه في
سما الرافدين الخليل بن احمد البصري .

نسب الخليل

من أشهر قبائل اليمن قبيلة الأزد التي منها غسان ، والأوس
والخزرج اللتان عرفتا بعد الاسلام بالانصار . ومن بطون هذه القبيلة
الفراهيد ، وكان الكثير من اخاذها يقطن عمان والبصرة . وقد أنجبت
عدداً كبيراً من المشاهير كان في الطليعة منهم المترجم وهو : أبو عبد الرحمن
الخليل بن احمد بن عمر بن تميم البصري الفراهيدي اليحمدي
وبعضهم يقول الفرهودي . قال الأصمعي : سألت الخليل بن أحمد عن

هو ؟ فقال : من أد عمان من فراهيد . قلت وما فراهيد ؟ قال : جرو
الأسد بلغة عمان. اهـ

مولده ونشأته

ولد الخليل في البصرة حوالي سنة ١٠٠ هـ ونشأ بها ، وترعرع فيها
وهي يومئذ مهد العربية ومطامع اقطارها ، وينبوع فياض بالمعارف ولا
سيما الأدبية منها ، فشب بين مربدها الذي أصبح عكاظ العرب بمد
الاسلام ، وحلقات اديائها الذين كانوا مصابيح الدجى ونجوم الهدى ،
فاقتطف من ازاهير المعارف ما شاء أن يمتطف ، واجتث من يانغ ثمارها
ما راق منظره وطاب مخبره ، وبرز على اقرانه ايما تبريز ، ومن أشهر
مشايخه في الادب أبو عمرو بن الملاء . ولما آانس من نفسه الكفاية
رأى أن أخذ العربية عن الحضريين من العلماء والمترددين الى الحواضر
من الأعراب الذين لانت سلائقهم وصنفت طباعهم لا يوصل الى
اليقين ولا يهدي الى مهيع الصواب ، وعلم أن التبحر في هذا الشأن لا
يتيسر الا بمشاهدة الأعراب الخالص الذين توقحت سلائقهم ، وصنفت
عريتهم ، ومعايشتهم في ديارهم ، فشد الرحال ، وضرب في كبدة
الجزيرة ، وطفق يفلي ناصية القلاة ويتنقل في الاحياء التي حلت في سرة
البادية ، ولم يكدر صفاء لغتها مخالطة حمراء الأثم وصفرائها كقيس
وتميم وأسد وغيرهم ممن خلصت عريتهم ، فكان يلتقط ما يثر عليه من

درر كلامهم وفرائد خطبهم ونوادر اخبارهم ، وعيون اشعارهم ، وجيل آثارهم ، فما عاد الى وكره حتى وعى في حافظته ادباً غنياً وعلماً جماً ، كما اوفر راحلته رقاقا وطروسا ومهراق حشد فيها شوارد النثر وفرائد النظم فكانت تلك المنقولات عـدته في استخراج المسائل وبناء القواعد ، وتبويب اللغة ، وتصحيح القياس والاكثر من الشواهد والتوسع في ابداء البراهين .

عقد

كان الخليل آية من الآيات في الذكاء ودقة التصور ، وتوقد الفطنة وصدق الحدس ، وسعة الحافظة ، وقوة الذاكرة ، ورجاحة العقل ، حتى كانوا يقولون : « لا يجوز على الصراط أحد بعد الانبياء ادق ذهنًا من الخليل » ولا حاجة بنا الى برهان انصح من هذه المبتكرات التي اخرجها للناس كما سيمر بك بعد . وقد نقل اهل العلم عنه حكايات في هذا الشأن تتجاوز حد التصديق لولا ثقة روايتها وتكاثر نقلها . من ذلك انه جاءته رسالة عربية مكتوبة بالحرف السرياني فقرأها وهو لا يعرف شيئاً عن الحرف السرياني ، ولكنه استعان بما عرف انها تصدر عادة بالبسملة والحمدلة ونحوها .

قال الرواة: اجتمع الخليل وعبدالله بن المقفع ليلة تهرثان الى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال رأيت رجلاً علمه اكثر من عقله وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟.. فقال: رأيت

رجلا عقله أكثر من علمه . وقال حمزة بن حسن الأصمفاني :
« إن دولة الاسلام لم تخرج أبدع للعلوم التي لم يكن لها عند
علماء العرب اصول من الخليل . وليس على ذلك برهان اوضح من علم
العروض ، لا عن حكمم أخذه ولا على مثال تقدمه احتذاه . فلو كانت
ايامه قديمة ، ورسومه بعيدة لشك فيه بعض الأمم لصنعت ما لم يصنعه
أحد منذ خلق الله الدنيا من اختراعه العلم الذي قدمت ذكره ، ومن
تأسيس بناء كتاب العين الذي يحصر لغة امة من الأمم قاطبة ، ثم من
امداده شيبويه من علم النحو بما صنف منه كتابه الذي هو زينة لدولة
الاسلام . »

مبتكراته

لقد ابدع الخليل بدائع لم يسبق اليها واخترع علوما اعجزت
المتقدمين كما بهرت المتأخرين ، فلا عجب اذا سميناه « شيخ المبتكرين
من العرب » .

(علم العروض) : لو لم يكن لل خليل من المبدعات إلا هذا العلم
لكفاه منقبة ، فانه - لعمرى - ابدع في تنسيق قواعده وضبط ابوابه ،
كما بهر الابواب باختراعه . فقد حصر اقسامه في خمس دوائر يستخرج
منها خمسة عشر بحراً على كيفية ادهشت القطن ، وحيرت الأفتدة .
ونحن ندلم أن كل مبتكر يمتريه في بادىء الأمر الاضطراب ، ويحف

بالنواقص ، فلا تستقيم قنانه ، ويلبس الحلة التي تليق به الا بعد أن
تختلف المقول على صقله وتثقيف أوده حينما من الدهر ، سنة الله في
خلقه . ولكننا رأينا علم الخليل بلغ الرشديوم ولادته فلم يستدرك عليه
من جاء بعده بابا اعمله ، أو قاعدة أخل بها ، أو فصلا ذهل عنه ، أو
اصطلاحا غيره خير منه - إلا ما كان من امر البحر الذي زاده تلميذه
الاخفش وسماه « الخبب » ولا يسر رد هذا البحر الى واحد من
بحور الخليل .

(الشكل) : كان الخط في صدر الاسلام خلواً من الشكل
والاعجام ، فوضع أبو الاسود الدؤلي المتوفي سنة ٦٩ هـ علامات
للمحركات الثلاث ، فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف ، والكسرة
تحتة ، والضمة بين يديه ، وجعل التنوين نقطتين ، كل ذلك بمداد يخاف
مداد الحرف . فلما وضع نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر بأمر من الحجاج
نقط الاعجام اضطرب الامر واشتبه الاعجام بالشكل فتصدى الخليل
لازالة هذا اللبس فوضع الشكل على الطريقة المعروفة اليوم ، وبني ذلك
على مقاييس مضبوطة ، وعال دقيقة ، بأن جعل للفتحة ألفا صغيرة
مضطجعة فوق الحرف ، والكسرة رأس ياء صغيرة تحتة ، والضمة
واواً صغيرة فوقه ، فاذا كان الحرف المحرك منونا كرر الحرف
الصغير فكتب مرتين فوق الحرف أو تحتة ذلك لأن الفتحة

جزء من الالف ، والكسرة جزء من الياء والضممة جزء من الواو ، ووضع للتشديد رأس شين بغير نقط « ش » ، ووضع للسكون دائرة صغيرة وهي الصفر من الارقام العربية القديمة ، وذلك لأن الحرف الساكن خلو من الحركة ، ووضع للهمزة رأس عين « ء » لقرب الهمزة من العين في المخرج . هكذا قالوا . والذي أراه أن هذه الشكالة إنما هي الميم المتوسطة في لفظ « همزة » لأنك اذا كتبت هذا اللفظ وحذفت الهاء من اوله والزاي والتاء من آخره ظهرت هذه الشكالة واضحة . ووضع لألف الوصل رأس صاد هكذا « ص » ، ووضع فوق ألف الوصل ميمها كانت الحركة فيها ، وللمد الواجب ميمها صغيرة مع جزء من الدال هكذا « د ~ » فكان مجموع ما تم له وضعه ثماني علامات : الفتحة والكسرة والضممة والسكون والشدة والهمزة والصلة والمدة ، كلها حروف صغيرة او ايماض حروف بينها وبين ما دلت عليه أجلى مناسبة ووضح صلة ، بخلاف علامات ابى الاسود واتباعه فلها مجرد اصطلاح لم يبين على مناسبة بين الدال والمدلول . وألف الخليل في هذا الموضوع كتابا نفيسا فلم يزد أحد على طريقته هذه شيئا ولا اصباح منها رأيا فكأنه ابتدأها وبه ختمت .

(الموسيقا) : لم يكن الخليل يعرف لغة اجنبية وليس فيه ميل الى اللهو والقصف ولا يكننا رأينا ألف كتابا في الموسيقا جمع فيه اصناف النغم وحصر انواع اللحون ، وحدد ذلك كله ولخصه وذكر مبالغ

اقسامه ونهايات اعداده فصار الكتاب آية في بابه . ولما وضع اسحق ابن ابراهيم الموصلي كتابه في النغم واللحون عرضه على ابراهيم بن المهدي فقال له : احبنت فقال اسحق : بل احسن الخليل لأنه جعل السبيل الى الأحسان فقال بمض اهل العلم : إن مهارة الخليل في علم الا لحان هي التي اعانته على ابداع علم العروض .

كتاب سيديويه من رمى الخليل

الخليل أول من فتح معاني النحو وضبط اصوله ، وبسط فروعه ، واستخرج علمه واسمايه ، ووسع فصوله وابوابه ، وأوضح سبيله ، وعبد مناهجه حتى بلغ اقصى غايانه ، واكمنه ترفع عن التأليف فيه لأنه منهل أكثر وراده فأوحى الى تلميذه وخريجيه « سيديويه » من دقائق مسائله وبنات افكاره وابكار تصوراته ما جعله حرياً بأن يشار اليه بالبنان ، وجديراً بوضع كتابه المشهور الذي اصبح للنحاة اماماً يقتدون به ويهتدون بهديه ، فمظم ما في الكتاب مغترف من سلسال علم الخليل ، ومقتبس من مصباح ذكائه . وكلما قال سيديويه : « سأله » أو « قال » من غير أن يذكر احداً فانه يعني « الخليل » .

كتاب العين أو « أبو المعاصم كلها »

علمنا ان الخليل قد طالت صحبته خلاص الأعراب وكثرت اقامته بين ظهرانهم ، ثم انه كان يحجج بين العام والعام ، وكان يتأبل في طريقه

الى مكة فصحاء العرب واقطاب بلغائهم فاجتمع لديه كثير من مفردات
اللغة وفرائد دررها ، فمزج على جمع ذلك في كتاب لم يسبق الى مثله ،
فرسم الخطا ورتب الابواب على طريقة ابتدعها ، واسلوب لم يسبق
اليه ، وكان قد افتيحه بحرف العين فسماه « كتاب العين » على عادة
الكتاب في ذلك العصر ، فانهم يسمون الكتاب بأول ابوابه ككتاب
الجم وكتاب الميم وكتاب الفين وكتاب الحاسة وغيرها . وهذا
الكتاب اول كتاب ألف في متن اللغة مرتبا على الحروف جمع فيه
الخليل ١٢٤٣٠٥ كلمة بعضها مستعمل واكثرها مهمل . والذي حدا
به لذكر المهمل استيفاء التقاسيم العقلية لكل كلمة ، فمثلا كلمة « كتب »
يحتمل في الكاف الفتح والضم والكسر ويحتمل في التاء الحركات
الثلاث والسكون وثلاث في اربع اثنا عشرة صورة فيذكر الاثني عشرة
صورة ويقول هذه الصورة مستعملة لئني كذا ، وهذه الصورة لم
تستعملها العرب ، وقد جمع الخليل في كتابه هذا من غرر الشواهد ،
ونوادر الفوائد ، وضروب الحصر ، ورصين القواعد ، وجيل المسائل
ما يميز وجوده في معجم غيره . على أنه تضاربت آراء العلماء في نسبة
هذا الكتاب الى الخليل او الى بعض تلاميذه او الى الليث . وقد
ألف ابن درستويه كتابا خاصا في شرح هذا الخلاف واستقصى الجلال
السيوطي في الزهر جميع ما دار في هذا الموضوع من افعال . ولكن

نحن لا نرتاب في أن الخليل هو الذي رسم خطط هذا الكتاب ورتب
 ابوابه ووضع حجر الزاوية بيده ، اما أن غيره اكمله وزاد فيه فذلك
 أمر محتمل ، ولكنه لا يدفع الخليل عن كونه المجلي في هذه الحلة
 وأنه اول واضع لمعجم اللغة مرتبة على حروف المعجم ، وأن من جاء
 من بعده انما اقتبس من مصباحه واهتدى بمناره . ولم يزل جمهور
 الادباء وارباب البحث لهذا العهد يظنون أن هذا المعجم الخليل اغتالته
 ايدي الايام فيما اغتالت من نوائس الاسفار ، وجليل الآثار ، ولكن
 من يمن الطالع أن عثر على نسخ منه أحد ادباء الحاضرة الهاشمية ، فسمى
 البعثة المشهور صاحب (لغة العرب) بمقابلة تلك النسخ وتصحيحها
 باذلا الجهد في تحري الصواب على عادته ، ثم شرع في طبعه ولكن
 بعد أن أنجز منه بضع كراريس حالت الحال ، وعرضت دون ذلك
 احوال . ولا ندري هل بقي الملك النسخ من أثر بعد ان تفرقت كتب
 الرجل ايدي سبأ ومزقت كل ممزق ؟ .. جرى كل ذلك قبل نحو بضع
 وعشرين سنة .

وقد سلك الخليل في ترتيب حروف الهجاء مسلكا لم يسبق اليه ،
 ذلك أنه رتبها حسب الخارج مع تغيير طفيف جاءت على هذا الوجه :
 ع ح ه خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ
 ث ر ل ن ف ب م و أ ي .

قال الخليل : لم ابدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف ،
ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة ، ولا في اسم ولا فعل إلا
زائدة أو مبدلة ، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها فنزلت الى
الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت انصع الحرفين فابتدأت بها ليكون
احسن في التأليف . ا هـ

هل كان الخليل يقرصه الشعر

قالوا : كان ينظم البيتين والثلاثة كما سيأتي : وروى الاثبات انه
سئل لماذا لا تقرر الشعر مع سعة علمك بالعربية وتبحرك في علومها؟
قال : « يا باني جيده وآبي رديئه » وهذا الجواب على ايجازه غاية في
البلاغة وآية في الحكمة وحصافة الرأي .

مؤلفاته

للخليل مؤلفات ابداع فيها إما ابداع ولم يحتد في تأليفها وتبويبها
حدود من سبقه من اهل العلم . والذي يجيل النظر في سيرة هذا الرجل
يتبين له أنه كان يربأ عن سلوك المناهج المعبدة في كل ما يكتب
ويصنف ، ولذلك كان يسلك في التأليف طرقاً خاصة يؤم فيها الناس ولا
يأتم بأحد فمن تصانيفه :

١ — كتاب الدين ، وقد مر بك بعض اوصافه .

٢ — فائت العين .

٣ - كتاب الابقاع . وهو في الموسيقى العربية ويظهر من
مراجعة فهارس المؤلفات في هذا الباب ان الخليل يعتبر مجلي الحلبة في
هذا المضمار .

٤ - كتاب النغم . وهو في الموسيقى العربية .

٥ - كتاب الجمل .

٦ - كتاب الشواهد .

٧ - كتاب العروض .

٨ - النقط والشكل وقد أشرنا اليه آنفا . وذكر الواصل جورجي
زيدان في كتابه تاريخ آداب اللغة العربية ما نصه : « في المكاتب
السكبرى في اوربا مما ينسب الى الخليل :

١ - كتاب في معنى الحروف في مكتبة ليدن ومكتبة برلين .

٢ - كتاب شرح حروف الخليل في مكتبة برلين قطعة منه .

٣ - كتاب جملة آلات العرب في مكتبته أيا صوفيا في الاستانة .

٤ - قطعة من كلام عن اصل العقل في مكتبة اكسفورد

(بودليان) ... »

زهره وورعه

كان الخليل من اولئك الفلاسفة الذين نظروا الى هذا العالم نظرية
الازدراء ، ولم تخدعهم بهرجته ، ولا غرهم زخارفه . أجل كان الخليل

أحد زهاد الدنيا المتبتلين الى الله تبتيلاً . ومن انصع البراهين على ذلك أن امير الاهواز « سليمان بن علي » ارسل اليه يلتمس منه الشخص ليقيم بحضرته ويؤدب اولاده فأخرج الخليل للرسول خبزاً يابساً وقال ، كل فما عندي غيره . وما دمت أجده فلا حاجة بي الى سليمان . فقال الرسول : فإذا أبلغه ؟ فقال له :

أبلغ سليمان اني عنده في سعة وفي غني غير اني لست ذا مال شحاً بنفسي اني لا ارى أحداً يموت هزلاً ولا يبق على حال والفقر في النفس لا في المال زعفره ومثل ذلك الغني في النفس لا المال وكان سفيان بن عيينه يقول : من أحب أن ينظر الى رجل من الذهب والمسك فليتنظر الى الخليل . وقال تلميذه النضر بن شميل : اقام الخليل في خص بالبصرة لا يقدر على فلسين وتلامذته يكسبون بعمله الاموال الطائلة .

ومن اوابد حكمه :

وقبلك داوى المريض الطيب فـعـاش المريض ومات الطيب فكان مستعداً لدار الفناء فان الذي هو آت قريب وبالجمله فقد كان الخليل احد حسنات هذه الامة وقرأ من اقمارها ، ودره في تاج مفاخرها .

وفاته

اختلف المؤرخون في السنة التي انتقل فيها الخليل الى جوار ربه ،

فذهب جمهورهم الى انه توفي سنة ١٧٠ هـ . وقال آخرون سنة ١٧٥ هـ
وقال بعضهم سنة ١٦٠ هـ واغرب خطأ وقع في ذلك هو قول ابن
الجوزي في كتابه شذور العقود انه مات سنة ١٣٠ هـ وهو منقول عن
الواقدي . قال المحقق ابن خلكان : انه خطأ قطعاً والصواب ما
اثبتناه اولاً .

وكانت وفاته في البصرة مسقط رأسه فكانت البصرة مشرق هذا
السكر ولب الوقاد ومغربه ، وقد ضمه تربيها الى من ضمت من اعلام
العلم واقمار الفضل ونجوم الهدى رجال التقى الذين حلوا الآداب
بأنفس الحلى ، ونهضوا بالمارف الانسانية الى مراتب الاعلا ، فكانوا
للعلم جمالا ، وللتاريخ ابهة وجلالا ، رضى الله عنهم ورضوا عنه
ولمقام في دار رضوانه ثحية وسلاما .



ابن الأنباري

هو أبو بكر محمد بن القاسم من أهل الأنبار ، كان أبوه محمد الأنباري من أهل الأخبار والنحو فتلقى العلم عنه وعن ثعلب ، وكان مضرب المثل بسرعة الخاطر ، وقوة الذاكرة ، وكان يملئ علمه من حفظه في ناحية من المسجد في بغداد ، ويقول أبو علي القالي عنه انه كان يحفظ ثلثمائة الف شاهد في القرآن الكريم ، وقيل له قد أكثر الناس في محو ظانك ، فكيف تحفظ ؟ فقال احفظ ثلاثة عشر صندوقا ، وقيل انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن بأسانيدها . وكان لسمه علمه يطيل التأليف اذا كتب ، قالوا لانه كتب كتابه غريب الحديث في ٤٥٠٠٠ ورقة وشرح الكافي في ١٠٠٠ ورقة .

وقد ألف في النحو واللغة والأدب والقرآن والحديث ، وتوفي سنة ٣٢٧ ، وقيل ٣٢٨ هـ . وله كتب كثيرة ومما وصلنا منها : كتاب الاضداد في النحو ، وكتاب الزاهر في معاني كلمات . الناس ، وشرح المفصليات ، وكتاب الايضاح في الوقف والابتداء وكتاب الهاءات في كتاب الله .

ويعرف بابن الأنباري ايضا « أبو البركات » عبد الرحمن بن محمد الأنباري ، الملقب بكامل الدين النحوي ، وكان من الأئمة المشار اليهم

في علم النحو ، سكن بغداد من صباه وبقى بها الى ان توفي سنة ٥٥٧ هـ
قرأ النحو بالمدرسة النظامية ، ثم صار مدرساً بها ، وصنف كتاب
اسرار العربية في النحو ، وكتاب الميزان فيه ايضاً وكتاب طبقات
الادباء ، وانقطع في آخر عمره للعبادة والعلم ، وترك الدنيا واهلها ومجالسها ،
وفي حميد السيرة حتى توفي ، وكانت ولادته عام ٥١٣ هـ

ابن جني

هو ابو الفتح عثمان بن جني ، ولد في الموصل حوالي عام ٥٣٠ هـ ،
كان ابوه مملوكاً رومياً لسيامان بن فهد الأزدي ، تنقل بن حاب
وفارس وعاش في بلاط سيف الدولة حيناً ، وفي بلاط عضد الدولة حيناً ،
درس على ابي علي الفارسي البصري وصحبه نحواً من اربعين عاماً ، وبقى
معه حتى توفي ، ثم رّف على ابي الطيب المتنبّي وعاش معه حيناً في بلاط
سيف الدولة ، وتوثقت الصلة بينهما ، وقد شرح ديوان المتنبّي شرحاً
استفاد منه كل شراح الديوان بعده ، لأنه - اعشرته للمتنبّي - عرف
الظروف والمناسبات التي احاطت شعره ، وكان ابو الطيب المتنبّي يحله
ويقول : « هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس » ولابن جني
اطلاع واسع في العربية ، فمن كتبه سر الصنعة واسرار البلاغة في
الحركات واحرف العربية ، وله كتاب « الخصائص في علم اصول
العربية » على ان ابن جني قد شهر بالنحو واتخذ له منها وسطاً بين مدرسة

الكوفة ومدرسة البصرة ، وكان ماهراً في التصريف ، ماهراً في
التعليل والقياس ، ويقول عنه البخارزي في دمية القصر « ليس لأحد
من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ماله ، ولا سيما في
علم الاعراب » .

وله شعر ، على أنه شعر العلماء ، لا شعر الشعراء المطبوعين ، من
هذا ، قوله في أصالة الرومي :

فان أصبح بلا نسب	فلم ي في الوري نسي
على اني أوول الى	قروم سادة نجب
قياصرة اذا نطقوا	(١) ارم الدهر ذو الخطب

ابن مالويه

هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ، همداني الأصل دخل بغداد
عام ٣١٤ هـ ، درس النحو والأدب على ابن دريد وابن الأنباري ونفطويه
وابي عمر الزاهد ، ودرس الحديث على محمد بن مخلد العطار ، وانتقل
إلى الشام ، ثم أقام بحلب واتخذها وطناً له ، وتقرب من آل حمدان ، وقد
شهر بالنحو واتخذ له مذهباً وسطاً بين مدرستي الكوفة والبصرة
النحويتين ، وكان ذائع الصيت في التدريس ، وقد حظى عند سيف
الدولة الحمداني حتى اتخذته مؤدباً لأولاده ، وكان يقرض الشعر وله

مناظرات مع ابى الطيب المتنبي ، أنشد المتنبي قصيدته التي مطلعها :
 وفاؤكما كالربيع أشجاء طاسمه بأن تسعدا ، والدمع اشفاء ساجه
 وهي اول قصيدة انشدها المتنبي لسيف الدولة ، وكان ابن خالويه
 حاضراً في مجلس سيف الدولة فقال للمتنبي ، تقول : أشجاء وهو شجاء
 فقال له المتنبي : « اسكت ، ليس هذا من علمك ، انما هو اسم لا فعل »
 وللنحاة جدل طويل حول بيت ابى الطيب هذا . وابن خالويه ظن ان
 المتنبي يعني بأشجاء : من شجاء يشجوه شجواً ، وان الهاء في « أشجاء »
 مفعول به ، وابو الطيب نى به أفعال التفضيل ، ويكون الهاء
 مضافا اليه .

وتوفي ابن خالويه عام ٣٧٠ هـ ، ومن كتبه « كتاب ليس »
 و « رسالة في اعراب ثلاثين سورة من الكتاب العزيز » و « شرح
 مقصورة ابن دريد » وينسب اليه « كتاب الشجر » و « كتاب العشرات »

ابن دريد

هو ابو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي ، ولد في البصرة عام
 ٢٢٣ هـ ودرس على ابى حاتم السجستاني والريثي والاشنانداني ، وغيرهم ،
 وحدث مذبحة الزنج في البصرة فقر مع عمه الذي كان يقوم بتربته -
 الى عمان واقام فيها اثني عشر عاماً ، ثم توجه الى جهات فارس واقام
 عند بنى ميكال ، وهم يومئذ عملة فارس ، وكتب لهم كتابه « الجهرة في

علم اللغة « وهو كتاب غريب اتبع في ترتيبه ترتيب الخليل في كتابه العين ، بدأ بأثنائي ، ثم الثلاثي فالرباعي ، فلاحق الرباعي فالخماسي والسادسي وملحقهما ، وجمع الالفاظ النادرة في باب مفرد ، ورتب كل طائفة من تلك الالفاظ على ابجدية الخليل ، وطريقة التفتيش فيه غير مألوقة عندنا ، فإنه يأتي في باب الثلاثي مثلاً في فصل العين بالاحرف الثلاثة التي اولها عين ، مثل « ع ل ن » ويأتي بمعانيها على اختلاف وضع احرفها فيقول : « ع ل ن الامر يعلمه علنا .. واللعن : اصله الابداد .. والنعل : معروف ونعل الفرس : ما اصاب الارض من حافره » وقد سماه الجهرة لأنه اختار فيه جمهور كلام العرب .

وكما كتب الجهرة لآل ميكال كتب في مدحهم مقصورته المشهورة التي اكثر الناس معارضتها وشرحها ، وهي قصيدة طويلة يبلغ عدد ابياتها ٢٢٩ بيتاً ، وقد جمعت الكثير من اخبار العرب وحكمهم وامثالهم وعزل آل ميكال عام ٥٣٠٨ وانتقلوا الى خراسان فارتحل ابن دريد الى بغداد ، فأجرى الخليفة المقتدر عليه خمسين ديناراً في الشهر ، وعمر ابن دريد طويلاً واصابه فالج في التسعين من عمره ، وتوفي عام ٥٣٢١ ودفن في المقبرة المعروفة بالعباسية في بغداد .

ويعد ابن دريد اكبر علماء عصره في اللغة واقدروهم على نقد الشعر ، ونظمه ، وكان يقال له : « اعلم الشعراء وشعر العلماء » . وله من الكتب

كتاب السرج واللباج ، وكتاب الخيل الكبير ، وكتاب الخيل الصغير
وكتاب السلاح ، وكتاب الانواء وكتاب الملاحن .

ابن السراج

هو أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي ، اخذ الأدب عن
أبي العباس المبرد ، وكان المبرد يقرّ به فقرأ عليه كتاب سيديويه واخذ
عنه جماعة من العلماء منهم أبو سعيد السيرافي ، وعلي بن عيسى الرمانى
وغيرهما ، ونقل عنه الجوهري في كتابه الصحاح في مواضع عديدة .
درس الموسيقى . ودرس النحو وعول على مسائل الأخنس والكروفيين ،
وخالف اصول البصريين في مسائل كثيرة ، ولم تطل أيامه ، ومات شابا
سنة ٣١٦ هـ وله من الكتب : الأصول الكبير وجمل الاصول والموجز
وشرح سيديويه ، الاشتقاق ، الشعر والشعراء ، الجمل والخط والهجاء ،
والرياح والهوى والنار ، ولابن السراج ابيات من الشعر منها قوله :

حلفت لنا ان لا تخون عهدنا فكأنا حلفت لنا ان لا تفي
والله لا كلمها ولو انها كالبدر او كالشمس او كالمكتفي
ويقولون ان المكتفي انا عبيد الله بن طاهر على هذه الأبيات
ظننا منه انها له لا لابن السراج . والسراج : نسبة الى عمل السروج .

ابن سيرة

هو الحافظ أبو الحسن علي بن اسمعيل ، وقيل ابن محمد المرسي

الأندلسي ، كان أبوه ضريباً يعلم اللغة ، وكان هو ضريباً كأيّيه ، وقد أخذ العلم عنه وعن صاعد بن الحسن البغدادي ، وكان اعلم أهل زمانه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها ، أقام في مرسية وتوفي في دانية من أعمال الأندلس عام ٤٥٨ هـ وله من العمر ستون سنة .

وهو آخر أصحاب المعاجم التي ظهرت في عصره واعظمهم ، له كتب كثيرة منها شرح الحماسة ، وشرح كتاب الألفاظ ، وله كتاب « المحكم في اللغة » وهو كتاب كبير رتب الألفاظ على ترتيب كتاب العين ، ويمتاز بالضبط وقد اختار شواهد من أوثق المصادر الشعرية وغيرها ، وعليه عول صاحب القاموس في تأليف كتابه ، والكتاب مخطوط في المتحف البريطاني ، وفي دار الكتب المصرية .

وله « المختص » وهو مطبوع متداول ، ومواده مرتبة على ما فيها لا على حروفها ، وهو أوفى كتاب في باب ، قد اجتمعت فيه الألفاظ المتشابهة والمتقاربة في معانيها ، أو المتفرعة بعضها عن بعض في باب واحد .

وله كتاب « شرح مشكل المتنبي » مخطوط بدار الكتب المصرية

ابن قتيبة

هو أبو عبد الله محمد بن مسلم ، ولد بالكوفة سنة ٢١٣ هـ وتوفي

على اهلها ، وسكن بغداد ، ثم ولي القضاء في « دينور » فنسب اليها ،
 واشتغل بالتدريس في بغداد وتوفي بها عام ٢٧٦ هـ . كان راوية صادقا
 فيما رويه ، وكان حر الرأي جريثا في احكامه ، عالما باللغة والشرع .
 ويعتبر في النحو امام مدرسة بغداد النحوية ، التي خلطت مذهب مدرسة
 البصرة بمذهب مدرسة الكوفة ، واشترك في مناقشة عصر الكلامية ،
 ومع انه دافع عن القرآن والحديث ضد نزعة الشك الفلسفي ، وحمل
 على رجالها ، الا انه اتهم مع ذلك بالزندقة ، ويقولون انه اف
 كتابا في الرد على المشبهة ليدرا عن نفسه تهمة الانتساب اليهم ، واهم
 تصانيفه الادبية كتابه « ادب الكاتب » ومن مصنفاته « غريب
 الحديث » وله : « عيون الاخبار » وكتاب المعارف ، وكتاب « الامامة
 والسياسة » وكتاب « مشكل القرآن » و« المشتبه من الحديث والقرآن
 و« تأويل مختلف الحديث » .

ومما يذكر عن ابن قتيبة انه عاصر الجاحظ ، وكان يكرهه ، وقد
 ذكر في كتابه « تأويل مختلف الحديث » بأن الجاحظ يذكر
 حجج النصاري في الرد على المسلمين بأقوى مما يذكر الرد عليهم ،
 وأنه يستهزي بالحديث كذكره كبدا الحوت ، وقرن الشيطان ،
 وذكر الحجر الأسود ، وانه كان ابيض فسوده المشركون ،
 وقد كان يجب ان يبيضه المسلمون حين اسلموا ، وانه كذاب

يضع الحديث وينصر الباطل ، وأنه ملاء كتيبه بالمضاحيك والعبث
يريد بذلك استمالة الاحداث وشراب النبذ . وربما كان سبب الخصومة
بينهما ان الجاحظ مهزلي متكلم ، وابن قتيبة من اهل السنة ، والنزاع
بين الطائفتين شديد عنيف .

ابن النحاس

هو بهاء الدين محمد بن ابراهيم بن محمد ، ولد بحلب سنة ٦٢٧ هـ
وهاجر الى مصر عندما خربت حلب ، بعد ان سمع من ابن المني ،
والموفق بن يديش وغيرهم ، وجلس للإفادة في مصر وتخرج به جماعة من
الأئمة الفضلاء ، كان ذكيا ذا خبرة بالمنطق ، فيه ظرف النحاة وانسلاطهم
وكان حسن الاخلاق له صورة كبيرة في صدور الناس حتى كان بعض
القضاة اذا انفرد بشهادة حكمه فيها وثوقا بدينه ، وكان معروفا بحل
المشكلات والمضلات . وقد درس بالمنصورة ، وولى تدريس التفسير
بالجامع الطولوني ، ولم يصنف شيئا الا ما املاه شرحا لكتاب المقرب .
وكان ابو حيان من تلاميذه . توفي سنة ٦٩٨ هـ

ابو حيان

هو اثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي ، بربري الأصل ولد في
غرناطة عام ٦٥٤ هـ ودرس النحو والحديث فيها ، وتنقل في شمال افريقية
ومصر . واتجه الى الحجاز وادى فريضة الحج ثم عاد الى القاهرة واخذ

يدرس الحديث في المدرسة المنصورية فيها .

كان ظاهري المذهب ، حتى لقد قال عنه ابن حجر « انه كان ظاهرياً حتى في النحو » وربما كان قصده من قوله هذا انه كان شديد التمسك بآراء النحويين الاوائل كسيبويه مثلاً .

وقد شهر ابو حيان هذا بالنحو على انه كانت له مصنفات في علوم القرآن والحديث ، ويقولون انه كتب كتاباً في تاريخ الاندلس يقع في ستين مجلداً .

كان ابو حيان عجيوبة زمانه في كثرة التأليف حتى قالوا ان مؤلفاته قد بلغت الخمسة والستين عدداً ، على ان الذي وصلنا منها لا يزيد على العشرة ، وكان عجيوبة زمانه في سرعة تعلم اللغات ، فهو بربري الاصل كما مر ، اتقن العربية وبرز في نحوها ، واتقن الفارسية وصنف كتاباً في نحوها ، واتقن السكردية وصنف كتاباً في نحوها : وكتابه هذا كان ذا فائدة جليلة طبع بالقسطنطينية واسمه « الادراك في لسان الاتراك » وتعلم الحبشية وكتب رسالة - لم يتمها - فيها . وتوفي بالقاهرة عام ٥٧٤٥هـ .

ابو الاسود الدؤلي

هو ظالم بن عمرو منسوب الى دئل وهي بطن من كنانة ، قال الجاحظ « ابو الاسود مدود في طبقات من الناس ، وهو في كلها مقدم . مأثور عنه الفضل في جميعها ، كان مدوداً في التابعين والفقهاء

والشعراء والمحدثين والاشراف والفرسان والامراء والدهاة والنحويين
والشيعة والبخلاء. كان ابو الاسود ثقة في حديثه روى عن عمر وعلى
وابن عباس وابي ذر وغيرهم ، على انه كان اكثر الناس تعلما بعلي وعنه
اخذ علم النحو كما مر بك ، وقد ولي قضاء البصرة ، وقد ادرك اول
الاسلام وشهد بدرآ ، وتوفي بالطاعون عام ٦٩ هـ وله من العمر ٨٥ سنة
ولأبي الاسود شعرا كثره في الحكمة والادب ، ويرى بعض الكتاب
المحدثين ان الكثير من هذه الاخبار التي اسندت لأبي الاسود قد
وضعت عليه ، حتى يقول المستشرق ركندورف Reckendorf في
مقالة عنه في دائرة المعارف الاسلامية « وليس حقا ما يقال عنه إنه
واضع اصول النحو العربي - اما القصص التي تروى عنه فليست مما
يعلى من قدره ، وليكن يؤخذ من اشعاره ، ان بعض هذه القصص ،
على الاقل قد احكم تلقيقه » .

ابو علي الفارسي

هو الحسن بن احمد بن عبد الغفار ، ابو علي الفارسي ، واحد زمانه
في علم العربية ، اخذ عنه الزجاج وابن السراج ، وقال غير واحد من
تلامذته انه اعلم من المبرد طوف في بلاد الشام ، وكان متبها بالاعتزال ،
ولجأ الى الامير البويهى عضد الدولة وصنف له كتاب الايضاح في
النحو ، والتكملة في التصريف ، ويقال ان عضد الدولة حين حمل اليه

ابو علي كتاب التكملة قال : « غضب الشيخ وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو » وكان عضد الدولة هذا اديبا شاعرا ، اورده الشعالي طائفة من القصائد ، وقال ابن عباد في مدح بعض قصائده ما لا يقال في شعر شاعر . كان ابو علي مع عضد الدولة هذا ، فقال له : بم ينتصب المستثنى ؟ فقال ابو علي : « بتقدير استثنى » فقال له : لم قدرت استثنى فنصبت ، هلا قدرت امتنع زيد فرفعت » فقال : هذا جواب ميداني ، فاذا رجعت قلت الجواب الصحيح .

ولما خرج عضد الدولة لقتال ابن عمه قل لأبي علي : « ما رأيك في صحبتنا » فقال : « انا من رجال الدعاء لا من رجال اللقاء فخار الله للملك في عزيمته ، وانجح قصده في نهضته ، وجمل العافية رداءه والظفر تجاهه ، والملائكة انصاره ، فقال له عضد الدولة : بارك الله فيك فاني واثق بطاعتك . »

وكان يأخذ بالقياس ويميره اهتمامه حتى حكي عنه ابن جني تلميذه انه كان يقول : اخطأ في مائة مسألة لغوية ، ولا اخطأ في واحدة قياسية ، ومن تصانيفه : الحجة ، والتذكرة وتعليقة على كتاب سيدييه والمسائل الخلمية ، والبغدادية والقصرية والبصرية ، والشيرازية وغيرها . ويقول السيوطي انه لم يقل من الشعر الا ثلاثة ابيات هي :

خضبت الشيب لما كان عيبا وخضب الشيب اولى ان يعابا

ولم اخضب مخافة هجر خل ولا عتبا خشيت ولا عتـابا
 ولكن المشيب بدا ذميا فصيرت الخضاب له عتـابا

ابو علي القالى

هو ابو دلي اسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى ،
 ابن محمد بن سليمان ، وجده سليمان هذا مولى لعبد الملك بن مروان ،
 ولد القالى بمنار جرد من ديار بكر ، ونشأ بها ، ورحل الى العراق لطاب
 العلم ، والقالى نسبة الى قالى قلا - بلد من اعمال ارمينية - قال القالى عن
 نفسه « لما انحدرنا الى بغداد ، كنا فى رفقة كان فيها اهل قالى قلا ، وهي
 قرية من قرى مناز جرد ، وكانوا يكرمون لـكانهم من الثمر ، فلما
 دخلنا بغداد نسبت اليهم لـ يكونى معهم ، وثبت ذلك علي » .

ودخل القالى بغداد سنة ٣٠٣ هـ ، وسمع الحديث على جملة من
 العلماء منهم عبدالله بن محمد البغوي ، وابو سعيد الحسن بن علي بن
 زكريا العدوى ، وابو بكر عبدالله بن ابى داود السجستاني وقرأ النحو
 والعربية على ابن درستويه والزجاج ، والاخفش الصغير ، ونفطويه
 وابن دريد ، وابن السراج ، وابن الأنباري وغيرهم .

ونسخ ابو علي في علوم اللغة ، وذاعت شهرته ، فاستدعاه عبد الرحمن
 الناصر خليفة الأندلس ، ووصل ابو علي الى هناك فاستقبل استقبالا
 عظيما ، وكان ولي العهد « الحكم » ووزراء الخليفة من المستقبلين ،

واكرم الناصر وفادة ابى علي وخصه بتعليم ابنه «الحكيم» وسمع علماء
الاندلس بسعة اطلاع ابى علي ، وطول باعه فى اللغة وفنونها ، فاقبلوا
عليه يستفيدون من محاضراته فى اللغة والأدب ، وكان يعلمها من حفظه
فى ايام الاحمسة بقرطبة ، وفى المسجد الجامع بالزهراء المباركة . ويقول
ياقوت فى معجمه «ومن روى عن القالى ابو بكر محمد بن الحسين
الزيدي النحوي ، صاحب كتاب مختصر العين ، واخبار النحويين ،
وكان حينئذ اماماً فى الأدب ، ولكن عرف فضل ابى علي فمال اليه ،
واختص به واستفاد منه ، واقر له »

ويقول الضبي فى كتابه بغية الملمس : « كان احفظ اهل زمانه
للغة ، وأرواهم للشعر ، واعلمهم بملل النحو على مذهب البصريين
واكثرهم تدقيقاً فى ذلك »

وانقطع ابو علي بقية عمره بالاندلس واملاه كتبه التى منها :
كتاب الأمالي ، وكتاب الابل ، وكتاب حلي الانسان والخيول
وشياتها ، وكتاب مقاتل الفرسان ، وكتاب تفسير السبع الطوال .
وتوفى ابو علي بقرطبة سنة ٥٣٥٦ هـ . ويروى بعضهم انه كان
مكتوباً على قبة قبره :

صلوا لحد قبري بالطريق وودعوا

فليس لمن وارى التراب حبيب

ولا تدفوني بالراء فربما
بكي إن رأى قبر الغريب غريب

ابو القاسم (ابن القطاع)

هو ابو القاسم علي بن جعفر السعدي الصقلي المولد، المصري الدار
والوفاة، كان احداً أئمة الادب، خصوصاً اللغة وله تصانيف مفيدة،
منها كتاب الافعال، وكتاب ابنية الاسماء، وفيه دلالة على كثرة اطلاعه
وله كتاب الدرة الخطيرة في المختار من شعر شعراء الجزيرة، وكتاب لمح
الملح، جمع فيه جماعة من شعراء الاندلس.

رحل من صقلية، حين تملكها الافرنج - ووصل الى مصر
فأكرمه اهلها، وله نظم لطيف منه :

فلا تنفدن العمر في طاب الصبا ولا تشقين يوماً بسعدي ولا نعم
ولا تندبن اطلال مية باللوى ولا تسفخن ماء الشؤون على رسم
فان قصارى المرء ادراك حاجة وتبقى مدمات الاحاديث والاثم

كانت ولادته سنة ٤٣٣ هـ وتوفي بمصر سنة ٥١٠ هـ.

ابو القاسم (الزمخشري)

هو ابو القاسم جار الله الزمخشري - كان اماماً في التفسير والنحو
واللغة والادب. ولد بمدينة « زمخشري » قرية من قرى خوارزم عام
٤٦٧ هـ. كان مقطوع الرجل، يعتمد على رجل من خشب، سأله عن

سبب هذا فقال : « رحلت الى بخاري في طلب العلم فسقطت عن الدابة في اثناء الطريق فانسكست رجلى واصابني من الالم ما اوجب قطعها ، و يروون ايضا انه اصابه برد الثلج في بعض اسفاره فسقطت رجلاه . كان الزمخشري معتزلي المذهب مجاهراً باعتزاله ، وقد فسر القرآن في تفسيره الكشاف ، تفسيراً بلاغياً ، ظهرت فيه طبيعة المعتزلة الذين تقوم بحوثهم على الترتيب المنطقي والعناية بالجمال الفني ، وللمزمخشري شعر لا تظهر فيه الحلاوة التي نراها في شعر الشعراء المطبوعين ، ولكنه شعر العلماء ، من هذا ما قاله في « كشافه » مدحه :

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشاف
ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كاللداء ، والكشاف كالشافي
وله نثر ينحو به نحو الصنعة والسجع ، منه قوله في كتابه « الاطواق » استمسك بحبل مواخيرك ، ما استمسك بأواخيرك ، واصحبه ما صحب الحق واذهن ، وحل مع اهله وظم ، فان تنكرت انحأوه ، ورشح بالباطل اناؤه ، فتعوض عن صحبته وان هو ضلت الشجع وتصرف بحبله ولو اعطيت النسم . »

توفي الزمخشري بقصبة خوارزم ليلة ٥٨٣ هـ ، وله مؤلفات كثيرة منها : « تفسير الكشاف » و « الفائق في غريب الحديث » و « شرح كتاب سيديويه » و « كتاب الجبال والامكنة » و « اساس البلاغة »

و« كتاب النموذج في النحو » و« المفصل » في النحو وله « اعجب
العجب في شرح لامية العرب » وله ديوان شعر ، وله غير هذا كثير
وذكر ياقوت طائفة من كتبه في معجمه . انظر ٢٠ - ١٣٤ من معجم
ياقوت .

ابو منصور الثعالبي

هو ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسمعيل النيسابوري الثعالبي ،
لقب بالثعالبي ، لأنه كان فراءً بجند الثعالب ، وهو خاتمه مترسلي عصره ،
واوسعهم مادة ، واكثرهم آثاراً وهو الذي ترجمهم وذكر اخبارهم ؛ وله
نظم حسن ونثر حسن ، وله من الكتب ما يبعث العجب كثرة ، وقد
وصلنا منها نحواً من اربعين كتاباً ، والكثير منها مطبوع متداول ،
ومن اشهر هذه الكتب « يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر » وهي
تشمل اخبار شعراء المائة الرابعة للهجرة ، وقد قسم الكلام فيها الى
ابواب باعتبار البلاد ، فافرد باباً لشعراء الشام ، وباباً لشعراء مصر
والمغرب ، وآخر لشعراء الموصل ، وآخر لشعراء البصرة وآخر لشعراء
بغداد ، وهكذا وربما كان هو اول من نحا هذا المنحى في ترتيب
الشعراء ... ويؤخذ عليه في كتابه هذا - وربما كان اشهر كتبه - انه
يكتفي بذكر بعض الأشعار للشاعر المترجم له ، ويفقل ذكر سنة الولادة
والوفاة . ومن كتبه « فقه اللغة » وهو معجم معنوي جمعت فيه المعاني

المتقاربة او المترابطة في باب واحد مع بيان الفرق بينهما ، او تدرجها ،
او تفرعها ... ومن كتبه « السكناية والتعريض في البلاغة » ، و « سحر
البلاغة » و « غرر البلاغة وطرف البراعة » و « من غاب عنه المطرب »
و « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » وغيرها . وقد توفي
سنة ٤٢٩ هـ .

ابو منصور الجوالقي

ابو منصور موهوب بن ابي طاهر ، احمد بن محمد الجوالقي
البغدادى ، والجوالقي نسبة شاذة الى عمل الجوالق ويجمعها ، توفي في
بغداد سنة ٥٢٩ هـ وله من العمر سبعون سنة ، كان اماما للخليفة المقتدى
يصلي به الصلوات الخمس ، كان اماما في فنون الأدب ، وكان مفخرة
بغداد في عصره ، صنف التصانيف الكثيرة ، منها شرح ادب الكاتب ،
والعرب ولم يعمل في باب اكبر منه ، وتنمة درة الغواص ، وغير ذلك
وهو في اللغة اقدر منه في النحو ، ويقولون انه كان يختار فيه مسائل
غريبة . وقد الف في علم العروض كتابا لطيفا ، ثم أخذ بمعرفة علم النجوم
حتى اتقنه ، ويقولون ان الذي قاده الى هذا ان شابا سأله بيتين من
الشعر ، ذكر فيهما الشمس والجوزاء والقوس ، فألى على نفسه ان لا
يجلس في حلقة حتى ينظر في علم النجوم ، ويعرف تسيير الشمس
والقمر ، فنظر في ذلك وحصل معرفته ، وينسب للجوالقي شيء من
الشعر ، وهو على قلته يرينا انه شعر العلماء ، لا شعر الشعراء المطبوعين .

الأصمعي

هو عبد الملك بن قريب ، من قيس ، والأصمعي كنيته ، نسبة الى « الأصمع » ولد بالبصرة عام ١٢٢ هـ . وتوفي عام ٢١٣ هـ ، انكب على التحصيل في البصرة وافاد من دروس الخليل ، وابي عمرو عيسى بن عمر ، وابي عمرو بن العلاء وصار اتقن القوم واعلمهم بالشعر ، واحضرهم حفظا ، وتلمذ له تلاميذ اشتهروا فيما بعد منهم : ابو الفضل الرياشي ، وابو هاشم السجستاني وابو سعيد السكري وغيره ، وكانت له ذاكرة عجيبة وعت فروع المعرفة في عصره ، كان متضلعا في لهجات العرب ، اهل الصحراء ، قدم الى بغداد في ايام الرشيد ونزعم الحياة العقلية التي كان يحياها بلاط الخليفة ، وترك بغداد الى البصرة حاملا معه ما حصله من اسباب اثروة في بغداد ، وحين ولي المأمون الخلافة بعد اخيه الأمين ، كان الأصمعي في البصرة ، فبعث اليه يستقدمه الى بغداد ، فاعتذر بضعفه وشيخوخته ، فصار المأمون يأمر بجمع المشكل من المسائل ثم يسيرها اليه فيجيب عليها ، وقد شهر الأصمعي بكثرة حفظه حتى قالوا إنه كان يحفظ ١٢٠٠٠ ارجوزة ، وحسبك على كثرة حفظه أن غالب مصنفي العرب يروون عنه حتى اننا نستطيع ان نستخرج بعض كتبه مما روه عنه ، وهو لم يقتصر في مصنفاته على ايراد ابيات منفردة من الشعر او قصائد منه بل روى دواوين كاملة ، وإليه يرجع الفضل في جمع دواوين اكثر الشعراء الذين وصلتنا دواوينهم .

وللأصمعي مؤلفات كثيرة ، ذكر ابن النديم منها نيفاً واربعين كتاباً ، عرف منها « كتاب الفرس » و « كتاب الأراجيز » و « كتاب الميسر » و « كتاب الغريب » وله من الكتب المطبوعة : الأصمعيات ، ورجز العجاج ، و « كتاب اسماء الوحوش » و « كتاب الابل » و « كتاب خلق الانسان » و « كتاب الخيل » و « كتاب الشاء » و « كتاب الدارات » و « كتاب الفرق » و « كتاب النبات والشجر » و « كتاب النخل والكرم » و « وكتاب الغريب » .

خلف الأحمر

هو ابو محرز البصري المعروف بالأحمر ، مولى أبي بردة بلال بن موسى الأشعري اعتق بلال ابويه وكانا فرغانيين . قال ابو عبيدة معمر ابن المثنى : خلف الأحمر معلم الأصمعي ، ومعلم اهل البصرة . وقال الاخفش : لم ادرك احداً اعلم بالأشعر من خلف الأحمر والأصمعي . وقال ابن سلام : اجمع اصحابنا ان الأحمر كان افرس الناس بيديت شعر ، واصدق لساناً ، وكنا لا نبالي اذا اخذنا عنه خبراً او انشدنا شعراً الا نشمعه من صاحبه . وقال شمر : خلف الأحمر اول من احدث السماع بالبصرة وذلك انه جاء الى حماد الراوية فسمع منه ، وكان صنينا بأدبه ، وقال ابو الطيب اللغوي : كان خلف يضع الشعر وينسبه الى العرب فلا يعرف ، ثم نسك ، وكان يختم القرآن كل ليلة ، وبذل له بعض الملوك

مالا عظيما على ان يتكلم يديت شعر فأبى . وله ديوان شعر حملة عنه ابو
نؤاس وكتاب جبال العرب . توفي في حدود الثمانين ومائة . وكان بين
خلف وبين ابي محمد اليزيدي مهاجاة اورد يافوت طائفة منها .

عبد القاهر الجرجاني

قال الحافظ الذهبي في تاريخه « دول الاسلام » : « وفي سنة احدى
وسبعمين واربعمائة مات امام النحاة ، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن
الجرجاني صاحب التصانيف » وقال تاج الدين السبكي في طبقات
الشافعية الكبرى : « عبد القاهر بن عبد الرحمن الشيخ الكبير ابو
بكر الجرجاني النحوى ، المتكلم على مذهب الاشعري ، الفقيه على مذهب
الشافعي ، اخذ النحو بجران عن ابي الحسين محمد بن الحسن الفارسي
ابن اخت الشيخ ابي علي الفارسي « ومن مصنفاته كتاب المغنى على شرح
الايضاح في نحو ثلاثين مجلداً ، وكتاب المقصد في شرح الايضاح
ايضا وكتاب العوامل المائة ، والمفتاح وشرح الفاتحة ، والعمدة في
التصريف .

وهكذا ترى ان عبد القاهر كان عالما مبرزاً في غير فرع من
فروع الثقافة العربية ، فهو النحوى ، المتكلم ، المفسر ، الفقيه ، ومع ان
ابن خلدون زعم ان السكاكى هو الذي هذب علم البلاغة ، ولم ما قاله عنه
السلف ، فان العلوى صاحب « الطراز في علوم حقائق الاعجاز » قال :

« واول من اسس من هذا الفن قواعده ، واوضح براهينه ، وظهر فوائده ، ورتب افانينه الشيخ العالم النحرير عبد القاهر الجرجاني . وله من المصنفات فيه كتابان احدهما لقبه بدلائل الاعجاز ، والآخر لقبه بأسرار البلاغة » .

قدامة بن جعفر

هو ابو الفرج قدامة بن جعفر ، نشأ في بغداد ، وعلا شأنه في ايام المكتفي بالله الخليفة العباسي ، فقد اسلم على يديه ، وكان قبل ذلك نصرانيا ، برع في صناعتي البلاغة والحساب ، وقرأ صدرأ صالحا من المنطق ، وهو لائح على ديباجة تصانيفه ، ولما كان المنطق في ذلك العصر لم يتحرر تحريره الآن ، واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر ، وصنف في ذلك كتباً ، منها كتاب نقد الشعر له ، وقد تعرض ابن بشر الآمدي الى الرد عليه . وله كتاب في الخراج رتبه مراتب ، واتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب اليه - وله من الكتب . غير هذين الكتابين - كتاب درياق الفكر وكتاب السياسة ، وكتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به ابا تمام ، كتاب صناعة الجدل ، وكتاب الرسالة في ابي علي بن مقبله ، وكتاب نزهة القلوب ، وزاد المسافر ، وله غير هذا ، وكانت وفاته ببغداد ايام المطيع سنة ٣٢٧ هـ .

فهرس تفصیلی موضوعات الكتاب

الموضوع	الصحيفة	الموضوع	الصحيفة
المقدمة	٣	الاختداد	٣٩
الأدب	٩	المجاز	٣٩
علوم الأدب	١١	الالفاظ الاسلامیة	٤١
اجمال وايضاح	١٣	الاصطلاح	٤٣
اللغة العربیة		الالفاظ المولدة	٤٥
اصلها	١٧	تنبيه	٤٧
تطورها	١٨	المعرب والتعريب	٤٨
عوامل تهذيبها	٢٠	بماذا يعرف المعرب	٥٢
نماؤها وتوسعها	٢١	هل التغير ضروري في التعريب	٥٩
الاشتقاق	٢٢	هل يجب الحاق المعرب بأوزان	
النحت	٢٦	الكلم العربیة	٦١
القلب	٢٩	تنبيه	٦٢
الابدال	٣١	تصريف المعرب	٦٣
الترادف	٣٣	اخلاصة	٦٥
الاشتراك	٣٦	كيفية التعريب	٦٦

الصحيفة

٧٠

تدوين علم اللغة

٧٢

طور الرواية الخالصة

ابو الأسود ، يحيى بن يعمر ، نصر بن عاصم الليثي ، عبدسة النميل ،
 ميمون الأقرن ، عبد الله بن زيد الحضرمي ابو عمرو بن العلاء ،
 ابو سفيان ابن العلاء ، عيسى بن عمر الثقفي ، يونس بن حبيب ،
 الأخفش الأكبر محمد بن الحسن الرؤاسي ، ابو مسلم الهراء ،
 سعيد بن اوس الأنصاري ، الأصمعي ، ابو عبيدة معمر بن
 المثنى ، خلف الأحمر ، الخليل بن احمد الفراهيدي

٨٢

طور الرواية والكتاب

٨٤

فروع المسلك اللفظي

٨٨

فروع المسلك المعنوي

٩٠

المعاجم العامة والخاصة

٩١

الطبقة السادسة وما بعدها

سيبويه ، النضر بن شميل ، حماد بن سلمة ، يحيى بن المبارك ،
 السدوسي ، ابن سلام ، الكسائي ، الجهمضي ، المفضل الضبي ،
 صالح الجرري ، عبد الله بن محمد التوزي

الصحيفة

قطرب ، الفراء ، القاسم بن سلام ، ابن الأعرابي ،
 الأخفش الأوسط ، ابو اسحاق الزيادي ، ابو عثمان المازني ،
 العباس الرياشي ، ابو حاتم السجستاني ، عبد الرحمن بن عبد الله
 ابن قريب ، احمد بن حاتم الباهلي ، ابو عمرو الشيباني ، علي بن
 الحسن ، علي بن حازم الاحياني ، عبد الله بن سعيد الأموي .
 المبرد ، ثعلب ، الاشتناداني ، ابن السكيت ، عمرو بن ابي
 عمرو الشيباني ، محمد بن حبيب السكوفي ، علي بن المغيرة الأشرم
 ابو سعيد السكري ، ابن قتيبة الدينوري ، الزجاج

اشهر كتب اللغة

(١٠٠)

الجمهرة ، البارع ، مختصر العين ، كتاب العشرات ، ديوان الأدب
 التهذيب ، غريب الالفاظ ، المحيط ، الجمل ، الصحاح ، الجامع ،
 المواعظ ، المحكم ، فقه اللغة ، المخصص .

اشهر المعاجم في المائة السادسة ١٠٢

تهذيب اصلاح المنطق ، مفردات القرآن ، السامى في الأسامى ،
 شمس العلوم ، اساس البلاغة ، الفائق ، كتاب الامكنة والجبال والمياه

اشهر المعاجم في المائة السابعة ١٠٣

المغرب ، كفاية المتحفظ ، العباب ، كتاب التكملة والذيل ،
 مجمع البحرين ، كتاب الاضداد .

الصحيفة

- ١٠٤ اشهر المعاجم في المائة الثامنة
- ١٠٥ لسان العرب ، المصباح المنير ، مختار الصحاح .
- ١٠٥ اشهر المعاجم في المائة التاسعة
- القاموس المحيط
- ١١٢ مفردات القرآن ١٠٦ - ١١٢
- ١٢٠ غريب الحديث ١١٢ - ١٢٠
- ١٢٠ النحو
- ١٢٢ البصريون والكوفيون
- ١٢٩ مذهب البغداديين
- ١٣٠ مذهب الأندلسيين
- ١٣٢ اشهر النحاة في المائة الرابعة
- ١٣٣ اشهر النحاة في المائة الخامسة
- ١٣٥ اشهر نحاة المائة السادسة والسابعة
- ١٣٦ اشهر نحاة الأندلس
- ١٣٦ اشهر نحاة المائة الثامنة
- ١٣٧ اشهر كتب النحو
- ١٤٠ الطرق المشهورة (في دراسة النحو)

١٤٥

الصرف

١٤٥

اشهر رجاله

١٤٦

اشهر كتبه

١٤٧

بعض عاهات الكتب النحوية المتداولة

الايجاز المخل، عدم التدرج في ترتيب المسائل، الخلط بين مسائل النحو ومسائل من علوم اخرى، عدم الموازنة بين قدرة الطالب وبين ما يحشد له من عويص المسائل، حشد القيود الكثيرة، المناقشة على الالفاظ، التوسع في النظريات من غير فائدة عملية، الاعتماد على الامثلة الجافة،

١٥٧

تأريخ علم البلاغة

اشهر المؤلفين - اشهر الكتب

١٦٥

البديع

اشهر المؤلفين - اشهر الكتب

١٧١

الخط العربي

تمهيد

موقع الخط ما قبل التاريخ، الخط الصوري، امهات الخطوط، الخط المصري، الطريقة الفنية، فروع الخط الفنيقي

١٧٨

تعريف ببعض الاعلام الهامة في الكتاب

المصنفه

— الألف —

ابن الاعرابي ۹۸۶ ۹۷۶ ۹۴۰

ابن الاثير (المبارك بن محمد) ١١٨٧، ١١٩٠

ابن الانباري (ابو البركات) ٣٩٠، ١٠٩

ابن النديم ٨١١

* ابن جنی ۱۵۰۶۳۷۶۱۳۳۶۸۰۶۶۶۶۶۸

ابن الحاجب (عثمان بن عمر) ١٣١، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٦

ان حجر المسقلاني

* ابن خالويه

ابن خلدون ۱۷۳ / ۵۵۳ / ۱۰۶۸

این خا-کان

(١) * هذه العلامة تعني ان الاسم قد عرف به في آخر الكتاب

* ابن النحاس

٢٥١

ابن هشام الانصاري (عبدالله بن

يوسف)

ابو ابراهيم بن اسحق الحربي

١١٦

ابو اسحق (ابراهيم بن سفيان

الزيادي)

٩٤

ابو اسحق (انظر الزجاج)

٢٦١

ابو بكر (انظر ابن دريد)

٢١١

ابو بكر محمد بن عزيز السجستاني

١١٠

ابو جعفر (الرؤاسي)

١٢٢، ٧٩

ابو جعفر (محمد بن حبيب الكوفي)

٩٨

ابو حاتم السجستاني

٩٨، ٩٧، ٩٥

ابو الحسن (الاخفش)

١٣١، ١٢٥

ابو الحسن الأشرم

٩٨

ابو الحسن (سعيد بن مسعدة)

—

الاخفش الأوسط)

٩٤

* ابو حيان النحوي

١٣٦، ٢٧، ٢٤

ابو الخطاب (الاخفش الاكبر)

١٣٢، ٩٢، ٨١، ٨٠، ٧٩

٦٧	ابو داود الايادي
١٠٢	ابو زكريا التبريزي
١٢٧، ٩٩، ٩٥، ٩٣، ٩٢، ٨٤، ٧٩، ٦١، ٥٨، ٥٦، ٥٤، ٥٢، ٥٠، ٤٨، ٤٦، ٤٤، ٤٢، ٤٠، ٣٨، ٣٦، ٣٤، ٣٢، ٣٠، ٢٨، ٢٦، ٢٤، ٢٢، ٢٠، ١٨، ١٦، ١٤، ١٢، ١٠، ٨، ٦، ٤، ٢	ابو زيد الانصاري
٧٧	ابو سفيان ابن العملاء
٩٨	ابو سعيد (انظر الاصمعي)
١٣٢	ابو سعيد السكري
١٣٢	ابو سعيد (السيرافي)
١١٧، ١١٦	ابو سليمان (احمد بن محمد الخطابي)
١٢٢، ١٢١، ٧٦، ٧٥، ٧٤	* ابو الاسود الدؤلي
١٣	ابو الطيب
٧٧	ابو الطيب اللقوي
٥٦، ٧٨	ابو العباس (انظر المبرد)
١٢٧، ١١٥، ١١٠، ٩٧، ٩٣	ابو العباس (انظر ثعلب)
١٠١	ابو عبدالله القزاز
١١٥، ١١٠، ٩٧، ٩٣	ابو عبيد (القاسم بن سلام)
١٢٧، ١١٥، ١١٠، ٩٧، ٩٣	ابو عبيد (انظر الهروي)
٨٤، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٣٠	ابو عبيدة
١١٦، ١١٥، ١٠٩، ٩٦، ٩٥	

- ابو عثمان الاشناداني ٩٧
 ابو عثمان المازني ٩٥
 * ابو علي الفارسي ٩٤
 * ابو علي القالي البغدادي ٩٩
 ابو عمر الزاهد ١١٦
 ابو عمر الجرمي ٩٢
 ابو عمر (غلام ثعلب) ١٠٠
 ابو عمرو بن العلاء ٩٧
 ابو عمرو الشيباني ٩٨
 ابو غالب (انظر ابن التيساني)
 ابو الفتح (انظر ابن جني)
 ابو الفضل العباس (الرياش) ٩٨
 ابو فيد السدودي ٩٢
 * ابو القاسم السعدوي (انظر ابن القطاع)
 * ابو القاسم (انظر الزخشي)
 ابو القاسم (انظر الراغب الاصفهاني)
 ابو القاسم (انظر الزجاجي)
 ابو محمد (عبدالله بن سعيد الاموي) ٩٦

- ابو محمد (انظر الحري) ٧٦
 ابو مسلم الهراء (انظر الهراء) ٥٦
 * ابو منصور (الشمالي) ١٠٤٠، ١٠٢٠، ٨٩
 * ابو منصور الجوابي ٦٢، ٩٦
 ابو موس الاشعري ٧٢
 ابو نصر (احمد بن حاتم الباهلي) ٩٦، ٢٥
 ابو نواس ٨١
 ابو هلال العسكري ١٦٥، ١٥٧، ٧٧، ٨٧، ٨٧
 احمد بن اَبان الاندلسي ٩٠٢، ٨٨
 احمد بن فارس (نظير) ١٠٥٤، ١٠٠٠
 الازهري ١٠٥٤، ١٠٠٠
 * الاصمعي (عبد الملك بن قريب) ٨٤، ٨٠، ٨١، ٨٠، ٢٥، ٩٥
 امرؤ القيس ٩٨، ٥١
 — الباء —
 البخاري ١١٨
 البركوي ١٥٥
 بشار ٤٥

١٦٧٠ ١٦٦

البوصيري

١٦١

بهاء الدين السبكي

— الناء —

١٦١ التفتازاني (مسمود بن عمر)

١٦٨ تقي الدين (ابن حجة الحموي)

٣٩

التوزي

— الناء —

٩٧٠ ٩٤٠ ٣٤

ثعالب

— الجيم —

١٥٨٠ ١١٢٠ ٨٠٠ ٥٥

الجاحظ

٩٨٠ ٨١٠ ٤٥

جيرير

١١٨٠ ١١١٠ ١٠١٠ ٨٠٠ ٤٨٠ ٣٣٠ ٣٠

الجلال السيوطي

١٤٥٠ ١٣٩٠ ١٣١

١٠٤٠ ١٠٠٠ ٨٦

الجوهري

— الحاء —

١٢٤

حازم بن محمد الانصاري

٩١٠ ٤٨

الحريري

١٤٠ ٩١

حماد بن سلمه

حماد عجرد

٤٥

حماد بن هرمز الديلمي

١٢٧

— الخاء —

خالد الازهري

١٥٣ ، ١٥١ ، ١٣٩ ، ١٣٨

* خلف الاحمر

١٢٣ ، ٩٢ ، ٨١

* اخليل بن احمد

٩٢ ، ٩١ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٧٤ ، ٢٨

١٢٩ ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ٩٣

— الراء —

الراغب الاصفهاني (ابو القاسم) ١١١ ، ١٠٣ ، ١٠٢

الرواني (علي بن عيسى) ١٣٢ ، ٢٥

الرشيد

١٢٨

رؤبه بن العجاج

٧٨

— الزاء —

الزجاج (ابو اسحق)

١٣٢ ، ١٠٩ ، ٩٩ ، ٢٥

الزجاجي (ابو القاسم عبدالرحمن)

١٣٢

زكي الدين بن ابى الاصبع

١٦٥

الزنجشيري (محمود بن عمر)

١٢٠ ، ٢٤ ، ٣٩ ، ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ،

١٦٢ ، ١٦٠ ، ١٤٢

— السنين —

السكاكي (ابو يعقوب يوسف

بن ابي بكر)

١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣

سيديويه

٦١ ، ٦٢ ، ٦٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ٩٢

٩٣ ، ٩٤ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦

١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٤١

— الشين —

شرف الدين التيفاشي

١٦٥

شمر بن حمدويه

١١٦

شيدان بن عبدالرحمن النيمعي

١٢٢

— الصاد —

صالح بن اسحق الجرمي

١٦٨

صدر الدين بن موصوم الحسيني

١٦٦ ، ١٦٧

صفي الدين الحلي

٣٩ ، ١٠٤

الصفهاني

— الطاء —

الطفرائي

١٢

- عبدالرحمن بن عبدالله بن قريب ٩٥
 عبدالرحمن بن عيسى الهمذاني ٩٠
 عبدالله بن زيد الحضرمي ٧٧
 عبدالله بن طاهر ١١
 عبدالله بن محمد التوزي ٩٣
 عبدالله بن محمد الصنهاجي ١٥٠
 عبدالقادر البغدادي ١٥٦
 * عبدالقاهر الجرجاني ١٣٣ ، ١٤٣ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
 ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤
 عبدالملك بن مروان ٧٩
 عز الدين الموصللي ١٦٨
 عطاء ٧٥
 علي بن ابي طالب ١١٣ ، ١٢١ ، ١٢٦
 علي بن حازم الاحماني ٩٦
 علي بن عثمان السلجاني ١٦٧
 علي بن الحسن الاحمر ٩٦
 علي بن سلام الجمحي ٩٢

المصنفة

١٣٣ علي بن عيسى الربيعي

١٤٦ علي بن مسعود

٩٢ علي بن نصر الجهضمي

٧٢ عمر بن الخطاب

١٢٦ عمرو بن العاص

٧٦ عنيسة (القييل)

٩٣٠٩١٠٨٠٠٧٨٠٧٧ عيسى بن عمر الثقفي

— الفين —

٥١

الغزالي

— الفاء —

١٠٠

الفارابي

١٣١٠١٢٨٠١٢٦٠١٠٩٠٩٨٠٩٣

الفراء (يحيى بن زياد)

٩٨٠٨١٠٤٥

الفرزدق

١٠٤٠٨٧

القيومي

— القاف —

٧٥

قتيبة بن مسلم

٩٠

* قدامة بن جعفر

— الكاف —

١٢٣٠٩٦٠٩٤٠٩٣٠٩٢٠٩١٠٩٠٩٠٩٠٩٠

الكسائي

١٣١٠١٢٨٠١٢٦٠١٢٤

١١

كشاجم

— اللام —

٩٨

ليبد

— الميم —

١٢٨٠٩٢

المأمون

١١٦٠٩٩٠٩٧

المبرد (ابو العباس)

١٠٥٠٩٠٠٨٦٠٣٣

مجد الدين الفيروزبادي

١٠٥

محمد بن ابي بكر الرازي

١١٨

محمد بن ابي بكر المديني

١٦٧٠١٦٦

محمد بن احمد الهواري

١٠٠

محمد بن الحسن الزبيدي

١٦٣٠١٦٢٠١٦١

محمد بن عبدالرحمن القزويني

١٠٥

مرتضى الزبيدي

١٦٤

محمد عبده

٩٨٠٩٣٠٢٥

محمد بن المستنير (قطرب)

مسعود بن عمر (انظر التفتازاني)

١١٨

مسلم

المطرزي

١٠٤٦١٠٣٠٨٧

معان بن مسلم (انظر الهراء)

١٠٧

المعري

٢٥

المفضل بن سلمه

١٢٧٠٩٢

المفضل بن محمد الضبي

١٥٥

الملا جامي

٤٨

الموفق البغدادي

١٤٦٠١٠٣

الميداني (احمد بن محمد)

١٢١٠٧٦

ميمون الاقرن

— النون —

٩٩

الناطقة الجمدي

٩٨٠٥١

الناطقة الديباني

١٢١٠٧٦

نصر بن عاصم اللبثي

١١٥٠٩١

النضر بن شمیل

— الهاء —

١٤٥٠١٢٢٠٧٩

الهراء

١١٨٠١١٧٠١١١٠١١٠

الهروي

— الواو —

والبة بن الحباب

٤٥٠ / ٧٨

— الياء —

ياقوت الحموي

٨٨٠٨٧٠٨٥

يحيى بن حمزة العلوي

١٦١

يحيى بن خالد البرمكي

١٢٣

يحيى بن زياد (انظر القراء)

يحيى بن المبارك اليزيدي

٩٣٠٩١

يحيى بن معطى الزواوي

١٣٤

يحيى بن يعمر

٢١٠٧٦٠٧٥

يونس بن حبيب

٩٢٠٨٠٠٧٨

كلمة المكتور جميل سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب له قيمتان ، قيمة علمية واخرى توجيهية او منهجية ،
اما قيمته العلمية فتراها في ان الكتاب عرض لهذه العلوم العربية فألم
بتأريخ كل منها المأمة بين فيها نشأة العلم ، وبداية تدوينه ، وعرض فيها
لعوامل نمائه واتساعه وتشعبه ، وعرض في هذا لما يحدث من الصراع
بين المذاهب الحديثة التي تحاول ان تغير اتجاه سير العلم ، وبين المذاهب
القديمة المحافظة التي تحاول ان تحجر قواعده وتجمدها ، ترى هذا
واضحاً في التطاحن العنيف القوي بين اراء المجددين الذين يريدون
ان يدخلوا الألفاظ الأعجمية الى العربية ، وبين الذين يريدون ان يبعدوا
كل ما هو اعجمي مهادعت الحاجة اليه والحت . وتراه واضحاً في
الصراع بين النظريات والمذاهب النحوية ، التي انقسم فيها الناس الى
معسكرين كبيرين هما معسكر البصرة ، ومعسكر الكوفة ، وصار
الناس يتعصبون لها تعصبهم لمذاهبهم الدينية والسياسية ، بل ربما كانت
عصبيتهم لها أشد من عصبيتهم لمذاهبهم ونحلهم .

وكما ترى هذا في النحو تراها في البلاغة ، فقد انقسم فيها الناس الى
معسكرين ، او مدرستين هامتين ، هما مدرسة الأدباء ومدرسة

المتكلمين . وإن شئت سميتها - كما سماها الأقدمون - مدرسة العرب
ومدرسة المعجم . والأولى تعني بالناحية الفنية الذوقية ، والأخرى تعني
بتقسيم الكلام الى قواعد ونظريات تتختم فيها شيئاً من المنطق والفلسفة ،
ولا تخلوها من الآراء الدينية والمذهبية .

عرض مؤلفه - رحمه الله - الى هذا التطاحن بأسلوب ممتع شيق ،
وقد اوتي من سعة الاطلاع ، وقوة العقل ، وقدرة السيطرة على اللغة
ما جعله يعرض عليك ادق المسائل العلمية عرضاً ييسرها فيه ويسهلها ،
حتى يملك تقرأها فزاهاً واضحة سهلة ، وحتى تعجب من شدة غموض
هذه الموضوعات في الكتب العربية القديمة ، ومن سهولتها وشدة
وضوحها فيه ، ترى هذا في موضوعات النحت والقب والابدال وما
اليها من الموضوعات التي يفرق دارسو العربية من اسمائها .

ومع ان الكتاب قد جاء موجزاً أشد الإيجاز فإنه قد حوى من
المسائل الهامة الدقيقة ما لا تثر عاينه في اكبر الكتب المفصلة ، ولقد
صدق الاستاذ الكريم الدكتور مصطفى جواد حين قال إنه : « لا يفنى
عنه كشف الظنون ، ولا موضوعات العلوم ولا غيرها .. »

وقبل ان نأخذ في الناحية المنهجية - وهي عندنا اهم من الناحية
العلمية في هذا الكتاب - نقول لك : إننا ما زلنا الى الآن نتعصب
للمذهب الغالب من المذاهب القديمة ، الذي انتصر على غيره من المذاهب
وخنقها ، فنحن في النحو نتعصب لمذهب البصريين ، ولا نقرأ النحو

الا في الكتب التي تعصب اهلها له ، ونهمل المذهب الكوفي ، على ما به من حسنات وآراء جديرة بالاعتبار .

ونحن في البلاغة نتابع مذهب المتكلمين ، ونقرأ البلاغة متبعين ما سماه القدماء ببلاغة العجم ، وعلى هذا النحو الف المعاصرون الكتب الحديثة التي يربى عليها الناشئة الآن . وقد اهتمت مدرسة الأدباء الذوقية - التي سمي القدماء بلاغتها ببلاغة العرب - أيما اهمال . وهي افضل من صاحبها في تربية الملائكة الفنية ، واعاون على ذوق الكلام ومعرفة جيده من رديئه ، وحسنه من قبيحه .

وكذلك نحن الآن امام هذه الألفاظ الأعجمية . إننا نحاول ان نوصد الباب بوجه كل كلمة غريبة ، ونلمس لدلوها كلمات عربية مميته ، نحملها معانيها فتتوء بالحمل ، ويعرض الناس عن استعمالها نافرين .

* * *

أرايت هذا ؟ من اجله اذا قلت : إن الناحية المنهجية في الكتاب ، أهم من الناحية الملمية ، إنه يدعو الى تغيير طرق الدراسة ، ومؤلفه - رحمه الله - لا ينف ولا يشتد حين يعرض هذه الطرق ، بل يخاطب بها القارئ وكأها من البديهيات التي لا تحتاج الى مناقشة ولا جدل ، يقول في التعريب : « ولا جرم ان استمداد لغة من اخرى يمد من اساليب بنائها ، فالنعراب بالنسبة للغة العربية احد عوامل توسعها .. لأن اللغة الحية تشبه مخلوقات تنمقر في بنائها ونمائها الى مختلف الاغذية

وفي عداد هذه الاغذية ما تنزعه لغة من اخرى من مختلف الكلام^(١) وهو يلوم المحافظين المتشددين بأن يقول : « .. ثم ما لنا وللمتشددين من متأخري النحاة الذين كلما انفتح امام اللغة باب تنفس منه هرعوا اليه وسدوه ، على زعم انهم يخدمونها بالمحافظة عليها ، وسد مسالك العجمة عنها .. وفاتهم انهم بهذا الصنيع يعملون على اماتة العناصر فيها ، وابعاد عوامل النماء عنها^(٢) » ويرى - كما رأى متحرروا الساف - ان تؤخذ الالفاظ الاعجمية فتحور بمض الشيء ، اذ تبقى كما هي ، يقول : « وبالجملة فان الجمهور من اهل العربية لا يشترطون رد المعربات الى ابنية اللغة العربية ، ولاكنهم يستحسنون ذلك اذا جاء بسهولة ، لئلا تكون المعربات المقحمة على العربية شبيهة باوزانها^(٣) » .. »

اما البلاغة فيرى ان يرجع بدراستها الى احياء المدرسة الادبية ، التي دحرتها وخنقتها مدرسة المتكلمين العقلين ، يقول : « ان ما يمني به القوم - قديما - من امر البلاغة ، غير ما يمني به نحن اليوم ، فانهم يريدون به تلك المباحث التي تدور حول الخصائص التي ترفع قدر الكلام ، وتسكوه جمالا وجلالا ، مع بيان النيوب التي تحط من قدر القول ، وتسببه قبحا وسخافة ، وهذا ما تهدينا اليه دراسة البلاغة على طريقة المدرسة الادبية ، وهو من اجل هذا يفاضل بين المدرستين فيرى ان « المفتاح وتلخيصه ، والايضاح ، وان كانت احسن من غيرها من

حيث التبويب ، والتنسيق العلمي من الوجهة النظرية ، الا ان ما كتبه
عبد القاهر الجرجاني ومن اقتفى أثره ، اقوى اثراً في تقويم الالسنه
وتدقيق الاقلام من الوجهة العلمية ، فالنوع الاول يتخرج به علماء
في فنون البلاغة ، والثاني يتخرج به بلغاء حقاً (١) .. ويتحامل على
طريقة هذه المدرسة ، وهي الطريقة التي تدرس في مدارسنا الان ،
فيقول : « وقد ثبت بالتجربة ان معظم اولئك الذين يعتمدون في
تحصيلهم على التلخيص وشروحه وحواشيه ، وما الى ذلك يتعسر على
احدهم ، ان لم نقل يتعذر ، ان يكتب رسالة صحيحة فضلاً عن ان تكون
بليغة (٢) ..

اما النحو فقد اعاره اهمية بالغة ، ونقد كتبه وطرائق تدريسه ،
وعقد فصلاً طويلاً للحديث عن عاهات كتب النحو ولام المؤلفين
المعاصرين حين تقاعسوا ولم ينتفعوا بما ابدعته قرائح المعاصرين من
رجال التربية والتعليم من بدائع الاساليب وتوخي السهولة في حسن
الترتيب والتبويب ، ورأى ان من اسباب انصراف الناشئة عن دراسة
النحو انهم رأوا العلوم الأخرى قد صقلت جوانبها وهذبت ، وصبت

(١) ١٦٣

(٢) ص ١٦٣ ، وقد اخذت دار المعلمين العالية بدراسة البلاغة في كتب
عبد القاهر وابن الاثير ، متبعة طريقة الادباء ونرجو ان تنبه لجنة المناهج في
وزارة المعارف فتغير طرقها وكتبها في المدارس الثانوية .

بقوالب قدرتها ايدي التربية العصرية واصول التعليم اي تقدير ، وبقى علم النحو - كغيره من علوم اللسان العربي - في معزل عن هذا الاصلاح ، وقد عرض اطرائق عرض الموضوعات النحوية فنقدتها في صميمها ، قال : « وما قولك في ان جبهة المؤلفين في هذا الشأن من المعاصرين - على شدة عنايتهم في صقل مؤلفاتهم - ذهلوا عن هذا الأمر فوقوا في المحذور التعليمي الذي وقع فيه من سببهم ... نجدهم يقولون في مبادئ كتبهم مثلاً : الفعل المتعدي : هو الذي ينصب المفعول به ، والفعل المعلوم : هو الذي يذكر فاعله ، مع ان الطالب لم يعرف شيئاً من أمر النصب ، والمفعول به ، والفاعل . وتفهمها يتوقف على دراسة ابواب لم تزل معقودة في ناصية المستقبل (١) »

ويرى - رحمه الله - ان هذه المذاهب التي نسير عليها اليوم ، لا يمكن ان ننجافها ما دامت كتبها بأيدينا ، فيعرض لهذه الكتب بشيء من النقد يقول فيه « ومع الأسف فانا نجد كثيراً من هذه الكتب الجافة تتداولها الأيدي وتتدارسها المتعلمة من ابناء هذا الجيل ، وما ذلك - في نظرنا - الا لان ايدي الطباعة تناولتها قبل غيرها ، واخرجتها للناس ، فأولع بها من نابته العصر من لم تصل يده الى سواها (٢) »

* * *

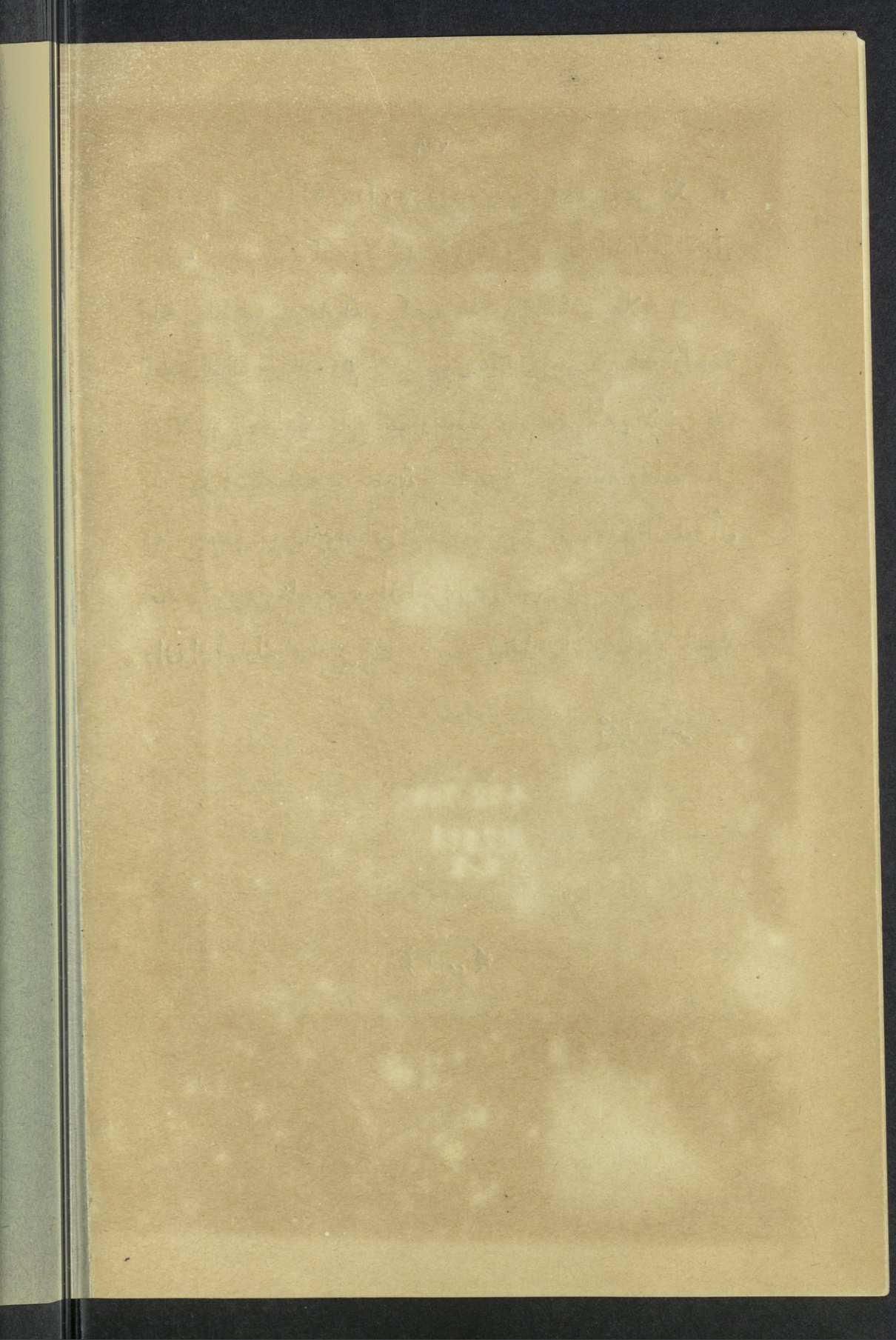
وقبل ان افرغ من هذه الكلمة اقول : ان الفاريء قد يجد في

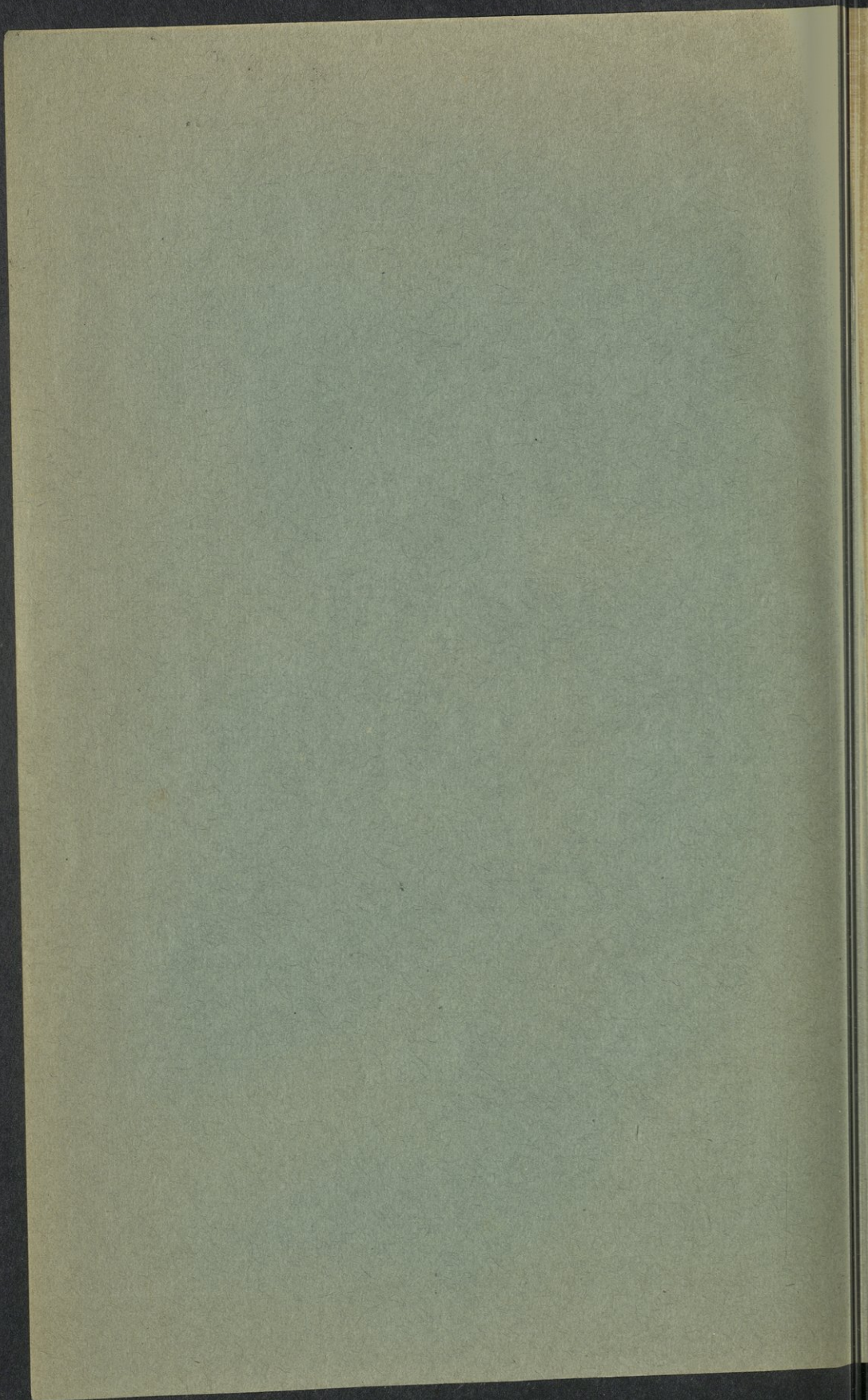
هذا الكتاب اقتضاباً شديداً ، ويرى فيه وعوداً بالحديث عن فكر او
رجال ، ثم يختم الكتاب ولا يجد تحقيق هذه الوعود . اما الأمر الأول
فعلته ان المؤلف - رحمه الله - كتب هذا الكتاب لطلابه في دار
المعلمين العالية ببغداد ، وهم لا يدرسون هذا الدرس الا ساعة واحدة
في الاسبوع ، ولمدة سنة دراسية واحدة . واما علة الأمر الآخر فان
يد المنون قد اختطفته - رحمه الله - ولما يفرغ من آتائه واعادة النظر
فيه . واعتذر الى القاريء بأنني لا املك حين اكتب هذه الكلمة أن
اصد ذكراه عن خاطري ، وأن أجرى على لساني :

ولم أن أسلوك او ادع البكا فباليأس أسلو عنك لا بالتجلد

صميل سعيد

* انتهى *





DATE DUE

492.709:R25tA:c.2

الراوي : طه

تاريخ علوم اللغة العربية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01024888

American University of Beirut



492.709

R25tA

c.2

General Library

492.709
R25tA
c.2